

الدكتور
يُؤَيِّفُ دَرُويش غوانمه

التاريخ الحضاري لسرقي الأردن

في
العصر المملوكي

الطبعة الثانية

١٩٨٢

الناشر
دار الفكر للنشر والتوزيع
عمّان





المقدمة

- ١ - أهمية البحث ومنهج الدراسة .
- ٢ - عرض وتحليل لأهم مصادر البحث .



(١)

أهمية البحث ومنهج الدراسة

تعتبر منطقة شرقي الأردن جزءاً من بلاد الشام وقد لعبت هذه المنطقة دوراً له أهميته منذ القدم وقامت فيها حضارات متعددة ما زالت بقايا تلك الحضارات ماثلة للعيان، نذكر منها الآثار النبطية في البتراء، والآثار الإغريقية والرومانية والبيزنطية في جدرا (أم قيس) وبيت رأس، وفحل، وجرش، وعمان، ومأدبا. والآثار الإسلامية المتمثلة في القصور الأموية في البادية حول عمان والبلقاء. والخانات الأموية في العقبة والحسا، وقطرانة، وضبعة، والمساجد الإسلامية في عمان وعجلون وسوف، والقلاع الحربية في الشوبك والكرك والصلت (السلط) وعجلون.

وقد قامت دراسات عديدة عن تاريخ بلاد الشام، إلا أنها أهملت تاريخ هذا الجزء (شرقي الأردن)، ومنذ اللحظة التي تخصصت فيها للدراسات العليا أردت أن أبحث في تاريخ هذا الجزء وأسجله. فال مكتبة العربية تفتقر إلى دراسات عن تاريخ الأردن في العصر الإسلامي، وهذا ما ركزت عليه، فكتبت في تاريخ شرقي الأردن في العصر الأيوبي ومرحلة الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد الشام بكتاب سمّيته (إمارة الكرك الأيوبية)، ثم وضعت كتاباً عن تاريخ مدينة عمان سجلت فيه تاريخ عمان منذ أقدم العصور وكان التركيز على تاريخها السياسي والحضاري في العصر الإسلامي. ثم كتبت سلسلة تاريخ الأردن في العصر المملوكي فالكتاب الأول عن تاريخها في عصر دولة المماليك الأولى (البحرية)، والثاني سيكون عن تاريخها في عصر دولة المماليك الثانية (الجراكسة)

لم يصدر بعد، أما الثالث فهو تكملة لهذه السلسلة وهو تسجيل التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، ونحن الآن بصدد الحديث عنه. فهذه الدراسة تعتبر الأولى من نوعها عن تاريخ الأردن الحضاري حاولت أن أبرز الدور الحضاري الذي قام به أهالي هذه المنطقة في العصر المملوكي ومساهمتهم في المسيرة الحضارية لبلاد الشام خاصة والعالم الإسلامي عامة وما قدموه خدمة للإنسانية وتقدمها. وأقرر هنا أن شعب هذه المنطقة كان على درجة من التقدم العلمي والوعي القومي حتى أن سلاح المدافع استخدم لأول مرة في بلاد الشام من قبل أهالي الكرك وذلك في ثورة الناصر أحمد بن قلاوون التي دامت مدة سنتين كاملتين، وقف أهالي المنطقة مع قائدهم وتحملوا الكثير من أجل نصرة مبدأ أمنوا به وهو رفضهم لحكم الغرباء من المماليك، لقد كانت ثورة عربية الطابع ضد الجنس التركي الحاكم، وهي باعتقادي شاعر عربية خالصة انبثقت من هذه المنطقة المتحضرة المتقدمة علمياً وثقافياً. ثم إن مساهمة منطقة شرقي الأردن في خدمة التجارة الدولية ولكونها متوسطة بين الشام والعراق ومصر والجنوب العربي، خدمت طرقها ودورها تجارة (الترانسيت) والمواصلات والاتصالات قروناً عديدة، ونرى أن هذا الدور يتجدد في الوقت الحاضر. إن منطقة شرقي الأردن لم تكن بلداً بدون سكان، بل قطن فيها شعب عربي متحضر هو جزء من الأمة العربية، وقدّم للإنسانية الكثير من عطاء رجاله وعلمائه على مر العصور، وساهم مساهمة فعالة في أحداث تاريخنا الإسلامي الوسيط. وقد توخيت في هذه الدراسة الحضارية أن أقدم نماذج من عطاء شعب هذه المنطقة في العصر المملوكي من جميع النواحي، فقسمت هذه الدراسة إلى ستة فصول.

— خصصت الأول لبحث النظام الإداري في المنطقة، فذكرت أقسامها الإدارية والوظائف القائمة فيها، ومنها وظائف أرباب السيوف، والوظائف الدينية، والديوانية، ثم تحدثت عن جيش الكرك وولاية البلقاء ونيابة عجلون.

وعالجت في الفصل الثاني شبكة المواصلات في المنطقة في العصر المملوكي، فعرضت لمراكز البريد ومحطاته، وأبراج الحمام الزاجل. كما تعرضت لذكر

المناور ومراكزه في الأردن، ثم تحدثت في نهاية الفصل عن مراكز نقل الثلج من الشام إلى مصر، والمراكز التي يمر منها في هذه المنطقة.

وتحدثت في الفصل الثالث عن الحياة الاقتصادية في المنطقة، فبحثت في مظاهر الزراعة والمحاصيل الزراعية المختلفة في مختلف أنحاء المنطقة، كما خصصت قسماً ثانياً من هذا الفصل لدراسة التجارة الداخلية والخارجية، والتجارة العابرة (الترانزيت) والتجارة البحرية. وقد أثبت قيام علاقات تجارية خارجية بين الأردن كنيابة مستقلة وبين الدول الأوروبية، مبيناً أهمية مدينة العجلون باعتبارها مركزاً تجارياً مرموقاً في هذه الفترة استناداً إلى نشاط دارها المعروفة (بدار الطعم) وكانت بمثابة وكالة للتجار الأجانب، ثم تحدثت عن الأوزان والمكاييل والسكة. ثم عن المواد الخام اللازمة للصناعات، وعن الصناعات بأنواعها، وأولها الصناعات القائمة على المحاصيل الزراعية الخمور والسكر والنييل والزيت والبلسم ومنها صناعة التحف المعدنية المكفنة، والأسلحة، وصناعة المنسوجات والأبسطة وصناعة التحف الخشبية والسنن، وصناعة الفخار والحزف مبرزاً في كل ذلك التيارات الفنية التي تعرضت لها الفنون الصناعية في المنطقة إبان هذا العصر.

وقد خصصت الفصل الرابع لدراسة الحياة الاجتماعية، فتحدثت عن طبقات السكان وعن الطوائف الدينية، وانتقلت إلى الحديث عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، كوسائل التسلية والاحتفالات والألبسة وبعض الأطعمة الشائعة آنذاك.

أما الفصل الخامس فقد خصصته لدراسة الحركة العلمية، فتحدثت عن ازدهار الحياة العلمية في الأردن في العصر المملوكي وعن المؤسسات العلمية كالمدارس ومعاهد العلم. وخصصت جانباً هاماً من الدراسة لتوضيح نظام التدريس فيها مع ضرب أمثلة لبعض هذه المدارس كالمدسة الشافعية بالكرك، ومدسة صرغتمش بعمان، والمدسة السيفية بالصلت والمدسة اليقينية بعجلون، ومدسة حسان. ثم تحدثت عن البيمارستانات ونظام التداوي فيها، وأشارت في ذلك إلى بيارستان الكرك واختتمت دراستي عن الحياة العلمية بالحديث عن

العلوم الدينية واللغوية والأدبية، والعلوم العقلية، وترجمت لبعض العلماء الذين ينتمون للأردن وبرزوا في شتى العلوم والفنون.

أما الفصل السادس والأخير، فقد ركزت فيه على دراسة بعض الآثار الإسلامية الباقية في الأردن، ففي مجال الآثار الدينية تحدثت عن المسجد الجامع في مدينة عجلون فتبعت تاريخ إنشائه والزيادات التي تعرض لها، وتعرضت لذكر مظاهر الأصالة فيه، وأثبت أن هذا المسجد الجامع بناء إسلامي الطابع وأنه أقدم مسجد في الأردن فيعود تاريخ بنائه إلى سبعة قرون ونصف خلت. أما منارته المربعة فتتبع الأسلوب الشائع في صوامع الشام، كما هو الحال في دمشق وحماة وحلب، ومعظم صوامع المغرب والأندلس. وتكلمت كذلك عن الآثار المدنية كالحمامات وقدمت وصفاً حياً لتقسيمات أحد هذه الحمامات، وهو حمام وادي الكرك. أما الخانات فقد أوليتها اهتمامي الخاص، إذ أجريت عليها دراسة ميدانية تطبيقية، وقد أثبت أن هذه الخانات مملوكة لإنشاء وليست عثمانية مصححاً بذلك آراء طائفة من الباحثين، وأفكاراً ترددت في نشرات دائرة الآثار العامة الأردنية حول هذا الموضوع. أما الآثار الحربية فتشتمل على آثار من قلاع الشوبك، والكرك وعجلون.

ولا يسعني في هذا المجال إلا أن أقدم خالص الشكر والعرفان الى أستاذي الكبير الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم رئيس قسم التاريخ بآداب جامعة الإسكندرية، الذي تمهديني في مرحلة الدراسة الجامعية وأشرف عليّ في مرحلتي الماجستير والدكتوراه وحباني بمطفه وعنايته وكان له فضل كبير في إخراج هذا الكتاب. كما لا يسعني إلا أن أوجه كلمات الشكر والتقدير لأستاذي الدكتور أحد مختار العبادي أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الكويت الذي لم يبخل عليّ بنصيحة أو توجيه في مرحلة إعداد هذه الدراسة.

(٢)

عرض وتحليل لأهم مصادر البحث

اعتمدت في إعداد هذا البحث على مكتبة متنوعة المصادر والمراجع، بعضها قديم عاصر مؤلفوها أحداث الفترة موضوع البحث، وبعضها متأخر نسبياً، ولكنه لا يقل أهمية عن المصادر المعاصرة، بفضل ما ورد فيها من نقول من كتب ضائعة مفقودة، أو من وثائق رسمية نقلوا منها بحكم عملهم في دواوين الدولة، واتصالهم بالسلطة الحاكمة. وفيما يلي عرض تحليلي لأهم هذه المصادر مرتبة حسب نوعيتها.

١- الوثائق:

الوثائق المخطوطة من الخلفات الأثرية التي لا تقدر قيمتها العلمية بشئ باعتبارها تراثاً قومياً تاريخياً، بالإضافة إلى قيمتها في ميدان الأبحاث الأثرية. ووثائق الوقف بالذات من أهم المصادر الأصلية التي ينبغي الرجوع إليها عند دراسة الآثار الإسلامية بأنواعها المختلفة، لأنها بالإضافة إلى الإعتبار السابق تتضمن العديد من أسماء البلدان والقرى ووصف المنشآت العامة، كما تستخدم بعض الإصطلاحات الفنية التي تعيننا على التعبير عن بعض العناصر المعيارية المعاصرة. ولذا فإن لهذا النوع من الوثائق أهمية خاصة في دراسة الآثار المعيارية من العصر المملوكي، بالإضافة إلى أهميتها الكبرى في دراسة حضارة ذلك العصر من النواحي الاقتصادية والاجتماعية^(١). ومن بين الوثائق التي تهتم

(١) عبد اللطيف ابراهيم: سلسلة الدراسات الوثائقية، ج ١ ص ٨٣.

موضوع دراستي واستغنت بها كمادة علمية وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨ هـ/١٣٦٣-١٣٧٧ م)، المؤرخة في ٣ جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ^(٢). والوقفية مدونة بخط نسخي واضح على درج من الرق يبلغ طوله نحو عشرين متراً، إلا أن أجزاءها الأولى والأخيرة مفقودة، كما أن أجزاء كبيرة من طرفها الأيمن قد تآكلت. وموضوع هذه الوثيقة يدور حول أوقاف محبوسة للنخاص السلطاني من بينها قرية آدر القريبة من الكرك، وبستان وحام بوادي الكرك، وقد استغنت بمادة هذه الوثيقة في تسجيل صورة واضحة المعالم لإحدى القرى الأردنية، وفي الإشارة إلى عدد دورها ومساحة أراضيها. وعن كثير من المسميات الرومية التي ظلت حتى عهد الأشرف شعبان راسخة في الأذهان منذ عصر الرومان. كما أفدت من هذه الوقفية في وصف إحدى دور الكرك، وتوضيح طريقة بناء المنشآت المدنية في الأردن، وطرق تنظيمها، والخصامات المستعملة فيها. وعلى هذا النحو أمكنني بفضل هذه الوقفية أن أعرض صورة حية وأصيلة لجانب من جوانب الحضارة الأردنية في عصر دولة المماليك من خلال تعرضي لدراسة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والأثرية.

٢ - الموسوعات:

ازدهرت حضارة مصر والشام في عصر دولة المماليك الأولى ازدهاراً لم تشهد هذه البلاد من قبل. وقد وصف عصر المماليك بأنه عصر الإبداع والاستنباط، على الأخص من الناحية العلمية، فقد برز فيه ثلاثة من علمائه اهتموا بتصنيف الموسوعات التي تعد من أعظم الخلفات الفكرية لعلماء الإسلام قاطبة، لاتساع آفاق موضوعاتها، واحتوائها على شتى صنوف المعرفة، ومختلف أنواع العلم، فهي مصنفات سيكلوبيدية، أو موسوعة رائدة في الفكر الإنساني عامة، هؤلاء العلماء الموسوعيون هم:

١ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبادة البكري المشهور

(٢) وثيقة حجة وقف السلطان الأشرف شعبان، محفظة ٨ رقم ٤٩. بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

بالنويري، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٢ م)، صاحب كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» الذي يعتبر أولى الموسوعات التي ظهرت في العصر المملوكي. أما المنهج الذي اتبعه في كتابة الجزء التاريخي من موسوعته، فهو الكتابة حسب الموضوعات. فكتب في تاريخ الدول دولة دولة، متبعاً في نفس الوقت المنهج الحولي في ذكر أحداثها^(٣). وذكر ابن تغري بردي نفسه أن النويري كان «فقيهاً مؤرخاً بارعاً، وله مشاركة جيدة في علوم كثيرة وكتب الخط المنسوب»^(٤). حظي النويري بمكانة رفيعة، ومنزلة سامية لدى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فقربه هذا إليه، وأدناه منه، ووكله في بعض أموره، كما أسند إليه عدداً من المناصب من بينها نظر الجيش بطرابلس^(٥)، ولهذا السبب كان النويري ثقة في رواياته، إذ كان معاصراً للأحداث كما شاهد معظمها وعاينها بنفسه، وذلك في الثلث الأول من القرن الثامن الهجري. وليس أدل على ذلك من اشتراكه في ثورة الناصر محمد بالكرك، فهو يشير إلى ذلك في قوله في أحداث سنة ٧٠٩ هـ: «وفيها في أوائل شهر ربيع الآخر توجهت من القاهرة إلى الكرك والتحقت بالأبواب السلطانية إلى أن عاد الركاب الشريف السلطاني»^(٦). وقد اعتمدت على نهاية الأرب في كثير من الموضوعات التي قمت بدراستها، فأفدت من رواياته في التاريخ السياسي، وفي تخطيط المدن وفي دراسة ما يتعلق بالتجارة، لا سيما النص الكامل الذي أورده وصفاً للسيل الذي اجتاح مدينة عجلون في سنة ٧٢٨ هـ فمرفت من خلاله نموذجاً رائعاً لتخطيط المدن الأردنية بمساجدها الجامعة، وأسواقها وقياسرها. كما أفادني في إشارته إلى وجود «دار الطعم» بمدينة عجلون، وتناظر الوكالة

- (٣) عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية ١٩٦٧، ص ٨٤.
- (٤) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٩ ص ٢٩٩، والمنهل الصافي، ج ١ ص ٣٦١.
- (٥) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٧ ص ١٦٥.
- (٦) النويري: نهاية الأرب، ج ٣٠ لوحة ٥٠ «مخطوط».

في الديار المصرية، فدلّل بذلك على قيام علاقات تجارية خارجية بين مدينة عجلون، والدول الأوروبية آنذاك^(٧).

٢ - شهاب الدين أحمد بن محيي الدين مجيبي بن فضل الله بن المهلب بن دعجان العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م)، صاحب الموسوعة الكبرى الموسومة بممالك الأبصار في ممالك الأمصار. هذه الموسوعة يكاد موضوعها يكون وفقاً على المعلومات الجغرافية التي ينبغي لصاحب ديوان الإنشاء أن يعرفها. ومع ذلك، فقد مزج العمري العلم بالأدب مزجاً قوياً، فجاءت موسوعته أشبه بموسوعة النويري وإن كانت الأخيرة أوسع مجالاً، وأكثر اتساعاً لأنواع المعارف الإنسانية المعروفة في زمانه^(٨). فقد تعمق العمري في فنون المعرفة تعمقاً يشهد به ما اشتملت عليه موسوعته من شتى أنواع العلوم والمعارف، فكتب في الأدب وفي الدين وفي التاريخ وفي الجغرافيا وفي الآثار. ويمبر الصفدي عن معارفه الواسعة بقوله: «ولم أر من يعرف تواريخ ملوك المقل من لدن جنكزخان وهلم جرا معرفته، وكذلك ملوك الهند الأتراك، وأما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وخواصها فإنه فيها أمام وقته»^(٩). ونجده في كل ما ينقله موقفاً متحريراً الحقائق، متقصياً للتفاصيل، ولقد عرفنا العمري بمنهجه الذي انتهجه في مصنفه المذكور فقال: «ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات، من ذوي التدقيق في النظر والتحقيق للرواية، واستكثرت ما أمكنني من السؤال عن كل مملكة لآمن من تغفل الغفلاء، وتخيل الجهالات الضالة، وتحريف الأفهام الفاسدة»^(١٠)، لهذا كله يعتبر الباحثون كتاب مسالك الأبصار كنزاً ثميناً أفاد منه كل من لحقه من المؤرخين وما زال هذا الكتاب الموسوعة مصدراً رئيسياً لتاريخ مصر والشام وحضارتها، لا سيما

(٧) النويري: المصدر السابق، ج ٣١ لوحة ٩٠-٩١ «مخطوط».

(٨) عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والملوكي الأول، ص ٣٢٥.

(٩) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨ ص ٢٥٤.

(١٠) العمري: مسالك الأبصار، ج ١ ص ٦٠٢.

ما يتعلق بمادته في العمران المدني، والتجارة المملوكية. وقد أفادني كثيراً في إعداد هذا البحث، واعتمدت عليه اعتماداً خاصاً عندما تطرقت إلى دراسة طرق المواصلات، والأسواق التجارية الموسمية في كل من زيزاء و«العقبة»^(١١). كذلك أفادني العمري في كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف» الذي يعتبر مصدراً أصيلاً لكل من كتب عن التقسيمات الإدارية ومراكز البريد بأنواعه والمكتبات السياسية والديوانية^(١٢). فقد عرفت من خلاله أسماء مراكز البريد، وطرق المواصلات المارة عبر الأردن. وأياً ما كان الأمر، فإن موسوعة العمري مصدر هام لا غناء عنه لكل دارس لتاريخ العصر المملوكي وحضارته. وقد اعتمد عليه القلقشندي اعتماداً يكاد يكون تاماً في موسوعته «صبح الأعشى».

٣ - شهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندي، المتوفى سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م)، صاحب الموسوعة الكبيرة «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» مجلد بنا قبل كل شيء الإشارة إلى أن هذه الموسوعة تختلف عن كل من موسوعي النويري والعمري سالفني الذكر. فالنويري جنح إلى الصنعة الأدبية، وكان الأدب أو الثقافة العامة أسمى ما يهدف إليه، بينما مزج العمري الأدب بالعلم، وإن كانت تغلب على موسوعته المادة الجغرافية (سياسية واقتصادية) والأثرية. أما القلقشندي فقد حصر نفسه في صناعة الإنشاء، واتخذ من ذلك مبرراً لجمع أكبر قدر ممكن من المعارف الإنسانية في عصره. ومع أن النقل والجمع يكاد يكون السمة الغالبة على هذه الموسوعة، إلا أنها مع ذلك في اعتبار الباحثين كنز ثمين لما تشتمل عليه من العلوم والمعارف والمصطلحات والمراسلات التي كانت شائعة في العصر المملوكي^(١٣). فقد بحث فيها التقسيمات الإدارية والوظائف بأنواعها،

(١١) العمري: مالك الأبصار، ج ٢ ق ١ لوحة ١٦٨ «مخطوط».

(١٢) مادة هذا الكتاب يقابلها في اصطلاح المصدر مراسم البروتوكول والمراسلات الدبلوماسية (محمد عبد الله عنان، أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣ م، ص ١٥).

(١٣) سيد عاشور: صبح الأعشى مصدر لدراسة تاريخ مصر في العصور الوسطى، بحث في كتاب =

وسجل من خلال ذلك ما رواه وجمعه صورة واضحة للمجتمع المصري بوجه خاص بعباداته وتقاليده، دون أن يقصر مع ذلك كله فيما أورده من مواد: التاريخ والجغرافيا والأدب والاقتصاد وطرق المواصلات. معتمداً في ذلك على الوثائق الرسمية التي كانت في متناول يده، فجاءت موسوعته صورة حية شاملة لحضارة العصر المملوكي لا بد لكل دارس لتاريخ المماليك من الرجوع إليها. وقد أفدت من هذا الكتاب فائدة عظيمة في تفسير العديد من المصطلحات التي كانت شائعة في عصر المماليك، وفي دراساتي للتقسيمات الإدارية والوظائف الديوانية والدينية في منطقة شرقي الأردن، وفي تصويري للمجتمع الأردني في العصر موضوع الدراسة.

٣ - كتب التاريخ:

١ - كتاب «كنز الدرر وجامع الفرر» لأبي بكر بن عبد الله بن آيبك الدواداري المتوفى سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م). يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر العربية التي أرخت للدولة الأيوبية وصدر دولة المماليك الأولى وينتمي ابن آيبك لأسرة شاركت في وضع أحداث الحقبة التاريخية المذكورة فجدّه عز الدين آيبك المعظمي (ت ٦٤٥هـ) كان استاداراً لكل من السلطان المعظم عيسى، والسلطان الملك الناصر داود، ثم تولى ولاية صرخد. وبفضله تم توسيع قلعة عجلون والزيادة فيها، كما أنه اهتم بإصلاح قلعة الأزرق. وأبوه كان مقرباً من السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون، والسلطان الملك الناصر محمد، وفي عهدها تقلد عدة وظائف في الدولة آخرها منصب كاشف القلاع في بلاد الشام. وقد توفي في الأردن سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م)، في وادي الزرقاء بين عمان وعجلون، عندما كان متوجهاً للكشف على قلعة عجلون، فنقل إلى اذرعات حيث تم دفنه^(١٤).

«أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى»، ص ٢٩. جوزيف نسيم، علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية في ضوء وثائق صبح الأعشى، بحث في كتاب أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى، ص ١٤٩.

(١٤) ابن آيبك: كنز الدرر، ج ٩ ص ٢٦٧.

وابن آيبك نفسه كان صديقاً للملك الكامل بن الصالح اسماعيل الأيوبي، كما كان في جملة من وقف من الأمراء الماليك إلى جانب الناصر محمد بن قلاوون عندما ثار بالكرك وتمكن من استعادة سلطنته الثالثة، فهو إذن معاصر للأحداث بل ومشارك في صنعها. ولقد أفدت من هذا السفر فوائد جمة، ومن أمثلة ذلك، أنني اعتمدت على روايته التي سجل فيها موقفه من قضية تنازل الناصر محمد عن العرش وذلك عندما توجه إلى الكرك في سنة ٧٠٨ هـ، واختلق الأمراء كتاباً مزوراً على لسانه يفيد تنازله عن العرش واجتمعوا لخلعه في دار النيابة. ويمبر ابن آيبك عن ذلك بقوله:

« ولم يتخلف من متخلف، وكان العبد واضع هذا التاريخ قائماً بينهم انظر لفعالهم وشينهم »^(١٥). اعتمد ابن آيبك في تاريخه للأحداث السابقة على وثائق ونقول هامة ضاعت في جملة ما ضاعت من الوثائق، ولم تصل إليها أيدي غيره من المؤرخين، ولذلك السبب ينفرد بذكر كثير من الأحداث الهامة والخطيرة سيما ما يتعلق بتأكيد وجود قلعة الكرك من العصر الفاطمي^(١٦). وهذا التأكيد في حد ذاته يدحض المزاعم القائلة بأن الكرك بناء صليبي فقط، وقد أشرت إلى ذلك في دراستي عن تأسيس قلعة الكرك.

٢ - « السلوك لمعرفة دول الملوك »، لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم البعلبكي الأصل، المصري المولد المعروف بالمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م). المقريزي هو عمدة المؤرخين المصريين في عصر الماليك بدون منازع، وهو صاحب مدرسة تاريخية لها طابعها الخاص في الكتابة ولا تعود شهرته إلى دقته التي لا نشك فيها بقدر ما تعود إلى ثقافته الواسعة وعلمه الغزير، بما يتصل بالدراسات التاريخية من موضوعات وسعة إحاطته وإلمامه بأحداث التاريخ. وتتضمن مؤلفاته على تنوع موضوعاتها تحليلاً علمياً دقيقاً للظواهر الاجتماعية والعمرائية في

(١٥) ابن آيبك: كنز الدرر، ج ٩ ص ١٥٧.

(١٦) ابن آيبك: المصدر السابق، ج ٦ ص ٢٠٦.

الاجتمع المصري في عصره. ويتمثل ذلك الاتجاه أصدق تمثيل في كتابه «المواعظ والاعتبار»، وهو أعظم ما كتب في تاريخ الخطط المصرية. والذي يهمني في هذا البحث كتابه التاريخي الموسوم «بالسلوك لمعرفة دول الملوك» الذي استهدف من تأليفه أن يكون تاريخاً للأيوبيين والماليك حتى عصره، ففدا بحق مصدراً أساسياً لكل التواريخ المصرية في عصر هاتين الدولتين^(١٧). في هذا الكتاب نلاحظ عمق المؤلف وقدرته وأمانته، فتاريخه لأحداث العصر الأيوبي، تحرى فيه الضبط والتحرري التاريخي الدقيق بحيث عرضه في صورة أقرب إلى الواقع التاريخي، ولذلك عد هذا القسم من المصادر الأولية للعصر الأيوبي لما اتسمت كتابته فيه من التقصي والواقعية. أما حوادث زمنه فأقرب إلى أن تكون مذكرات يومية دقيقة، تصور لنا على نحو واقعي متكامل الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عصره، دوره فيها دور شاهد عدل يروي ما شاهده وعينه دون تحيز^(١٨). وهكذا كان كتاب السلوك من المصادر الرئيسية لدراستي، فقد استعنت بمادته الغزيرة في كثير من الموضوعات التي أقدمت على بحثها، واعتمدت عليه في عرضي لبعض الحوادث التاريخية الهامة، انفرد بذكرها دون غيره من مؤرخي العصر، وأخص بالذكر منها إشارته لبنيان مدرسة عمان في سنة ٧٥٧ هـ (١٢٥٦ م)، على يد الأمير صرغتمش، وإقدام هذا الأمير على نقل القضاء والولاية إليها حتى جعلها «أم تلك البلاد»^(١٩)، ومنها إشارته إلى خان العقبة والمقريري أول مؤرخ يذكره صراحة^(٢٠)، وهو بذلك مكنتنا من تصحيح المعلومات التاريخية عن هذا الخان. كما

(١٧) محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، ص ١٣.

(١٨) محمد مصطفى زيادة: أحمد بن علي المقريري، بحث في كتاب «دراسات عن المقريري» الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١ م، ص ٨-٧ - وليم موير: دولة الماليك، ص ٧-٧ - كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ج ١ ص ٣٨٦، هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٧٠.

(١٩) المقريري: السلوك، ج ٣ ص ٣٠.

(٢٠) المقريري: السلوك ج ٣ ص ٢٨٥.

يرجع إليه الفضل في تأكيد ما أصابته مدينة عمان من ازدهار في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، فقد ذكر ما يشير إلى أنها كانت مدينة عامرة كثيرة الخيرات، يقصدها التجار وأصحاب المصالح وينتجمها العلماء.

٣ - «تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحترين من بني العرب»، لصالح بن يحيى بن صالح بن الحسين المتوفى بعد سنة ٨٤٠هـ (١٤٣٦م). هذا الكتاب نوع من التاريخ المحلي الذي يجمع بين تاريخ الأسرة الحاكمة، وتاريخ مدينة بيروت التي تولت حكمها^(٢١). ومع ذلك فإن أهمية هذا التاريخ تتركز حول المعلومات الهامة التي نقلها إلينا المؤلف عن حياة بيروت وما حولها من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وهي معلومات وأخبار موثوق بها، إذ اعتمد المؤلف فيها على وثائق عائلية اطلع عليها بنفسه وذكرها في كتابه، ومن هنا ترجع أهمية المادة التاريخية التي أوردتها صالح بن يحيى لاعتمادها على النقل المباشر من الوثائق المحفوظة لدى أسرة المؤلف. وقد أفادني هذا الكتاب فيما أوردته عن الأخبار المتعلقة بالحصار الذي أحكمته على الناصر أحمد بالكرك قوات مصر والشام في سنة ٧٤٣هـ (١٣٤٣م)، واشترك البحترين في هذا القتال. وقد انفرد بذكر خبر خطير وهام، وذلك في معرض سرده لأحداث الحصار: فقد ذكر أن الناصر أحمد استخدم المدافع، وهي أول مرة ينص فيها مؤرخ صراحة على استخدام هذا السلاح مما ترتب عليه نتائج هامة منها قدرة الناصر أحمد على الصمود عامين كاملين. كذلك انفرد صالح بن يحيى بذكر السهام المكفّنة التي كان يرميها الناصر أحمد على المهاجمين من شراريف قلعة الكرك^(٢٢).

٤ - كتاب «الأعلام بتاريخ أهل الإسلام»، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر

(٢١) عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص ١١٠.

(٢٢) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص ١٠٥، ١٠٦.

ابن محمد بن عبد الوهاب الأسدي الدمشقي المعروف بابن قاضي شعبة، المتوفى سنة ٨٥١ هـ (١٤٤٧ م)، نشأ ابن قاضي شعبة نشأة علمية في أسرة اشتهر أفرادها بالعلم، وتفقّه على علماء دمشق، وتولى التدريس في مدارسها، وإفتاء دار العدل. وكان الفقه هو الصفة المميزة له، فصنف فيه العديد من المصنفات حتى أن السيوطي وصفه بأنه «فقيه الشام ورئيسها ومؤرخها»^(٢٣). وقد صنف كتابه المذكور وجمله ذيلًا على تاريخ الذهبي وهذا الكتاب لا يزال مخطوطاً، ويقع في سبعة أجزاء. وقد أفدت من هذا الكتاب فوائد كثيرة في تاريخي لثورة الناصر أحد بالكرك، فقد ذكر المؤلف تفاصيل دقيقة انفرد بنشرها واعتمد فيها على مصادر مفقودة لم تصل إلينا، فهو لذلك يعتبر المصدر الأول في تاريخ أحداث هذه الفترة. كما أفادني في التاريخ الاقتصادي لمنطقة شرقي الأردن، فذكر لنا ما يشير إلى قيام أودية الكرك بزراعة أشجار الجوز، والأغوار بزراعة قصب السكر، واهتمام نائب دمشق بالإشراف على عملية قطعه وعصره واستخراج السكر منه، شهوراً طويلة من كل عام^(٢٤). كما اعتمدت عليه في ترجمة لجمهور من علماء الأردن وفقهائها، مما كان له أعظم الأثر في إجلال صورة الحياة العملية في هذه البلاد موضوع البحث.

٥ - «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين بن يوسف المينتابي المعروف بالعيني، المتوفى سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م). ولد في بلدة عينتاب الواقعة بين مدينتي حلب وانطاكية حيث كان أبوه يتولى القضاء فيها. ونشأ العيني في بيئة تشتهل بالعلم، فدرس وتفقّه، ثم رحل في طلب العلم، إلى أن استقر أخيراً في القاهرة، فعمل بالتدريس فيها، ثم تولى منصب المحتسب في سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٩ م). وبسبب معرفته الجيدة للغة التركية نجح في الوصول إلى بلاط السلطان المملوكي، فارتفعت مكانته في نظر السلطان. وللعيني العديد من

(٢٣) السيوطي: نظم العيان، ص ٩٤.

(٢٤) ابن قاضي شعبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢ لوحة ١٤٢، ١٤٣ «مخطوط».

المصنفات في التفسير والحديث، وعلوم اللغة والفقه والمنطق والمروض والتاريخ، وعلى رأس مؤلفاته التاريخية جميعاً كتابه العظيم «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان». ويبحث هذا الكتاب في التاريخ العام من بدء الخليقة حتى عام ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م)، وهو كتاب ضخيم، يتكون من خمسة وعشرين جزءاً في تسعة وستين مجلداً لا تزال جميعها مخطوطة، وقد اعتمدت على الأجزاء الأخيرة من المخطوطة، وتعتبر بحق مذكرات في غاية الأهمية. ومع أن العيني لم يعاصر فترة البحث الذي نحن بصده، إلا أنه نقل إلينا أخباراً فريدة لم يتهماً لغيره من معاصريه أن يتوصلوا إليها، فقد أمكنه بحكم صلته بسultan مصر الإطلاع على وثائق ومصنفات لم يقدر لها أن تصل إلى غيره من المؤرخين، الأمر الذي يرفع من قيمة كتابه، ويجعله من أصدق المصادر في التاريخ المملوكي. وعلى هذا الكتاب اعتمدت بوجه خاص فيما يتعلق بالتفصيلات الدقيقة والنادرة في آن واحد، التي أوردها عن الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة، وما رواه عن ثورته بالكرك وخروجه لدمشق وخطة سيره، والعيني بهذه التفاصيل ينقل إلينا صورة حية عن اتصالاته مع أمراء الشام ونوابها، ويورد نص هذه المراسلات. ومن خلال هذه التفصيلات التاريخية الدقيقة أمكنني أن أجمع عدداً كبيراً من أسماء القرى والأماكن الأردنية التي لم يذكرها غيره، وساعدني ذلك على توضيح طبوغرافية المنطقة ومعرفة أقسامها الإدارية.

٦ - كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لجمال الدين يوسف بن تغري بردى المعروف بأبي الحسن المتوفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م). كان أبو الحسن تلميذاً لكل من المقرئزي والعيني، إلا أن تأثير أستاذه المقرئزي عليه فاق تأثير العيني، حتى أنه تمكن من أن يقف مع أستاذه المقرئزي موقف القرين أو يكاد^(٢٥)، إلى حد أنه - أعني أبا الحسن -

(٢٥) سعد زغلول عبد الحميد، أهمية ابن تغري بردى لتاريخ المغرب والأندلس، بحث في كتاب «المؤرخ ابن تغري بردى»، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ١٩٧٤ م ص ١٢٨.

ذيل على السلوك تاريخياً سماه « حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ». ولم يلبث أبو المحاسن بعد وفاة أستاذه أن احتل مركز الصدارة بين المؤرخين المصريين، وذلك في أواسط القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). ومن المعروف أن والده كان من أعيان أمراء الماليك، وقد أهله ذلك لشغل عدد من المناصب الهامة في دولة الماليك الثانية، نذكر من بينها نيابة حلب ودمشق. كما شارك في كثير من الأحداث التي وقعت في عهده، أما الحوادث التي سبقته فقد اعتمد فيها على الرواية عن أبيه، فكان يقول « حكى لي الوالد »، أو « قال الوالد »^(٢٦). ولابن تغري بردي مصنفات عديدة أهمها « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة »، الذي اعتمد في كثير من مادته على المقرئزي، إلى حد أن نقوله جاءت في كثير من الأحيان حرفية. ومع ذلك فإن أجزاءه الأخيرة تتميز بالتفصيلات الصحيحة والمعلومات الدقيقة، بحكم كونه معاصراً لتلك الأحداث مطلقاً عليها. والكتاب في جملته يعتبر مصدراً أساسياً للحياة السياسية والإدارية والاقتصادية في عصر دولة الماليك الأولى والثانية. وقد زودني أبو المحاسن بمادة غنية خاصة ما يتعلق بتاريخ ثورة الناصر أحمد بالكرك ثم لجوئه إليها، وما جرى بعد ذلك من محاربة الأمراء له إلى أن لقي مصرعه. وأبو المحاسن في كل ما يرويه من هذه الحوادث يتسم بالدقة والتقصي لعدد التجاريد التي وجهت من مصر والشام لحصار الكرك، ولا غرو في ذلك فأبو المحاسن من المؤرخين المعروفين بسعة المعرفة وشدة التدقيق والتحري في كتابته^(٢٧)، وهو إلى جانب ذلك مجتهد كدود أمين، تخصص في التاريخ والتراجم فأبدع وأجاد.

٧ - كتاب « عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الإقامة والأسفار » لعمر بن أحمد

(٢٦) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ٣٥٧، ٣٧٨.

(٢٧) محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي، ص ٣٥، محمود اسماعيل

عبد الرزاق: منهج المؤرخ ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، بحث في كتاب « المؤرخ

ابن تغري بردي »، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص ١٢٠، ١٢١.

ابن علي الحلبي المعروف بابن الشماع، المتوفى سنة ٩٣٦ هـ (١٥٢٩ م) من فقهاء حلب وعلماؤها، أخذ العلم على علماء بلده، ثم رحل في طلبه والاستزادة منه الى دمشق فالقاهرة فالقدس فمكة، ثم استقر بحلب حيث انتهت إليه رئاسة الحديث. ويقع كتابه «عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الاقامة والأسفار» في ثلاثة أجزاء ما تزال مخطوطة. وقد سجل ابن الشماع في هذا الكتاب جميع الرحلات التي قام بها، كما ضمنه اتصالاته برجال العلم ومدى استفادته منهم. وأهم هذه الرحلات على الاطلاق تلك التي كان يقوم بها الى الحجاز لأداء فريضة الحج، فكان دقيقاً في ملاحظاته يذكر الأماكن التي يمر بها ويصفها. وقد استفدت من هذه المخطوطة فائدة عظيمة، اذ صححت بفضلها ما كان معروفاً عند المؤرخين من ارجاع خانات الأردن الى العصر العثماني، ولكن ابن الشماع في رواياته يثبت انها مملوكية، فقد مر بكل من خان القطرانة وخان قياد (ضبعة)^(٢٨). وهو بذلك ساعدني على أن أحسم النقاش الذي كان قائماً بين الباحثين حول نسبة هذه الخانات وتاريخها.

٤ - كتب التراجم:

على الرغم من الاقبال الشديد في عصر دولة المهاليك على الكتابة في التاريخ السياسي بحيث ظهر في هذا العصر أعظم مؤرخي مصر الاسلامية، ممن أبدعوا في تاريخ أحداث مصر والشام في العصر الاسلامي عامة وعصر المهاليك بوجه خاص، إلا أن أروع نتاج الكتابة التاريخية عند المصريين والشاميين تتجلى في الواقع في كتب التراجم اكثر مما تتجلى في التواريخ، وكتب التراجم في الحقيقة تجمع بين السيرة والأخبار السياسية العامة المحلية. وقد تبين لي أهمية كتب التراجم عندما عثرت في بعضها على فقرات هامة قد تبدو من قبيل السرد العام أثناء الترجمة، إلا أنها في الحقيقة تتضمن من الأفكار الهامة ما فتح لي المجال لاستنباط كثير من الحقائق المتعلقة ببعض مظاهر الحضارة في المنطقة موضوع

(٢٨) ابن الشماع: عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الإقامة والأسفار، ج ٢ لوحة ٣٥، «مخطوط».

الدراسة. ومن بين هذه الكتب التي اعتمدت عليها في إعداد هذه الرسالة:

١ - كتاب « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة »، لأحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود المعروف بابن حجر الصقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ (١٤٤٨م) تلقى ابن حجر علومه في القاهرة ودمشق، وزار العديد من مدن الشام، وقد أهله معرفته بالعلوم الدينية وتقلده لبعض الوظائف الشرعية من تأليف عدد من المصنفات في الحديث والفقه والتاريخ والتراجم. والكتاب الذي نحن بصددده هو « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة »، ترجم فيه لأبرز شخصيات القرن الثامن الهجري. وقد استفدت من تراجمه في تتبع النشاط العلمي في الأردن، كما استطعت أن ألتقط من بعض العبارات الواردة في ترجمته لسنجر الجاولي ما يوضح لنا أعماله الانشائية في الكرك، وذلك عندما أوكل الناصر محمد الى هذا الأمير في سنة ٧١١هـ (١٣١١م) مهمة بناء المدرسة والبيمارستان وخان السبيل ودار النيابة فيها^(٢٩).

٢ - كتاب « الضوء اللامع في أخبار أهل القرن التاسع »، ل محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عثمان المعروف بالسخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ (١٤٩٦م). السخاوي من أشهر تلاميذ ابن حجر إذ لازمه صغيراً فحبيب إليه دراسة الحديث والتاريخ والتراجم، وقد حظي السخاوي برعاية أستاذه ابن حجر، وتأثر بكتابه. وللسخاوي مؤلفات عديدة في الحديث والفقه والتاريخ والتراجم، أما كتابه الذي يهنا هنا وهو « الضوء اللامع في أخبار أهل القرن التاسع »، فقد ترجم فيه للمشهورين من الرجال والنساء في هذا القرن استكمالاً لكتاب الدرر الكامنة لأستاذه. وعلى الرغم من اقدم السخاوي على تجريح معظم من ترجم لهم في الضوء اللامع الى حد أن السيوطي نعمته بالمؤرخ الجارح^(٣٠)، فإن هذا الكتاب

(٢٩) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٢٦٦.

(٣٠) يقول السيوطي: « ثم اكب على التاريخ فأفنى فيه عمره، وأغرق فيه عمله، وعلق فيه أعراض الناس، وملأه بماويه الخلق، وكل ما رموا به إن صدقاً وإن كذباً » (انظر: نظم العقبان ص ١٥٢).

بعد فخر مؤلفات السخاوي. وقد أفدت منه في تاريخي للحياة العلمية في منطقة شرقي الأردن، إذ تمكنت من التعرف على عدد كبير من العلماء والفقهاء والأدباء ينتمون الى هذه المنطقة.

هذه نبذة بسيطة لتحليل بعض المصادر التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث، بالإضافة الى عشرات المصادر الأخرى المخطوطة والمطبوعة، التي لا تقل أهميتها عن المصادر التي عرضت لها في هذه الدراسة.



الفصل الأول النظام الإداري

١ - نيابة الكرك:

أولاً: وظائف أرباب السيوف:

- ١ - نيابة السلطنة
- ٢ - نائب القلعة
- ٣ - والي المدينة
- ٤ - الحاجب
- ٥ - نقيب الجيش
- ٦ - المهندارية
- ٧ - مقدمة البريد

ثانياً: الوظائف الدينية:

- ١ - القضاة
- ٢ - المحتسب
- ٣ - ناظر البيارستان
- ٤ - الخطابة
- ٥ - التداريس

ثالثاً: الوظائف الديوانية:

- ١ - ناظر الكرك
- ٢ - كاتب السر
- ٣ - ناظر الجيش
- ٤ - ناظر بيت المال

رابعاً: الجيش:

- ٢ - ولاية البلقاء:
- ٣ - نيابة عجلون:



(١)

نيابة الكرك

هي إحدى القسمين الإداريين الرئيسيين لمنطقة شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، وأعني به القسم الجنوبي، أما الشمالي فكان يضم نيابة عجلون وولاية البلقاء. وكانت نيابة الكرك تشمل على نيابة مركزها مدينة الكرك، وأربع ولايات هي^(١):

- ١ - ولاية الشوبك.
- ٢ - ولاية معان.
- ٣ - ولاية زغر.
- ٤ - ولاية البر.

ويتولى كل من هذه الولايات وال يعين من قبل نائب السلطنة بالكرك، وكانت مكاتباتهم تقتصر على نائب الكرك^(٢). ويرابط في الولايات أجناد لمساعدة الولاية يعينون من قبل النائب أيضاً^(٣). أما النظر في قضايا الناس والفصل فيها فيسند الى قاضٍ يقيم عادة مع الوالي في مركز الولاية والى جانب متولي الولاية وجدت وظيفة إدارية أخرى هي وظيفة والي البر ومركزة مدينة

(١) العمري: التمرين بالمصطلح الشريف، ص ١٨٣ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٥٦، ١٥٧، ٢٤٢ - الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٥٤ «مخطوط».

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٧ ص ١٨٠.

(٣) الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٥٤ «مخطوط».

الكرك نفسها وعمله يختص بالامور المتعلقة ببرها الكائن ظاهرها والمناطق المجاورة لها.

وتتوزع المناصب الادارية نيابة الكرك على النحو التالي:

أولاً: وظائف أرباب السيوف

١ - نيابة السلطنة:

أصبحت الكرك نيابة منذ أن انتزعتها السلطان الملك الظاهر بيبرس من أميرها الأيوبي السلطان الملك المغيث عمر، وذلك في سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م)، وأخذت هذه النيابة تلقى منذ ذلك الحين اهتماماً خاصاً من سلاطين دولة المماليك الاولى، فكانوا يعينون عليها أميراً كبيراً من أعيان أمرائهم، كأتابك المسكر^(٤)، ثم تجاوز نائبها هذا المنصب فأصبحت تختص بأبناء السلاطين، فقد تولاه على التعاقب كل من السعيد والسعود ولدا السلطان الملك الظاهر بيبرس، ثم عين الملك الناصر محمد فيها ابنه الناصر أحمد، وكانت قبل ذلك اقطاعاً للناصر محمد نفسه عندما لجأ إليها في سلطنته الثالثة. ومن الامتيازات التي اختصت بها هذه النيابة أن نائبها كان لا يكتب معاملاته إلا على الورق الأحمر الشامي، وهي ميزة خاصة اختص بها نائب الكرك ونائب دمشق دون غيرها من نواب الشام جميعاً^(٥). كما منحها السلطان الناصر محمد امتيازاً يناظر ما كانت تتمتع به نيابة السلطنة بدمشق، فعندما أصدر أوامره في سنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م) الى نواب الشام بأن يكاتبوا الامير تنكز نائب دمشق، ويتولى هو بدوره مكاتبته السلطان بأمرهم، استثنى السلطان نائب الكرك من ذلك الشرط^(٦).

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٢ ص ٢٢٥ - ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٣٢ - أحمد عزت عبد الكريم: التقسيم الإداري لسورية، مجلة آداب جامعة القاهرة، مايو ١٩٥١ م، ص ١٣٠، عبد العزيز سالم: طرابلس الشام، ص ٣٠٤.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٦ ص ١٩٣، ج ٨ ص ٥٤ - ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٣٢.

(٦) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٩ ص ٣٨.

والنائب عادة يقوم مقام السلطان في عامة الامور ، ويعلم في التقاليد والتواقيع
والمناشير وغير ذلك من الامور المتعلقة بنيابته^(٧). وكان يقيم بقصر مخصص لذلك
في المدينة يعرف بدار النيابة ، أو « قصر النيابة »^(٨) ، وكانت له ادارة خاصة به
وخاتم خاص بنيابته ، وأوجده الظاهر بيبرس في سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م)^(٩). كما
كان لنائبها استادار^(١٠) ، يتكلم في شؤون اقطاعه وفلاحيه الذين يعملون بهذا
الاقطاع ، ويشرف أيضاً على أمور بيته ونفقاته^(١١). وكان له ممالিকে الخاصون به ،
بالاضافة الى أنه اختص في بعض الاحيان بثانين طواشياً^(١٢). وكان السلاطين
دوماً ينعمون عادة على نائب الكرك باقطاع كبير فعندما ولى السلطان الظاهر
بيبرس الأمير عز الدين أيدير الظاهري نيابة الكرك سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م)
منحه بلد الخليل اقطاعاً له ، ثم انتزعه منه عندما ولاه نيابة دمشق ، ووهبه
اقطاعاً لنائبها الجديد الامير علاء الدين أيديكين الفخري^(١٣) ويعبر ذلك التصرف
من جانب بيبرس على أن لنائب الكرك منزلة خاصة ، وكان نائب الكرك يتمتع
باقطاع واسع في منطقة الكرك نفسها يتحصل له على مبالغ كبيرة^(١٤). وكثيراً ما
كان هذا الاقطاع يزداد اتساعاً بمزيد من الاقطاعات كما حدث لنائبها في عهد
الناصر محمد بن قلاوون ، إذ زاد في اقطاعه سبع قرى جديدة^(١٥). وهذه
الاقطاعات الكبيرة تفسر لنا الثراء الواسع الذي كان ينعم به نواب الكرك ،
ونستدل على ذلك مما سبق أن أشرنا إليه عندما تعرضنا لذكر لجوء الناصر محمد
الى الكرك ، وقد ذكرنا أن الناصر محمد قبل من نائبها جمال الدين آقوش

-
- (٧) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٦٥- القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٦ .
(٨) ابن حجر: الدرر الكامنة ، ج ٢ ص ٢٦٦- أبو الحسن: حوادث الدهور ، ج ١ ص ٣١٩ .
(٩) القرظي: السلوك ، ج ١ ص ٤٩٢- العيني: عقد الجمان ، ج ٢٠ ق ٣ لوحة ٤٩٣ «مخطوط» .
(١٠) السخاوي: الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ٢١٧ .
(١١) السكي: معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٣٩ .
(١٢) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ج ٣ لوحة ٢٦١ «مخطوط» - السخاوي: التبر
السبوك في ذيل السلوك ، ص ٣٨٩ .
(١٣) ابن شداد: الأعلام الخطيرة ، ج ٣ ص ٢٤٢ .
(١٤) القرظي: السلوك ، ج ٢ ص ٤٤ .
(١٥) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ، ج ٩ لوحة ٣٠٣ «مخطوط» .

المتحصل من غلات اقطاعه، وكان شيئاً كثيراً^(١٦). ونتيجة لهذا الثراء العريض الذي كان يتمتع به نائبها، كان هذا النائب في حياته الخاصة سلطاناً مصغراً، فكان قصره صورة مصغرة من قصر السلطنة بالقاهرة كما انه كانت تصنع برسم نائب الكرك جمال الدين آقوش أدوات وأوان من النحاس خاصة به - وقد وصل إلينا من هذه الأمثلة طبق من النحاس الأصفر يرجع تاريخه الى سنة ٧٠٨ هـ محفوظ في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، نقش عليه كتابة تحمل اسمه نصها: (مما عمل برسم المقر العالي العالمي العاديم الجاهدي المرابطي المثاربي المظفري المنصوري الجمالي جمال الدين آقوش نائب السلطنة بالكرك المهروس). ونصف طبق آخر من النحاس في نفس المتحف المذكور نقش عليه العبارة التالية: (مما عمل برسم المقر الشريف العالي الجمالي نائب السلطنة المعظمة بالكرك المهروس)^(١٧). وكان نائب الكرك شأنه شأن بقية نواب الشام، يركب مرتين في الاسبوع، في مركب مهيب، يحف به الامراء والحجاب وأركان النيابة، ويخرج الى ظاهر مدينة الكرك، ثم يعود في أهبة عظيمة وتجميل كبير^(١٨).

وكانت العادة أن يرسل السلطان الى النائب تقليداً بنيابته في كل سنة، ويرفق ذلك بخلعة يلبسها النائب ويشق بها البلد في احتفال كبير^(١٩). وفي مقابل ذلك كان النائب يقدم الى السلطان في كل سنة عدداً من التقادم والهدايا، وجرت العادة أن يتقبلها السلطان ثم يعلن عن رضائه عن النائب بأن يخلع عليه. هذا بالإضافة الى الأموال التي كان يقدمها النائب الى خزينة السلطنة. ويمكننا

(١٦) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ١٧٩.

Combe, Sauvaget, wiet,

(١٧)

Repertoire chronologique d'épigraphie Arabe, vol.14. P.23.24.

أن ينقش المرء اسمه على أدوات مطبخه وبيته أقصى ما وصل إليه التقدم الاجتماعي في عصرنا الحاضر، ويلاحظ ذلك في قصور الملوك والأمراء والأغنياء والمؤسسات الكبرى كالبنادق والمطاعم وشركات الطيران وغيره.

(١٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩٤.

(١٩) ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين» لوحة ٤٠٠ «مخطوط» - ابن طولون: مفاكهة

الخلان، ج ١ ص ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٨.

تقدير هذه المبالغ اذا علمنا ان ما يتحصل في نيابة الكرك من المكوس في جسر الحسا يصل الى عشرة آلاف مثقال من الذهب^(٢٠).

٢ - نائب القلعة:

كانت نيابة القلعة مستقلة تماماً عن نيابة السلطنة، ويتولى صاحب هذا المنصب بمرسوم شريف يصدر من القاهرة. ويختار عادة من بين مقدمي الألف أو أمراء الطبلخاناه، ويقم عادة في دار السعادة بالقلعة^(٢١). ويعتبر السلطان الظاهر بيبرس أول من أحدث هذه الوظيفة بقلعة الكرك سنة ٦٧٤ هـ وذلك بعد ان حاولت حاميتها القيام بالثورة عليه، فندب لولاية القلعة الامير شمس الدين صواب السهيلي، وهو أول من تولى هذا المنصب^(٢٢).

ومن اختصاصات نائب القلعة، أو متولي القلعة^(٢٣)، أن يقوم بصيانتها وحفظها، وعارة ما وهي من بنائها أو ما تدعو الحاجة إليه: من تجديد أبنيتها، وتشييد أفنيتها، وشد عقودها. كما يتولى المحافظة على الخزانة السلطانية ويمكننا تقدير المبالغ الضخمة التي كانت تحتويها هذه الخزانة إذا علمنا أن أحد أبراجها تشقق في سنة ٦٦٢ هـ من «كثرة ما أودع فيه من الذهب»^(٢٤). وكان يصرف جانباً من عنايته بالزردخانة التي تخزن فيها الاسلحة المختلفة، وهي قاعة مخصصة لذلك في القلعة تشبه ما كان يعرف في نيابة الاسكندرية بقصر السلاح، كما كان يهتم بشؤون المؤن والذخائر الموجودة فيها. ومن مهامه الاشراف على غلق أبواب القلعة عند غروب الشمس وفتحها بعد الشروق مع احتفاظه أثناء ذلك

(٢٠) ابن شاهين: زبدة كشف المالك، ص ١٣٢.

(٢١) المقريزي: السلوك، ج ٣ ص ٦٥٧- أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ٣٤٨- ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٢٥٠. وكانت تسمى هذه الدار في عهد إمارة الكرك الأيوبية دار السلطنة (انظر: ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين» لوحة ٣٣١ «مخطوط»).

(٢٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣ ص ١٢٣- وعن نائب القلعة في الكرك، انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤١، ٢٤٢- ابن بهادر: فتوح النصر، لوحة ٤٩١ «مخطوط».

(٢٣) الميني: عقد الجمان، ج ٢٣ ق ١ لوحة ٢ «مخطوط».

(٢٤) ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين» لوحة ٤٢٧ «مخطوط».

بالمفاتيح لديه^(٢٥). وكان لنائب القلعة أجناد بحرية، ومماليك يقيمون في القلعة. مهمتهم القيام على حفظها. ويشكلون قسماً من جيش النيابة^(٢٦). وكان النائب يرتب جماعة منهم لحراسة القلعة، وهم الحراس والمسس^(٢٧)، حماية لاسوارها من عبث المتسللين^(٢٨). كما كان لا يسمح لرجال القلعة بمغادرتها إلا بدستور (إذن خاص)، بشرط أن يعود في يومه^(٢٩). ويرتب النائب في القلعة في العادة طبلا لاستعلام أوقات الليل، ففي الثلث الاول من الليل يضرب عليه ضربة واحدة، وفي الثلث الثاني ضربتين، وفي الثلث الأخير ثلاث ضربات حتى يؤذن الصبح، وهذه الضربات كانت تتكرر في أوقات محددة^(٣٠). وبالإضافة الى كل ما سبق أن ذكرناه من مهام، كان نائب القلعة عين السلطان على النائب، وعلى كل موظفي الادارة في النيابة وأعمالها. ولهذا وضع البريد الطائر (الحمام الزاجل) تحت تصرفه لابلاغ السلطان كلما دعت الضرورة بكل جديد. وعرف متولو هذا النوع من البريد بنواب الحمام. فهو الذي يطالع الابواب العالية بالاخبار ويبادر بالرد على ما يرد عليه منها^(٣١).

٣ - والي المدينة:

كان يطلق على متوليها في المهود السابقة على عصر دولة المماليك صاحب الشرطة^(٣٢). وأول من عين والياً لمدينة الكرك هو السلطان الملك المنصور قلاوون وذلك في سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)، بعد أن تسلمها من الملك المسعود ابن

(٢٥) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٤٩.

(٢٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٥.

(٢٧) المسس: الطواف بالليل لتتبع أهل الربيع (المقريزي: الخطط، ج ٣ ص ٣٦٢).

(٢٨) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٩٦ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١ ص ٩٢.

(٢٩) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والمصور، ص ١٩٧.

(٣٠) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٥.

(٣١) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ٩٦، وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١١ ص ٩٢.

(٣٢) المقريزي: الخطط، ج ٣ ص ٣٦٢. وكان هذا المنصب مرفوعاً في الأندلس باسم صاحب المدينة الذي يقابل ما يسمى بالمحافظ.

الظاهر بيبرس. فأقام على نيابة السلطنة: الامير عز الدين آيبك الموصلية المنصوري، وعلى نيابة القلعة الامير بدر الدين بكتوت الملاي، في حين عين الأمير عز الدين آيبك النجمي والياً على مدينة الكرك، وكان أول وال يتقلد هذا المنصب^(٣٣). ومن اختصاصات والي المدينة حفظ الأمن ومطاردة اللصوص والمفسدين، ومراقبة الخمارين وغيرهم ممن يسيئون التصرف، والحفاظة على أموال الناس وأرواحهم، وكان له الحق في جلد المخالفين من السكارى بالعصا^(٣٤) ولكن لم يكن له الحق في التجسس على الناس بحجة البحث عن المنكر في بيوتهم ويمنع أيضاً من هتك حرمة بيوت الناس وأخذ أموالهم باسم القضاء على المنكر. وكان يساعده في مهامه عدد من رجال الشرطة والحراس والعسس، فعمله يجمع بين عمل المحتسب وعمل العسس أو الشرطة.

٤ - الحاجب:

ويتولى الحاجب^(٣٥) في العادة فض المنازعات بين الجند إما بنفسه أو بالرجوع الى النائب. وكان من جملة مهامه أيضاً عرض الجند وتقديم من يرد الى النائب والاستئذان لهم، كما كان يقوم مقام النائب في كثير من الأحيان^(٣٦). فاذا ما غاب النائب لفترة ما حل محله الى حين عودته^(٣٧). وكان يحدث ان يتولى الحجابة في الكرك حاجبان^(٣٨).

(٣٣) العيني: عقد الجمان، ج ٢٠ ق ٤ لوحة ٧٠٥ «مخطوط». وهناك رواية أخرى تشير إلى أن أول من أوجد هذه الوظيفة في الكرك هو الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م). انظر: ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ٣ ص ٧٥.

(٣٤) السبكي: معين النعم ومبيد النقم، ص ٦١، ٦٢، ٦٣.

(٣٥) الحجة والحجابة: حفظ باب الخليفة أو الملك أو الوزير والاستئذان للداخلين عليه ومن يتولاها يدعى الحاجب. ويشترط فيه أن يكون نصفاً (متوسط العمر) قد أحكمته الأمور وحكته له عقل وحزم وحزمة (ابن هلال الصائغ: رسوم دار الخلافة، ص ٧١).

(٣٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩.

(٣٧) بقول القريري: في سنة ٨٠٢ هـ: «كان سودن الظريف نائب الكرك قد خرج منها وقدم دمشق على السلطان، بعد أن استخلف على الكرك الحاجب شعبان بن أبي العباس» - القريري: السلوك، ج ٣ ص ١٠١٥.

(٣٨) ابن شاهين: زبدة كشف المالك، ص ١٣٢. وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤١ =

٥ - نقيب الجيش:

وجدت هذه الوظيفة في الكرك^(٣٩). وكان نقيب الجيش في العادة في مقام الحجاب الصغار. وكان هو المسؤول أمام النائب أو الحاجب فيما يتعلق بطلبها أحد الأمراء أو الجند، كما كان يلتزم باحضاره إليه عندما يطلب منه ذلك. بالإضافة الى أنه هو الذي يوجه إليه طلب القبض على أحد رجال الجيش. كما كان يلتزم بحراسة النائب في ركوبه وسفره أو خروجه للصيد ونحو ذلك^(٤٠). ومن مهامه أيضاً القيام بعرض الجند اذا ما اقتضى الأمر ذلك.

٦ - المهندارية:

صاحبها يعرف « بالمهندار »، ويقتصر عمله على تلقي الرسل الواردين الى النائب، وأمراء العربان وغيرهم ممن يرد الى الكرك، فينزلهم في دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم^(٤١). ويشترط في المهندار أن يتمتع بمصلحة المسلمين، ويهرب القصاد ويوهمهم بقوة المسلمين وشدة بأسهم^(٤٢).

٧ - مقدمة البريد:

وظيفة كان يتولاها مقدم البريد أو صاحب البريد^(٤٣). واختصاصه التحدث عن جماعة البريدية بنبابة الكرك، والتعيين في هذه الوظيفة حق لنائب السلطنة بالكرك^(٤٤).

٢٤٢، أما الخالدي فيذكر أن للكرك حاجب واحد في عهده (المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٣٥ «مخطوط»).

(٣٩) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٣٢.

(٤٠) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٦ - القريري: المخطط، ج ٣ ص ٣٦٢.

(٤١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤١، ج ٥ ص ٤٥٩.

(٤٢) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٤٥.

(٤٣) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٢٥١.

(٤٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٧.

ثانياً: الوظائف الدينية

١ - القضاة:

يمثل قاضي القضاة رأس الهيئة القضائية بنيابة الكرك^(٤٥). وهو الذي يقوم بتعيين القضاة في جميع ولايات النيابة^(٤٦). ويتولى القضاء بالكرك قاضيان الاول شافعي والثاني حنفي^(٤٧). وقاضي الشافعية يرتفع درجة على زميله الحنفي، لذلك يتمين على قاضي الشافعية النظر في الأوقاف والقضايا الخاصة ببيت المال^(٤٨). ويساعد القاضي في مهمته كل من:

كاتب القاضي:

ويشترط فيه أن يكون عارفاً لمدلولات الألفاظ العرفية واللغوية، حسن الفهم، شديد الملاحظة له دراية بالمحاضر والسجلات^(٤٩).

حاجب القاضي:

وهو الذي يستأذن على القاضي، ويرفع الامور إليه، ويشترط في اختياره أن يكون تقياً حسن الخلق، لا يقبل رشوة ولا يجنب عن القاضي من يريد مقابله^(٥٠).

(٤٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٩ ص ٢٥٥.

(٤٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٩ ص ٢٥٥. يتردد كثيراً في المصادر ذكر قاضي الثوبك ولكننا لم نجد ذكراً لقاضي زغر ومعان (انظر: السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥ ص ٢٥١ - ولي الدين العراقي: الذيل على ذيل العبر، لوحة ٧ ولوحة ٣٣ «مخطوط» - ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥ ص ١٩٩ - ابن قاضي شعبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢ لوحة ١٣٧ «مخطوط» - النيمي: الدارس في أخبار المدارس، ج ١ ص ١٥٧.

(٤٧) ابن شاهين: زبدة كف المالك، ص ١٣٢. أما القلقشندي: فيقول أن بها قاض شافعي فقط (انظر: صبح الأعشى، ج ١٢ ص ٢٣٢) وانظر أيضاً: الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٥٣ «مخطوط».

(٤٨) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٧٨.

(٤٩) السبكي: المصدر السابق، ص ٨٥ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٠ ص ٢٨٢.

(٥٠) السبكي: المصدر السابق، ص ٨٦ - القلقشندي: المصدر السابق، ج ١٠ ص ٢٨٢.

نقيب القاضي:

ويتولى تنبيه القاضي على الشهود، وتنبيه الشهود على القاضي^(٥١).

أمناء القاضي:

وهم الذين يتحفظون في أموال اليتامى والغائبين، ويقومون بصرف زكاة اليتيم لمن يعينها القاضي. والأمناء يختارهم القاضي من أفاضل الناس^(٥٢).

الشهود:

وهم الذين يختارهم القاضي لمساعدته في عمله القضائي، ويسمون عادة «الشهود المدول» وهم ليسوا شهوداً حقيقيين كما هو المألوف في قضائنا الحالي، وإنما يختصون في النظر في صحة الاجراءات القضائية، ويقدمون الضمانة على ذلك - ويشترط في اختيارهم أن تتوفر فيهم: الامانة والاستقامة، والتفقه في الدين، وعدم التسرع في الأحكام. ويقوم القاضي دوماً بمراقبة سلوكهم وتصرفاتهم^(٥٣).

ولكل من هذه الوظائف رواتب خاصة تكفيهم عن الاساءة الى وظيفتهم^(٥٤).

وتشير المصادر العربية الى وجود «دار العدل» في مدينة الكرك، لا تعدو أن تكون ايواناً فسيحاً أو قاعة واسعة^(٥٥)، ويختص بهذه الدار في العادة مفتي يعينه نائب السلطنة^(٥٦). وفي هذه الدار ينظر في القضايا والمظالم التي لم يبت

(٥١) البكي: المصدر السابق، ص ٨٦.

(٥٢) البكي: المصدر السابق، ص ٨٧.

(٥٣) البكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٨٩ - القلقندي: صبح الأعشى، ج ١٠ ص ٢٨٢ و٢٨٣ - كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥ - عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٤٧.

(٥٤) القلقندي: صبح الأعشى، ج ١٠ ص ٢٨٢.

(٥٥) القرظي: الخطط، ج ٣ ص ٣٣٨ - ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٣٧٧، ٤١٠.

(٥٦) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩٢، ج ٩ ص ٢٥٥.

فيها القضاة، أو يشبتون عجزاً في حلها^(٥٧). ويباشر نائب السلطنة النظر في هذه القضايا، ويساعده في ذلك عدد من القضاة في أيام خاصة من الاسبوع، وجرت العادة أن يكون في يومي الاثنين والخميس. وقد باشر الناصر محمد بن قلاوون بنفسه النظر في هذه القضايا بدار العدل بالكرك عند لجوئه إليها في سلطنته الثالثة^(٥٨).

وجرت العادة أن يخلع السلطان على القضاة في المناسبات والأعياد، فكانت خلعة الشافعي بيضاء، والحنفي والحنبلي حمر، أما خلعة المالكي فكانت خضراء^(٥٩).

٢ - المحتسب:

الحسبة في الاسلام هي الأمر بالمعروف اذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله، واصلاح بين الناس^(٦٠). وهي وظيفة أوجدها الاسلام لتدعيم أوجه التعاون والتضامن بين الجميع فيستقيم أمرهم، ويبتعدون عن الأذى والعبث بمصالح الناس. وهي وظيفة خلقية وسلوكية في آن واحد، يشرف صاحبها على التجارة الداخلية، والاسواق والمكايل والأوزان، ويراقب سلامة المرافق العامة، ويمنع الغلاء والاحتكار^(٦١)، والغش والتدليس، والمعاصي وتعاطي المسكرات. ويشرف على الصنائع المختلفة، ويفحص عيار النقود الذهبية والفضية خوفاً من زغلها^(٦٢)، ويطارد الفسق والفجور والتبرج. وهي وظيفة جليلة يشترط في متوليها أن يكون: فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة، وان يعمل بما يعلم، ولا يكون

(٥٧) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢١٠.

(٥٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ٤٧ - العيني: عقد الجمان، ج ٢٢ ق ١ لوحة ٥١ «مخطوط» - ابن بهادر: فتوح النصر، لوحة ٤٥٨ «مخطوط».

(٥٩) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ٢ ص ١٢.

(٦٠) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٢٠٩، ٢١١ - ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ٥١.

(٦١) ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ١٢١.

(٦٢) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٩٣.

قوله مخالفاً لفعله، من شيمته الرفق في القول، وطلاقة الوجه، وسهولة الاخلاق، مع رأي وصراحة وخشونة في الدين^(٦٣). لقد شملت وظيفة الحسبة في الاسلام جميع نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكان لها أهميتها في حياة الناس العامة والخاصة.

وبهنا من هذا الموضوع أن هذا المنصب كان معروفاً في نيابة الكرك، فكان لمدينة الكرك محتسبها الخاص بها^(٦٤). ونمتقد أن نظام الحسبة كان معمولاً به في معظم مدن شرقي الاردن في العصر المملوكي اقتداء بالكرك، لانها كانت مدناً عامرة.

٣ - نظر البيارستان:

كان للكرك بيارستانها، بناه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١١ هـ وكانت العادة ان يتولى الاشراف عليه ناظر يفوض إليه أمره وادارته ومراقبة المرضى والاطباء فيه، كما كان متبعاً في البيارستان النوري بدمشق والبيارستان المنصوري بالقاهرة^(٦٥).

٤ - الخطابة:

كانت الخطابة من أجل الوظائف وأعلىها رتبة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين باثروها بأنفسهم. وكان للكرك خطيبها، وهو الذي نزل مع قاضي الكرك في سنة ٦٦١ هـ^(٦٦) لتسليم مفاتيح المدينة والقلعة الى السلطان

(٦٣) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص ٥٢- ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٠-١٣.

(٦٤) ابن شاهين: زبدة كنف الممالك، ص ١٣٢.

(٦٥) القلتندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩١، وانظر: ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والمصور، ص ٢٢٨.

(٦٦) ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين» لوحة ٤١٩ «مخطوط»- النوري: نهاية الارب، ج ٢٨ لوحة ٢٣ «مخطوط»- المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٤٩١- والظاهر أن الخطابة في الكرك صار يعين فيها أكثر من خطيب، فقد كان للقاضي بدر الدين حسين (ت ٨١٤ هـ) المعروف بابن قاضي اذرعان، نصف خطابة بالكرك (انظر: التميمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ٢٣٤، ٢٣٥).

الملك الظاهر بيبرس. وكانت هذه مضافة لقاضي القضاة(٦٧).

٥ - التداريس:

ويتولى هذه المهام أساتذة وشيوخ مشهود لهم بالعلم والفضل. ويكون التعيين فيها من قبل نائب السلطنة(٦٨). وهناك من يتولى وظيفة المحدث بالكرك(٦٩).

ثالثاً: الوظائف الديوانية

١ - ناظر الكرك:

يعادل في اختصاصاته اختصاصات وزير السلطنة بالكرك، وهو المنصب الذي كان معروفاً في الكرك في عهد الملك الناصر داود الايوبي، ومن وزر له في الكرك الوزير شمس الدين بن محمد بن عبد الوهاب الأنصاري(٧٠). ولكن هذا المنصب أعني الوزارة لم يلبث ان تغير اصطلاحه، فأطلق عليه في عصر دولة الماليك نظارة، وهي من أجل الوظائف الادارية، وكان ناظر المملكة بالكرك يعين في منصبه بمرسوم يصدره السلطان من القاهرة(٧١).

٢ - كاتب السر:

كانت هذه الوظيفة ذات أهمية خاصة، فمن حق صاحبها ان يتولى ديوان الانشاء في النيابة، ويطلع على جميع المكاتبات فيها، ولهذا السبب كان مرسوم توليتها يصدر مباشرة من قبل السلطان. ومن الجدير بالذكر ان السلطان كان

(٦٧) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٩، ١٩٣.

(٦٨) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩٣.

(٦٩) من الذين تولوا الحديث في الكرك، أحد بن محمود كمال الدين أبو العباس المروف بأبن المطار (ت ٧٠٢هـ)، قد حدث صحيح البخاري بالكرك بالإجازة سنة ٧٠٠هـ. (الصفدي: الوافي بالوفيات، ص ١٦٧-١٦٩). وكذلك يوسف بن دانيال (ت ٧٣١) فقد حدث بدمشق والكرك والثوبك (السيكي: طبقات الشافعية، ج ٥ ص ٢٥١). وحدث بالكرك تاج الدين أحمد بن المجيد محمد بن الشيخ (ت ٧٢١هـ) (أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٦ ص ٥٤).

(٧٠) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٤٤٧.

(٧١) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٨، ج ٩ ص ٢٥٧- المقيزي: المخطط، ج ٣ ص ٣٦٤.

يحرص ان يتولى هذا المنصب شخصية موثوق بها من خاصته، كي يطالعه بحفريات أمور النيابة، فهو الى جانب عمله الاصيلي كان عيناً على النائب^(٧٢)، يجبر السلطان بالبريد عن كل خبر قريب أو بعيد^(٧٣). ومن اختصاصات كاتب السر انه يقوم أيضاً بقراءة الكتب الواردة على النائب، وكتابة أجوبتها، وأخذ خط النائب عليها، وتصريف المراسيم الواردة والصادرة، والجلوس بدار المدل بالكرك لقراءة القصص والتظلمات الواردة من الشعب^(٧٤). وقد أشارت بعض المصادر الى وجود وظيفة كاتب للسر بالكرك^(٧٥)، ولكن القلقشندي يؤكد انه مجرد كاتب درج^(٧٦).

٣ - ناظر الجيش:

وجد في الكرك ناظر لجيشها^(٧٧)، يوليه السلطان، ومهمته تنحصر في ضبط الاقطاعات المقطعة للامراء والاجناد في النيابة، والكتابة للسلطان عن الاقطاعات المتوفرة عن أربابها بالموت ونحوها. وكان تحت أمرته ديوان خاص

(٧٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٩، ج ٩ ص ٢٥٨.

(٧٣) القلقشندي: المصدر السابق، ج ١١ ص ٣١٤.

(٧٤) القلقشندي: المصدر السابق، ج ١١ ص ٢٩٤.

(٧٥) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٣٢١- ابن خلدون: المعبر، ج ٥ ص ٤٨٩، ٤٩٤- أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ٣٥٥، ج ١٢ ص ١٣٢، ابن قاضي شهبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١ لوحة ٨٥ «مخطوط». السخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ٥٦، ج ١٠ ص ٣١٨- والمقرئزي: دعاه «مباشر الإنشاء بالكرك» (السلوك: ج ٣ ص ٦٦٦) أما ابن الصيرفي فدعاه: «كاتب الإنشاء بالكرك» (نزهة النفوس، ج ١ ص ٢٥٩).

(٧٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٢ ص ٢٣٢. وتكون توليته آنذاك من قبل النائب (صبح الأعشى، ج ٩ ص ٢٥٩- الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٥٣ «مخطوط»). كاتب الدرج: وهو الذي يكتب المكاتبات والولايات وغيرها، ويقوم مقام كاتب السر في الرد على الكتب الواردة والصادرة وربما شاركه في ذلك كتاب الدست أو الموقع (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٤٦٥، ج ١١ ص ٤٢٣).

(٧٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤١، ٢٤٢، ج ٩ ص ٢٥٨، ج ١٢ ص ٢٣٢- ابن قاضي شهبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١ لوحة ٩٣ «مخطوط»- ابن شاهين: زبدة كنف المالك، ص ١٣٢.

يشبت فيه مناشير هذه الاقطاعات الصادرة من السلطان بالقاهرة^(٧٨)، وهو في هذه الحالة يضبط كليات النيابة وجزئياتها في الاقطاعات وغيرها^(٧٩)، ويساعده في مهمته كتاب وشهود.

٤ - ناظر بيت المال^(٨٠):

هي وظيفة جليلة الشأن، لا يليها إلا من عرف بالعدالة والخلق القويم. ويتولى ناظر بيت المال الاشراف على الاموال المتحصلة في نيابة الكرك وما ينصرف منها، ويساعده في مهمته في العادة شهود بيت المال، وصيرفي بيت المال، وكاتب المال^(٨١)، وتكون ولاية هؤلاء من قبل النائب^(٨٢). وكانت هذه الوظيفة موجودة في عهد امارة الكرك الايوبية، وكان صاحبها يعرف بناظر الخزانة^(٨٣).

رابعاً: الجيش الكصور (عيسى بن يوسف)

تردد في المصادر ذكر جيش الكرك، مما يقطع بوجود جيش محلي يتولى الدفاع عن المنطقة، ويسهم في التجاريد التي يبعثها النائب عند الضرورة. ومن المعروف أنه كان للكرك جيش منذ أن كانت امارة أيوبية، وقد اشترك هذا الجيش في فتح آمد سنة ٦٢٩ هـ^(٨٤) مع قوات الكامل محمد السلطان الايوبي في

(٧٨) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٠، ٣١، ١٩٠.

(٧٩) القريري: المخطط، ج ٣ ص ٣٦٨.

(٨٠) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤١، ٢٤٢، ج ١٢ ص ٢٣٢ - الخالدي: المقصد الرفيع النشأ، لوحة ١٥٣ «مخطوط». وأطلق عليها في أحيان «وكالة بيت المال» وقد وليها سنة ٧١٤ هـ الشيخ الإمام علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد الباجي الشافعي (ت ٧١٤ هـ) (العيني: عقد الجمان، ج ٢٣ ق ١ لوحة ٤٠ «مخطوط»).

(٨١) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣١ - القريري: المخطط، ج ٣ ص ٣٦٤، ٣٦٥.

(٨٢) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٢٠.

(٨٣) كان يتولاها في عهد الملك المغيث عمر: شرف الدين بن مزهر (العمرى: سالك الأبصار، ج ١٦ ق ٣ لوحة ٦١٠ «مخطوط» - العيني: عقد الجمان، ج ٢٠ ق ٣ لوحة ٥٠٠ «مخطوط»).

(٨٤) آمد: مدينة قديمة على نهر دجلة، عليها سور من الحجارة السود في غاية الحصانة لا يؤثر فيه الحديد ولا تضربه النار، وبها عين ماء داخل أسوارها. ولها باتين وزروع كثيرة. وهي مدينة كبيرة الخصب (انظر: القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٢٤).

مصر. كما قام سنة ٦٣٧ هـ تحت قيادة الناصر داود بفتح بيت المقدس وتطهيره من الصليبيين بعد ما سلمها الكامل الى الامبراطور فردريك الثاني في الحملة الصليبية السادسة. وفي عهد الملك المغيث عمر أخذ جيش الكرك على عاتقه مهمة استرجاع عرش الايوبيين في مصر، والقضاء على دولة المماليك الناشئة ولكنه لم يوفق في مهمته. ثم اشترك هذا الجيش في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ جنباً الى جنب مع قوات مصر والشام. وعندما انتزع الظاهر بيبرس الكرك من المغيث عمر سنة ٦٦١ هـ، رتب أمر جيشها، فصرف لهم الرواتب من أمواله الخاصة عن ثلاثة أشهر سابقة، وعين لهم الرواتب والاقطاعات^(٨٥) ثم «جرد بها جماعة من البحرية والظاهرية»^(٨٦). وقد اشترك جيش الكرك المملوكي في حرب التتار زمن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون، كما اشترك في محاربتهم أيضاً في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون^(٨٧). كذلك حظي هذا الجيش بقيادة المؤرخ القائد الأمير بيبرس الدوادار نائب الكرك^(٨٨) بشرف الاشتراك في فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ. وقد قام بترتيب أمر جيش الكرك والاهتمام به كل من السلطان الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٥ هـ بعد أن تسلمها من ولدي الظاهر بيبرس، فجرد إليها جمعاً كبيراً من المماليك السلطانية المنصورية^(٨٩) ثم السلطان الملك الصالح اسماعيل سنة ٧٤٥ هـ بعد أن تم استسلام الناصر أحمد والقضاء على ثورته بالكرك^(٩٠) ولا ندري عدد الجنود الذين كان يتكون منهم جيش الكرك، فالمؤرخون لم يزودونا بنص صريح يتضمن عدته في عصر دولة المماليك الاولى ومع أن ابن شاهين الظاهري نقل

(٨٥) ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين» لوحة ٤١٩، ٤٢٠ «مخطوط» - المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٤٩١.

(٨٦) النويري: نهاية الارب، ج ٢٨ لوحة ٢٣ «مخطوط» - المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٤٩٢.

(٨٧) المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٦٩١.

(٨٨) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩ لوحة ٢٨٣-٢٨٥ «مخطوط» - المقرئ: السلوك، ج ١ ص ١٠٠٢-١٠٠٤.

(٨٩) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والمصور، ص ١٢٥ - المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٧٣٢.

(٩٠) المقرئ: السلوك، ج ٢ ص ٦٦٢، ٦٦٦ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٩٣.

البيتا احصائية عن جميع الجيوش في مصر والشام ونياباتها، الا أنه اغفل ذكر عدد جيش الكرك^(٩١). ومع افتقادنا للنص الصريح الذي يمكن أن نعتمد عليه في تقويم جيش الكرك ففي وسعنا تقدير ذلك من خلال بعض النصوص. فقد كان جيش الكرك على عهد الملك المغيث عمر يتكون من ٦٠٠ فارس، ما عدا الرجال (المشاة)^(٩٢). وفي عهد الظاهر بيبرس حدث تمرد في صفوف جيش الكرك، فقدم إليهم الظاهر وأراد أن يشنتهم جميعاً، وذكر أن جملة من أراد قتله ٦٠٠ فارس، ولكنه عفا عنهم، ونقلهم الى مصر واستبدلهم بقوات أخرى من القاهرة^(٩٣). وفي سنة ٦٧٠ هـ طلب الظاهر بيبرس أن يزداد جيش حماة من ٦٠٠ الى ٨٠٠ فارس^(٩٤). نستدل من هذه النصوص على حقيقة هامة وهي أن النيابات الصغيرة كحماة وصفد والكرك كانت محدودة القوة العسكرية في بداية عصر دولة المماليك، ولكن هذه القوى العسكرية لم تلبث أن تضاعفت على مر الايام فأصبح جيش حماة يتألف من ١٠٠٠ فارس وكذلك جيش صفد. ونلاحظ أن السلطان برقوق عند قيامه بالثورة في الكرك سنة ٧٩١ هـ، انضمت إليه قواتها، وقبل أن يتوجه بمجموعه الى دمشق «أقام بالثنية يومين ومعه نحو ألف فارس»^(٩٥).

من كل ما تقدم أستطيع القول: إن جيش الكرك كان يتراوح بين ٦٠٠-١٠٠٠ فارس، ما عدا الرجال، ومماليك الامراء المرتبين فيها. ولكن هذا العدد كان يتضاعف عدة مرات في بعض المناسبات، فقد بلغ هذا الجيش في عهد السلطان الملك المسعود اعداداً كبيرة وكان يضم المماليك ورجال القبائل

(٩١) ابن شاهين: زبدة كنف الممالك، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٩٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣ ص ٢٤١.

(٩٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣ ص ١٢٣- النويري: نهاية الارب، ج ٢٨ لوحة ٧٠ «مخطوط».

(٩٤) فضل بن أبي الفضائل: النهج السديد، ج ١ ص ٢٠٣.

(٩٥) ابن دقاق: قطعة من الجوهر الثمين، لوحة ١٤ أ «مخطوط». والثنية: مكان ظاهر الكرك أصبح فيما بعد مكاناً يقيم به حجاج الشام مدة أربعة أيام عند توجههم للحجاز (انظر: العمري: سالك الأبصار، ج ٢ ق ١ لوحة ١٧١ «مخطوط»).

العربية، بالإضافة الى أهالي الكرك ومنطقة جبال الشراة وموآب «الجبالية»^(٩٦). أما في عهد الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون فقد أصبح جيشها كثيفاً بحيث تمكن من الصمود امام الحصار ما يقرب من السنتين أثناء ثورة الناصر أحمد بالكرك. وكان جيش الكرك آنذاك يضم بالإضافة الى الفرقة المملوكية ومعظمها من الفرسان أهالي الكرك ومنطقتها «الجبالية» ورجال القبائل العربية، وكان على درجة كبيرة من التسلح بحيث أمكن لفرقة من هذا الجيش استخدام المدافع «المكاحل» ضد المهاجمين، وهو سلاح جديد^(٩٧)، لم يسبق أن استعملته أي نيابة من نيابات الشام بوجه عام.

وكان جيش الكرك يضم أمراء طبلخانات وأمراء عشرات وأمراء خسات وأجناد حلقة وبحرية وغللمان سلطانية^(٩٨)، وهذه ميزة امتازت بها نيابة الكرك

(٩٦) النويري: نهاية الارب، ج ٢٩ لوحة ٦ «مخطوط» - الميرزي: السلوك، ج ١ ص ٦٧٠. ابن بهادر فتوح النصر لوحة ٣١٢ «مخطوط».

Poliak Feudalism in Egypt, Syria, P.16.

ويقول أبو الحسن: «وقصده الناس والأجناد فصار ينعم على من يقصده واستكثر من استخدام الممالك» (انظر: النجوم الزاهرة، ج ٧ ص ٢٧١).

(٩٧) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص ١٠٥.

(٩٨) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والمصور، ص ١٢٥ - بيرس الدوادار: زبدة الفكرة ج ٩ لوحة ٤٦٨ «مخطوط» - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤١، ٢٤٢ الميرزي: السلوك، ج ١ ص ٧٣٢ - والمخطط، ج ٤ ص ٢٤٧ - ابن شاهين: زبدة كنف الممالك، ص ١٣٢. أمير طبلخانة: هو الأمير الذي يكون بخدمته أربعون مملوكاً، وتدق بياحه بمد صلاة المغرب كل يوم ثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيران وتوقد الشاعل (ابن بطوطة: الرحلة، ج ١ ص ٣٧ - ابن شاهين: زبدة كنف الممالك، ص ١١٣). أمراء المشرينات: وواحداه أمير عشرة، وهو الأمير الذي يكون بخدمته عشرون مملوكاً (ابن شاهين: زبدة كنف الممالك - ص ١١٣)، أمراء الخسون: وواحداه أمير خمسة، وهو الأمير الذي يكون بخدمته خمسة ممالك (ابن شاهين: زبدة كنف الممالك، ص ١١٣). أجناد الحلقة: أطلقت على فرقة من الممالك في العصر الأيوبي والمملوكي، وهم أهم فريق حاز الإقطاعات، إلا أنهم أقل مرتبة من الممالك السلطانية، ويأتي بالمرتبة الثالثة الممالك البحرية (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٦).

Poliak op. cit. P.2.

المصدر العسكري للمصر

دون غيرها من نيابات الشام، إذ لم يكن في تلك النيابات ممالك سلطانية^(٩٩). وجيش الكرك جيش اقطاعي كبقية الجيوش في دولة المماليك بمصر والشام. فكانت مناشير الاقطاعات للامراء وأجناد الحلقة تصدر من القاهرة بأمر السلطان، وتحفظ لدى ناظر الجيش في الكرك. أما أجناد المرتبين في الكرك فمناشيرهم من امرائهم^(١٠٠) وهكذا لم تقتصر مهمة الجيش المملوكي على الحفاظ على سلامة الدولة من المعتدين والاعداء فحسب بل كان كياناً حربياً واقتصادياً، فالأرض ملك السلطان يوزع منها على جنده وأمرائه اقطاعات تكبر وتتسع كلما ترقوا في السلك العسكري، فالاقطاع إذن والسلطان على رأسه مجال انتاج زراعي وصناعي وتجاري في ذلك العصر^(١٠١).

أما قوات القبائل العربية في منطقة شرقي الاردن المخصصة لخدمة السلطان حسب النظام الاقطاعي العسكري المملوكي، فتتكون من فرسان بني عقبة عرب الكرك وفرسان بني مهدي عرب البلقاء، وكانت عدتهم ألف مقاتل^(١٠٢). ولكن ابن الفرات يذكر أن عرب الكرك من بني عقبة وغيرهم ممن حضروا لخدمة برقوق، كانوا سبعة آلاف نفس. طلب الظاهر برقوق من أميرهم احضارهم ليكونوا عوناً له في استعادة عرشه أثناء ثورته بالكرك سنة ٥٧٩١ هـ (١٣٨٩م)^(١٠٣).

-
- (٩٩) يقول القلقشندي: لا وجود للممالك السلطانية في النيابات لأنهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان (انظر: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٢).
- (١٠٠) القرظي: المخطط، ج ٣ ص ٣٥٠.
- (١٠١) صبحي ليب: التجارة الكارمية، المجلة التاريخية، عدد ١٩٥٢ م، القاهرة، ص ٤٢.
- (١٠٢) ابن شاهين: زبدة كنف الممالك، ص ١٠٥.
- (١٠٣) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٩٢، ١٤٠.

(٢)

ولاية البلقاء

كانت ولاية البلقاء تابعة لنيابة دمشق في عهد دولة المماليك، وكانت تعتبر بداية الصفقة القبلية^(١٠٤). إلا أنها كانت في بعض الاحوال تضم الى نيابة الكرك كما حدث في عهد السلطان الملك المسعود بن الظاهر بيبرس أثناء ثورته في الكرك، وتجنيدده للقوات، عندما توسع شمالا على حساب البلقاء وضم الصلت الى نيابته (امارته)^(١٠٥). ولكن السلطان الملك المنصور قلاوون لم يلبث أن استخلصها منه، فعين بها نائبا من قبله سنة ٦٧٨ هـ، هو الأمير جمال الدين آقش الشريفي ونعتت آنذاك «بنيابة السلطنة الشريفة بالصلت والبلقاء»^(١٠٦). وفي اعتقادي أن السلطان المنصور قلاوون جعلها نيابة وأوكل أمرها لأمير جاندار وقواه بالرجال والسلاح للوقوف امام مطامع الملك المسعود ومنع توسعه نحو الشمال. ولم تلبث النيابة أن اعيدت الى وضعها القديم كاحدى ولايات نيابة دمشق بعد زوال الخطر والقضاء على ولدي الظاهر بيبرس في الكرك. ثم انتقل مركز الولاية من الصلت الى مدينة عمان التي أصبحت مقر الوالي وأضيفت إليها مدينة الصلت «جمعا بين الاختين حلالا والذروتين منالا، والرايتين نهوضاً بها واستقلالاً»^(١٠٧). ثم تحول مركز الولاية بعد ذلك الى مدينة حسان (بضم الحاء واسكان السين) فقد رأينا أن والي حسان بطق لنائب دمشق يخبره عن حركة

(١٠٤) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٧٨.

(١٠٥) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩ لوحة ١٤٨ «مخطوط» - النوري: نهاية الارب، ج ٢٩

لوحة ٦ «مخطوط» - ابن بهادر: فتوح النصر، لوحة ٣١٢ «مخطوط».

(١٠٦) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ١٥٤ - القرظي: السلوك، ج ١ ص ٦٦٥.

(١٠٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٢ ص ٣٢١.

الناصر محمد قلاوون من الكرك باتجاه دمشق في سلطنته الثالثة^(١٠٨)، وشهدنا وقوف واليها وأهالي البلقاء الى جانبه في محنته هذه عند حركته الثانية من الكرك ولهذا السبب حظيت البلقاء باهتمامه، فقام بزيارة خاصة لمدينة حسان في سنة ٧١٧ هـ بعد عودته الى السلطنة في القاهرة، فأقام بها مدة ينظر في أحوالها ويرتب أمورها. ثم رحل الى القدس والكرك^(١٠٩). وفي سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) قام الأمير صرغتمش نائب السلطنة بالديار المصرية ببناء مدرسة في مدينة عمان ونقل إليها الولاية والقضاء من حسان، فأصبحت مدينة عمان مركز ولاية البلقاء وحاضرتها، بحيث تتبعها كل من مدينتي الصلت وحسان وبذلك أصبحت عمان «أم تلك البلاد»^(١١٠).

أما والي البلقاء فكان أمير طبلخاناه^(١١١)، وفي العادة يعاونه بعض الجند في مهمته، بالإضافة الى القاضي الشافعي لفض الخصومات، وقد نقلت إلينا المصادر ذكر قاضي حسان^(١١٢)، وقاضي الصلت^(١١٣)، وقاضي البلقاء (عمان)^(١١٤). ومن الوظائف الدينية في البلقاء: الخطابة حيث وجد الخطباء في جوامعها^(١١٥)، بالإضافة الى المدرسين العاملين في مدارسها. ولما كانت أسواق مدنها عامرة، فلاشك أنه وجد في كل منها محتسب كما كان متبعاً في بقية المدن الشامية. وكان التعيين في الوظائف في ولاية البلقاء يصدر من نيابة دمشق^(١١٦).

-
- (١٠٨) العيني: عقد الجمان، ج ٢٢ ق ١ لوحة ١١٠، ١٣٧، «مخطوط» - وراجع الفصل الرابع من الرسالة.
- (١٠٩) أبو الفداء: المختصر، ج ٤ ص ٨٥.
- (١١٠) المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٣٠.
- (١١١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٠١.
- (١١٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥ ص ١٣٣ - ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١ ص ١٨١، ١٨٦، والدرر الكامنة، ج ١ ص ٧٢ - ابن قاضي شعبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١ لوحة ١٣٣، ج ٢ لوحة ٢٥٦ «مخطوط» - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣ ص ٢٠٢.
- (١١٣) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥ ص ١٣٢، ١٣٣ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥ ص ٩٩.
- الحنبلي: الأنس الجليل، ج ٢ ص ٤٧٠.
- (١١٤) أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٥٤.
- (١١٥) ابن طولون: قضاة دمشق، ص ٢٠١.
- (١١٦) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥ ص ١٣٣ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٠٧، ج ٨ ص ٢٢١، ٢٢٢، ج ١٢ ص ٣٢١ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥ ص ٩٩.

(٣)

نيابة عجلون

لم تكن عجلون ولاية كالبلقاء، بل كانت نيابة صغيرة تابعة لدمشق، وكان نائب دمشق يستقل في التولية فيها^(١١٧). وفي سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) استقر في نيابتها أمير طبلخاناه^(١١٨). ومنذ ذلك الحين أصبح لهذه النيابة أهميتها الى حد أن تولية نائبها أصبح يصدر مباشرة من الأبواب السلطانية بالقاهرة^(١١٩). ولقد لعبت نيابة عجلون دوراً عظيماً كمرکز للاتصال بين الشام والقاهرة، فكانت حلقة الوصل الوحيدة بين حاضرتي دولة المماليك: دمشق والقاهرة عبر الاغوار، فمدينة إربد ثم اذرعات وهكذا الى دمشق. والظاهر أن ولاية البلقاء ضمت الى نيابة عجلون فيما بعد، وصار يتولاها أمير برتبة استادار يتم تعيينه من السلطان بالقاهرة^(١٢٠) وكانت نيابة عجلون نيابة غنية، فكثيراً ما كانت بلاد عجلون تجهز الاقامات من مأكّل ومشرب برسم خدمة السلطان عند مروره منها

(١١٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٠٠ - الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٤٨ «مخطوط».

(١١٨) القلقشندي: المصدر السابق، ج ١٢ ص ١٠٥.

(١١٩) الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٤٨ «مخطوط».

(١٢٠) في سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) لبس ابراهيم بن شادبك الجلباني خلة استادار السلطان بالإقرار ونيابة الصلت وعجلون (ابن طولون: مفاتيح الخلان، ج ١ ص ٤٠، ٤١). وفي أوائل القرن العاشر الهجري أصبحت نيابة عجلون والبلقاء إقطاعات خاصة لنائب دمشق، في سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م) أرسل نائب دمشق يطلب من السلطان عجلون وصيدا والصلت والرطة حياً كانت العادة بذلك فأجابته إلى ذلك (ابن طولون: مفاتيح الخلان، ج ١ ص ١٧٠).

سواء في طريقه الى دمشق أو في خروجه من دمشق الى الكرك^(١٢١).

أما الوظائف الموجودة في عجلون فكان على رأسها النائب، ومقره القلعة وكان يعاونه عدد من الجند لاقرار الامن في المنطقة وحراسة ما يشحن بها من غلال وذخائر وأسلحة. وأول من شحنها بالرجال والعتاد هو السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٥٩ هـ. وتشير النصوص التاريخية الى وجود قاضٍ بها، عرف دوماً بقاضي عجلون^(١٢٢)، وكان تعيينه يتم باختيار قاضي القضاة بدمشق. وقد تمتع بعض قضاة عجلون باقطاعات خاصة تتكون من عدة قرى، كالقاضي أحمد ابن عبد الصمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٦٨٠ هـ)^(١٢٣). ولا نشك في أن مدينة عجلون كانت تنضاف إليها وظائف أخرى بحكم اتساعها شأنها في ذلك شأن النيابات الاخرى. أما الوظائف الدينية فبالإضافة الى القضاء توفر فيها محدث^(١٢٤). ولا شك أنه توفر بمدريستها اساتذة ومدرسون، كما وجد بها محتسب لمراقبة أسواقها العامرة.

أما منطقة الاغوار التي تبدأ من الباقورة شمالا الى اريحا جنوباً، فكانت تدخل في نطاق الصفقة القبلية وتتبع نيابة دمشق^(١٢٥). في حين كانت الأغوار الجنوبية المحيطة بالبحر الميت تتبع نيابة الكرك^(١٢٦). وكانت مدينة بيسان الواقعة على الجانب الغربي من الغور مركز ولاية الاغوار^(١٢٧). إلا أن المصادر

(١٢١) المقرئ: السلوك، ج ٤ ص ١٥٩.

(١٢٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣ ص ٤٣٣، ٤٣٤ - ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٩ ص ٩٣. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٧ ص ٦٦، ٦٧ - السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥ ص ٣٣ - المقرئ: السلوك، ج ٢ ص ٧٩٥، ٧٩٦ - ابن حجر: أنباء الغمر، ج ١ ص ١٦٨ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ص ١٤٣.

(١٢٣) اليونيني: المصدر السابق: ج ٤ ص ١٠١، ١٠٢ - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٧ ص ٦٦، ٦٧. (١٢٤) من محدثي عجلون محمد بن يوسف بن علي المحدث شمس العجلوني الشافعي، توفي بعجلون سنة ٧٤٩ هـ (ابن قاضي شعبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١ لوحة ١٠٨ مخطوط).

(١٢٥) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٧٨.

(١٢٦) العمري: المصدر السابق، ص ١٧٨.

(١٢٧) العمري: المصدر السابق، ص ١٧٨ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٠٤.

ذكرت عن وجود وال آخر في القصير المعيني^(١٣٨) (الشونة الشمالية). ولما كانت الأغوار أرضاً خصبة غنية بزراعتها المختلفة فقد كان معظمها من أملاك السلطان الخاصة^(١٣٩) وقد اشتهر الغور بزراعة قصب السكر، ولذلك احتكرت الدولة صناعة السكر فيه لصالح السلطان. كما كان يعهد الى نائب الشام بالاشراف على هذه الصناعة^(١٤٠)، في حين يتولى مهمة تعهد الحصول وتصنيعه أمير برتبة استادار، يعرف باستادار الاغوار^(١٤١)، أو نائب الاغوار حسب بعض المصادر^(١٤٢)، وكان يعين من الابواب السلطانية في القاهرة.

وجرت العادة أن يعين السلطان أميراً للقلاع يعهد إليه بالنظر والكشف عليها وتفقدتها، وقد تولى هذه المهمة بدمشق الامير عبد الله الدواداري المهندار والد المؤرخ ابن آيبك، وحدث في احدى جولاته، أن انزلت به فرسه في وادي الزرقاء سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) عندما كان متوجهاً الى قلعة عجلون بعد كشفه على قلاع البلقاء فوق الفرس على صدره، فبات، وحملت جثته الى اذرعاء حيث دفن^(١٤٣).

وكان يرتب في كل قلعة طبيب^(١٤٤) يشرف على صحة النائب والجنود

(١٢٨) النويري: نهاية الارب، ج ٢٨ لوحة ٥٠ «مخطوط».

(١٢٩) النويري: المصدر السابق، ج ٢٨ لوحة ٥٠ «مخطوط».

(١٣٠) ابن قاضي شعبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢ لوحة ١٢٢. ويذكر ابن قاضي شعبة أيضاً أنه في أواخر سنة ٨٠١ هـ عاد النائب من الغور بعد أن أقام بها خمسة أشهر للنظر في عمل السكر، وكان قصب السكر في هذا العام كثيراً جداً يتجاوز الحد. (الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢ لوحة ١٤٣ «مخطوط»).

(١٣١) الحنبلي: الأنس الجليل، ج ٢ ص ٦١٠- ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ٩٧، ١٤٠- ويقول ابن طولون أيضاً: ففي سنة ٨٩٧ هـ أفرج عن نائب حصص من قلعة دمشق وخلع عليه استادارية الغور، وذلك بقتضى مرسوم شريف (مفاكهة الخلان، ج ١ ص ١٤٦).

(١٣٢) يقول ابن قاضي شعبة في سنة ٧٩٩ هـ، وصل الأمير فرج للكشف على الأمير لباس نائب الأغوار، وعلى يده كتاب السلطان بأن يندب لذلك قاضي وشهود (الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢ لوحة ١٢٠ «مخطوط»).

(١٣٣) ابن آيبك: كنز الدرر، ج ٩ ص ٢٦٧- الحنبلي: الأنس الجليل، ج ٢ ص ٦١٠.

(١٣٤) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٣٤.

المركبين فيها، كما كان يقدم خدماته الى أهالي المدينة المجاورة. ونعتقد أن هذا النظام اتبع كذلك في جميع قلاع الاردن. وبالإضافة الى ذلك كان بالكرك يمارسونه الخاص يتولى العمل فيه أطباء مهمتهم معالجة سكان المدينة والقلعة وأعمالها، ومن الاطباء الذين خدموا بمجلون الطبيب أبو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القف (ت ٦٨٥ هـ) (١٣٥).

المصدر

أما فيما يتعلق بالقبائل العربية التي كانت تنزل في منطقة شرقي الاردن في العصر موضوع الدراسة فقد كان يتولى أمرتهم أمير منهم برسوم صادر من السلطان المملوكي بالقاهرة (١٣٦). وأهم هذه القبائل: بنو عقبة عرب الكرك، وبنو مهدي عرب البلقاء، وقد أوكل إليهم الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ درك البلاد وحراسة مسالكها الى الحجاز مقابل اقطاعات في الاردن، كتبها لهم ووقمها أثناء وجوده في الكرك بلغت ثلاثمائة منشور (١٣٧). وكانوا يقدمون قواتهم للسلطان عندما يحتاج إليها بحكم اقطاعاتهم ووفقاً للنظام الاقطاعي في الجيش المملوكي.

(١٣٥) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٢ ص ٢٧٣، ٢٧٤. ومن اشتهروا بمزاولة الطب في الكرك: الطبيب أبو منصور بن الحكيم موفق الدين بن سقلاب، والإمام العالم الطبيب شمس الدين الخنروشاخي، والطبيب أبو الفضل بن أبي سليمان. (انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٢ ص ١٢٣، ١٢٦).

(١٣٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤٣- الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٥٧ «مخطوط» - وعن القبائل العربية في منطقة شرقي الأردن أنظر: الفصل العاشر.

(١٣٧) ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين»، لوحة ٤٢٠ «مخطوط» - القريري: السلوك، ج ١ ص ٤٩١.





الفصل الثاني شبكة المواصلات والاتصالات

- ١ - نظام البريد البري ومراكزه بالمنطقة:
 - أ - البريد في خدمة سلاطين المهاليك.
 - ب - مراكز البريد البري ومحطاته.
- ٢ - البريد الطائر ومراكزه:
 - أ - تطور استخدام الحمام الزاجل في العصر الاسلامي.
 - ب - مراكز الحمام الطائر.
- ٣ - نظام المناور والمراكز الموجودة في المنطقة.
- ٤ - مراكز نقل الثلج الى القاهرة عبر عجلون والأغوار.

(١)

نظام البريد البري ومراكزه بالمنطقة

أ - البريد في خدمة سلاطين المماليك:

اختلف المؤرخون في أصل كلمة (بريد)، وهل هي من أصل عربي من (برد) إذا ثبت لأنه يأتي بما تستقر عليه الأخبار^(١)، أو فارسية الأصل من (بريد) (د)، بمعنى مقصوص الذنب^(٢)، أم أنها مأخوذة من الكلمة اللاتينية *Verdus* بمعنى خيل؟ إلا أن جمهوراً كبيراً من المؤرخين يردونها إلى الأصل اللاتيني^(٣)، على أساس أن الدولة الأموية اقتبست كثيراً من الأنظمة البيزنطية السائدة في بلاد الشام، ومن ذلك نظام البريد وصيانة طرقه، ونصب ألواح لتقدير الأميال

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٦٧.

(٢) يقول القلقشندي: ملوك الفرس كانت من عادتهم أنهم إذا أقاموا بفلا في البريد قصوا ذنبه، ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد (صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٦٧). وانظر: آدم منز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٤٠٤.

(٣) Quatremère, Histoire des Sultans Mamlouks, vol. 4, P. 87.

Newton, Trade and Travellers, P. 91.

Grant, The Syrian desert, P. 236.

آدم منز: الحضارة الإسلامية، ج ١ ص ١٠١ - فييت: المواصلات في مصر، ص ١٢ - هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام، ص ٦٥ أحمد مختار المبادي: قيام دولة المماليك الأولى، ص ٢١٠ - ولكن الدكتور نظير حان سداوي يجزم بأن لفظ (بريد) فارسي الأصل لا روميه، لأن دولة الفرس أقدم في الوجود والحضارة من دولة الرومان (نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص ٢٠). وعلى كل فإننا نتحفظ في إطلاقنا حكماً قاطعاً عن أصل البريد هل هو عربي أم فارسي أم لاتيني.

بين المواضع. وقد وصل إلينا أحد هذه الألواح التي يرجع تاريخها الى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وهو لوح حجري مستطيل الشكل^(٤)، يحف به طراز من التوريقات، قد نقش بداخله كتابة بالخط الكوفي موزعة على ستة أسطر نصها^(٥):

أمر بعارة هذا
الطريق وصنعه الأميال
عبد الله عبد الملك
أمير المؤمنين رحمه الله
عليه من إيليا الى هذا
الميل ثمنية أميال.

ويعتبر معاوية بن أبي سفيان أول من استحدث هذا النظام في جملة ما استحدثه من أنظمة في الدولة الأموية تيسيراً للاتصال بين دمشق وبين الأمصار الإسلامية. ثم تطور هذا النظام على نحو يتناسق مع أحداث العصر في عهد عبد الملك بن مروان^(٦)، ولأمر تتعلق بأمن الدولة^(٧) باعتبار أن هذا النظام كان يكفل للخليفة معرفة ما يجري أولاً بأول داخل نطاق دولته وعلى أساس أن البريديين كانوا عيوناً على

(٤) عثر على هذا اللوح بين بيت المقدس وأريحا.

(٥) أنظر صورة الحجر الفوتوغرافية في:

Dussaud, Les Monuments Palestiniens et Judaïques, Paris, 1912, P. 82.

(٦) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٤، ١٨٥ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٦٨ - نظير سداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص ٥٦ - عبد النعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٣٧.

(٧) والظاهر أن البريد في دولة المهالك صار يستعمل لأغراض شخصية، مما أثار نقد قاضي القضاة السبكي فهو يقول: «وكانت أئمة العدل لا تبرد إلا لهم من مهمات المسلمين لئلا تساق الخيول وترجع النفوس. والآن أكثر ما تملك خيول البريد وتساق للأغراض الدنيوية من شراء المهالك، وجلب الجوارى والأمتعة. وإذا ركب فقيه فرس يريد أنكر عليه ذلك. وقيل: قد أخطأ السلطان أو نائبه في إركابه، فإن البريد لا يساق إلا لمهمات السلطنة، كأنهم يمنون بمهمات السلطنة ما اعتادوا به من شراء ملوك ملبح أو استدعاء مغن حسن الصوت، أو خراب بيت شخص أنهى عنه ما لا صحة له الى مثال ذلك» (معيد النعم ومبيد النقم، ص ٤٦).

الولاية والعمال، يقفون على أعقابهم ونواياهم ومقاصدهم ويبلغونها الى الخليفة.

والى الظاهر بيبرس يرجع الفضل الأعظم في إرساء نظام البريد وتطويره على نحو يتسم بالدقة والضبط والأحكام نتيجة للظروف السياسية التي تتعرض لها دولة المماليك في هذه المرحلة التاريخية الدقيقة: كانت الأخطار تحيط بدولة المماليك الناشئة، فالمغول يتربصون في الشمال، والصليبيون يتمركزون في مناطق من الشام والساحل، وبقايا البيت الأيوبي ما تزال تشكل خطراً أكيداً على كيان دولة المماليك يتمثل في إمارة الكرك الأيوبية. وعلى هذا النحو رأى الظاهر بيبرس أنه في حاجة ماسة الى جهاز منظم ودقيق يطالعه بالأنباء أولاً بأول. ومن هنا صرف همه الى تطوير نظام البريد وتطويره لخدمة أهدافه، ففي سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) جدد نظام البريد وأحكامه. ويذكر ابن فضل الله العمري أن بيبرس طلب من شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب العمري^(٨)، كاتب الانشاء بدمشق وعم المؤرخ الكبير ابن فضل الله العمري، أن يطور البريد بحيث يصله كل ليلة خبر، فقال له: «إن قدرت أن لا تبتيني كل ليلة إلا على خبر ولا تصبحني إلا على خبر فافعل»^(٩). وأنفق في سبيل ذلك الأموال الطائلة، وربطه بديوان الانشاء، وأصبحت القاهرة مركزاً لشبكة من المواصلات الدقيقة تربط جميع أجزاء دولة المماليك في مصر والشام. وكان البريد نوعين: بري وجوي. أما البريد البري: فقد أقام له مراكز ومحطات على مسافات معينة من الطرق وزودها بالطعام والعلف والمأوى، وأعد في كل مركز عدداً من الخيول في خدمة البريديين فإذا ما قدم البريدي ترك فرسه التي أنهكها الطريق في المركز، وأخذ أخرى نشيطة الى أن يصل المكان الذي يريد - ويرافق البريدي شخص يقوم على خدمته في الطريق ويسوق فرسه يسمى (السواق). وكان للبريدي شارة مميزة،

(٨) هو عم المؤرخ ابن فضل الله العمري، ويذكر العمري أنه هو الذي أشار عليه بضرورة الاهتمام بنظام البريد فهو يقول: «فرض له بما كان عليه البريد في الزمان الأول وأيام الخلفاء، وعرضه عليه، فحسن موقعه منه وأمر به. قال عمي: فكنت أنا المقرر له قدامه وبين يديه» (التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٧).

(٩) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٧ - وانظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٧٠.

لا تعدو لوحاً من الفضة منقوش على أحد وجهيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ضرب بالقاهرة المحروسة^(١١)، وعلى الوجه الآخر: (عز مولانا السلطان الملك (الفلاي)...^(١٢)). وفي اللوح ثقب به شرابة من حرير أصفر ذات بندين، يدخلها البريدي في رأسه، فيصبح اللوح على صدره والشرابة الصفراء مرسله خلفه. وكان يشترط في اختيار البريدي أن تتوفر فيه صفات معينة منها: أن يكون مفوها متأدباً في الكلام، قديراً على الفهم وسرعة الإجابة اذ كثيراً ما يقوم بتبليغ رسائل شفوية على لسان السلطان. ويشترط فيه أيضاً «كتان الأسرار وستر العورات وكف لسانه عن الفضول فضلاً عن الكذب»^(١٣). وكثيراً ما يكون لدى السلاطين بريديون يكلون إليهم أمورهم الخاصة والعاجلة، فكان لدى الناصر محمد بن قلاوون بريدي «يعرف بالأفوش وكان لا يبعث إلا في مهم. أمره بالاسراع والجد في السير، فسار من مصر الى حلب في خمس (ليالي) وهي مسيرة شهر»^(١٤). وذكروا أنه أثناء ثورته في الكرك كان يرسل كتبه الى أمراء مصر مع بريدي يقال له (أوران) كان يثق فيه كل الثقة ويطلعه على خبايا نفسه، فأبدى استعداده لا يصال كتبه الى مصر^(١٥) وهناك الشهاب البريدي من أهل الكرك، أوفده الأمير منطاش سنة ٧٩١ لقتل الظاهر برقوق في سجن الكرك، ولكن أهل الكرك قتلوه منتصرين في ذلك لسلاطنتهم^(١٦). وهناك نوع آخر من البريديين يعرف الواحد منهم بالنجاب أو الهجان، وهو الذي يركب الهجن

- (١٠) أما إذا كان البريد من إحدى نيايات الشام فيكتب على اللوح، ضرب في دمشق أو حلب أو الكرك وهكذا. (انظر: الفلتشدي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٧٢).
- (١١) الفلتشدي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٧١.
- (١٢) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٤٧.
- (١٣) ابن بطوطة: الرحلة، ج ١ ص ٤٥.
- (١٤) العيني: عقد الهجان، ج ٢٢ ق ١ لوحة ١١١ «مخطوط».
- (١٥) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ١٣٨ - المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٦٥٦ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ٣٤٧، ٣٤٨ - ابن الصيري: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٢٤٩، ٢٥٠.

السريعة ويرتاد الطرق الصحراوية مجتازاً مسالكها ودروبها ويشترط فيه الخبرة بالطرق الصحراوية والمفازات وهؤلاء عادة يرسلون في مهمات خاصة سريعة وتتوفر فيها السرية التامة. وكان لدى الناصر محمد في الكرك نجاب اسمه (صخر) أرسله الى حلب لا يصال كتاب للأمير قراسنقر « فصار على هجين كأنه سهم مارق »^(١٦).

ب - مراكز البريد البري ومحطاته:

اهتمت السلطات المملوكية في مصر والشام بإعداد مراكز بريدية ومحطات موزعة على جميع الطرق الرئيسية المؤدية الى نيابات الدولة وحواضرها المختلفة في سائر أنحاء البلاد المصرية والشامية وحرصت هذه السلطات على تعبيد الطرق وتمهيدها للسير وضمانا لسلامة الخيول الموصلة للبريديين حتى تصل الى مقاصدها في أوقات مناسبة، وازداد الاهتمام بوجه خاص بالطريق الموصلة بين القاهرة ودمشق. وفي هذه المراكز البريدية أعدت أعداد من خيل الركوب تعرف بخيل البريد، لا يسمح بركوبها لغير البريدي إلا بمرسوم سلطاني^(١٧). ويعهد برعايتها الى سواس. وكان سلاطين المماليك يسندون الى القبائل العربية مهمة درك الطرق وحرصتها وفقاً لما كان متبعاً في عصر الأيوبيين مقابل اقطاعات خاصة فقد كانت المراكز البريدية الخمسة عشر على طريق الشام من السعيدية الى الخروبة من اختصاص قبيلتي جذام وثعلبة، يقدمون لكل مركز عشرة خيول تستبدل

(١٦) العيني: عقد الجمان، ج ٢٢ ق ١ لوحة ٩٩ «مخطوط».

(١٧) ولدقة هذا النظام، فان السلطان الظاهر بيبرس نفسه منع من ركوب هذه الخيول في احدى المراكز ويؤكد النويري ذلك في قوله: « في شهر شبان سنة ٦٧٣ هـ (فبراير/شباط) ١٢٧٥ م)، خرج السلطان من دمشق متخفياً باتجاه الديار المصرية، وكان معه علم الدين شقير مقدم البريدية، فصاروا خمسة ومهم أربعة جناب من خيل السلطان الخاص. وساقوا الى جهة مصر، فوصلوا الى القصير الميني نصف الليل فدخل السلطان ليأخذ فرس الوالي، فقام إليه يهاوشه بأربعين خمسين راجلا، وقال له: هذه الضيعة ملك السلطان ما يقدر أحد يأخذ منها فرسا فان رحتم وإلا قاتلناكم فتركوه وتوجهوا الى بيسان... » (انظر: نهاية الأرب، ج ٢٨ لوحة ٥٠ «مخطوط»).

بأخرى في أول كل شهر، لذا سموها بالشهارة^(١٨)، وكانت هذه الخيول توشم بختام السلطان حال قدومها. ومن مركز الزعقة الى غزة والكرك ودمشق تصبح المراكز سلطانية، خيلها من اصطبلاته، تشتري من ماله وتكلف منه^(١٩). وإن كان السلاطين في بعض الحالات يستعينون بالأمرء لتزويد هذه المراكز بالخيول، ففي جمادى الأولى سنة ٧٩٧ هـ (مارس (آذار) ١٣٩٥ م) طلب السلطان الظاهر برقوق من سائر الأمرء الخيول لاعمار مراكز البريد، فألزم كل من الأمرء المقدمين بعشرة أفراس، وكل من الوزير والاستادار وأرباب الوظائف وأمرء الطبلخانة بفرسين، وكل من الأمرء العشرينات والعشرات بفرس واحدة^(٢٠). أما عدد الخيول المرهونة لخدمة البريد في هذه المراكز السلطانية فلا نعرفه على وجه اليقين فالمصادر العربية لم تشر صراحة الى ذلك وان كنا نستطيع أن نستنتج هذا العدد من خلال النصوص التاريخية العامة. فابن قاضي شعبة يروي أنه في سنة ٧٤٢ هـ أثناء ثورة الناصر أحمد بالكرك، أخذ الأمير آسنقر نائب غزة « خيل البريد من أحد عشر مركزاً من قاقون الى الزعقة تقدير ثلثائة فرس وأرسلهم الى السلطان بالكرك، ومنع من يتوجه الى الديار المصرية بالكلية »^(٢١).

(١٨) ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٣ ص ١١٤ - العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٩، ١٩٠ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٧٧. أما قبيلة العابد والتي هي بطن من جذام، فكان عليها درك الطريق البدرية من القاهرة للعقبة، وهي الطريق النوقانية عبر تيه بني اسرائيل، وكانت هي المنفذ الوحيد المؤدي الى الديار المصرية من الشام أيام الوجود الصليبي في فلسطين، ثم دثرت بعد زوالهم. وعمل السلاطين على دثورها لأنها أصبحت سلك التجار التهرين من المكوس، إذ كانوا يهربون الكتان والثفاق والحام والأصناف المصرية النافعة الى الشام، وبالمقابل يهربون الأصناف الثامية الى مصر (أنظر: ابن آبيك كنز الدرر، ج ٩ ص ١١٥) وانظر أيضاً: القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٧٢ - القريري: البيان والاعراب، ص ١٩.

(١٩) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩١ - وكان السلاطين يوقفون الأوقاف للانفاق على هذه المراكز حتى أن إحدى القرى الموقوفة كانت تدر في كل سنة عشرين ألف درهم وثلاثة آلاف اردب غلة (أنظر: أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ١٥٧).

(٢٠) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، ج ١ ص ٤٠٦ وانظر أيضاً: أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ١٥٧.

(٢١) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ١ لوحة ٢٠ «مخطوط».

وعلى هذا الأساس يصبح في إمكاننا تقدير عدد الخيل المعدة في المراكز السلطانية خمسة وعشرين رأساً في كل مركز تقريباً. ولم تكن المسافات بين هذه المراكز متساوية، بل زوعي أن يكون وجودها بالقرب من قرية أو مجوار نبع ماء، لذا تفاوتت مسافاتهما. وفي أكثر المراكز كانت تقام خانات لمبيت البريديين، وقد لاحظ ابن بطوطة ذلك فيذكر أنه كان يوجد في كل مركز «فندق وهم يسمونه الخان ينزل المسافرون بدوابهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل وخانوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته»^(٢٢). ومثل هذه الخانات ما زالت آثارها باقية في الأردن حتى الآن. وكان الأمراء أو التجار الأغنياء يتولون إنشاء هذه الخانات من مالهم الخاص خدمة للمسافرين، وكثير من هذه الخانات يوزع الخبز والأحذية ونعال الدواب^(٢٣). وقد كان لاعداد هذه المراكز بخاناتها العامرة أعظم الأثر في توفير الأمن على كل الطرق والمسالك. وقد بلغت الرحلات عبر هذه الطرق درجة من الأمان الى حد أن المرأة كانت «تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة أو ماشية لا تحمل زاداً ولا ماء»^(٢٤).

أما المراكز البريدية المتوزعة ما بين القاهرة والكرك فترتيبها على النحو التالي: السعيدية، الخطارة، قبر الوايلي، الصالحية (وهي آخر معمر الديار المصرية) بئر غزى، النقصير، حبوة، الغرابي، قطيا، صبيخة نخلة معن، المطيب، السودة، الورداء، بئر القاضي، العريش، الخروبة (وهي آخر مراكز العرب الشهارة)، الزعقة، رفح، السلقة، الداروم، غزة، ملاقس، بيت جبريل، الخليل، جبنا، الزوير، الصافية (غور الصافي)، الكرك.

أما المراكز البريدية في الطريق من غزة الى دمشق فهي: الجيتين، عين بيت دارس، قطرى، لد، العوجاء، الطيرة، قاقون، فحمة، جينين، زرعين، عين

(٢٢) ابن بطوطة: الرحلة، ج ١ ص ٣١. ويقول المقرئبي: «وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج إليه المسافر من زاد وعلف وغيره» (أنظر: الخطط، ج ١ ص ٣٦٧). وهي أشبه ما تكون بالاستراحات السياحية والقاهي في عصرنا الحاضر.

(٢٣) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٣ - فبيبت: المواصلات في مصر، ص ١٤، ١٦.

(٢٤) المقرئبي: الخطط، ج ١ ص ٣٦٧ - فبيبت: المواصلات في مصر، ص ١٤.

جالوت، بيسان، الجامع (جسر الجامع الحالي). القصير المعيني (الشوكة الشمالية). زحر^(٢٥)، اربد، طفس، الجامع، الصنمين، غباغب، الكسوة، دمشق. ومن دمشق تخرج شبكة من المواصلات هائلة متشعبة الى كل النيابات والمدن الشامية حتى الرحبة والبيرة على الحدود الشرقية لبلاد الشام^(٢٦).

أما المراكز الموزعة ما بين الكرك ودمشق فهي: الربة^(٢٧)، قاطع الموجب، ذيبان، قنيس^(٢٨)، حسابان، البرج الأبيض (مرج الحمام)، عين البردية، قرية الكتيبة، طفس، الجامع، الصنمين، غباغب، الكسوة، دمشق^(٢٩).
ومن الكرك الى الشوبك ثلاثة مراكز^(٣٠).

(٢٥) كانت الطريق أولاً من بيسان الى قرية طيبة اسم، وكان على البردية أن يقطعوا الشريعة بواسطة مدييات خاصة للفارس دون الفرس وكان في ذلك شقة وخصوصاً في فصل الشتاء وزيادة الشريعة، ومن هناك يصعدون العقبة الى الطيبة. لذا حول الطريق من بيسان الى جسر الجامع ثم القصير وزحر. وقرية زحر والطيبة ما زالتا موجودتين حتى الآن الى الغرب من مدينة اربد في الجزء الشمالي من الأردن (أنظر: العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٢. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٨٠).

(٢٦) العمري: التعريف بالمصطلح، ص ١٨٧ - ١٩٣ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٧٩، ٣٨٠ - ابن شاهين: زبدة كنف المالك، ص ١١٩.

Jacob, History of Palestine, P. 289.

(٢٧) ذكرها العمري والقلقشندي «أكريه». لا توجد قرية أو مكان بهذا الاسم في الأردن، بل ان المكان القريب من الكرك يسمى «الربة» لذا أرى أن المقصود باكره هو الربة، والخطأ في الكتابة فقط. أما ابن شاهين فذكرها «الصر» وأرى أنه يقصد «القصر»، وهي قرية موجودة حتى الآن الى الشمال من الربة. الربة: قرية في طرف الغور بين أرض الأردن والبلقاء، وسُميت بربة نسبة لإحدى بنات لوط عليه السلام (أنظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٧٥٢).

(٢٨) وأرى أن المقصود هو قرية قنيس، بثلاث كسرات والنون مشددة، من قرى البلقاء، كانت لأبي سفيان صخر بن حرب أيام كان يتجر الى الشام في الجاهلية ثم صارت لولده بعده (أنظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٧٠٢).

(٢٩) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٤ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٨٣. ابن شاهين: زبدة كنف المالك، ص ١٢٠.

Quatremère, Histoire des Sultans Mamlouks, vol. 2, PP. 91-92.

(٣٠) ابن شاهين: زبدة كنف المالك، ص ١١٩.

(٢)

البريد الطائر ومراكزه

أ - تطور استخدام الحمام الزاجل في العصر الاسلامي:

شاع استعمال الحمام الزاجل في نقل الأخبار والرسائل منذ أقدم العصور. ففي القرن السادس قبل الميلاد أخذ اليونان عن فارس القديمة استخدامه، فكانوا يطلقونه أثناء انعقاد الدورات الأولمبية لاداعة أخبار المباريات بين المدن اليونانية، ثم استخدمه الرومان لخدمة أغراضهم الحربية والصكرية^(٣١). وكان للمسلمين فضل كبير في تنظيم نقل البريد بواسطة الحمام الزاجل فقد استخدمه العباسيون في عهد المعتصم بالله لنقل خبر القبض على الثائر بابك الخرمي في سنة ٢٢٢ هـ (٨٣٧ م). ثم استغل القرامطة استعماله بذكاء^(٣٢). فجمع القرمطي بواسطته الأخبار من جميع أنحاء العراق، كي يوهم الناس بعلم الغيب وتقدير المقادير. وظل استخدامه شائعاً حتى نهاية الدولة العباسية عندما كانت أخبار التتار تصل الى بغداد على أجنحة الطير قبل أن يجتاحها هولاءكو ويدمرها^(٣٣). كذلك اهتم الفاطميون في بلاد المغرب باستخدام الحمام كوسيلة بريدية لنقل أخبار تحركات أساطيل النورمان على الساحل الافريقي، ولما استقروا في مصر

(٣١) ابراهيم العدوي: الحمام الزاجل في العصور الوسطى، المجلة التاريخية، مايو ١٩٤٩ ك، ص ١٣٢

- آدم منز: الحضارة الاسلامية، ج ٢ ص ٤١٦.

(٣٢) القريري: اتعاظ الحنفا، ج ١ ص ٢٠٣ - وأنظر أيضاً: ابراهيم العدوي: الحمام الزاجل في

العصور الوسطى، ص ١٣٣ - آدم منز: الحضارة الاسلامية، ج ٢ ص ٤١٦.

(٣٣) ابن دقاق: نزهة الأنام، حوادث سنة ٦٤٢ هـ «مخطوط».

جعلوا له ديوانا وجرائد بأنسابه، ونظموا استخدامه حتى ربط عاصمتهم القاهرة بدمشق وحلب^(٣٤). وفي عصر الدولة النورية اشتدت الحاجة الى استخدامه بسبب اتساع المملكة واستفحال الخطر الصليبي عليها. ففي سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) عمم نور الدين محمود زنكي استخدام (الحمام الهوادي) في أرجاء مملكته^(٣٥). وزاد الاهتمام به في عصر الدولة الأيوبية، فاستخدمه ملوكهم، ففي سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) استغل الأمير عز الدين أسامة صاحب قلعة عجلون وجود الملك العادل وأبنائه في دمياط، فخرج من مصر متخفياً الى عجلون « فلما مر ببليس بطق متوليها الى السلطان يخبره »^(٣٦) فساق خلفه المعظم عيسى وألقى القبض عليه وسجنه في الكرك الى أن مات. كما استخدمه الملك الصالح نجم الدين أيوب في استقصاء أخبار عمه الملك الصالح اسماعيل صاحب بلبك عند خروجه من دمشق لامتلاك مصر، فصار الأخير يبطق إليه يوماً إلى نابلس ليؤهمه بقدمه إليه بينما كان يعمل في السر على انتزاع دمشق منه^(٣٧) - وفي سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م) خرج الملك الناصر داود من دمشق - بعدما فشل في امتلاكها - الى عجلون، ومنها تقدم بجيش إمارة الكرك الى غزة، فاستولى عليها وعلى الساحل الفلسطيني وضمها لامارته « ووصلت غاراته الى الوراثة وخرّب برج الحمام بها »^(٣٨).

(٣٤) يقول القرطبي: في سنة ٥٣٨٢ هـ : « وسقط الطائر بعود منجوتكين الى دمشق ليشق بها »، ثم يقول: « وسقط الطائر بوصول منجوتكين الى مرعش وعاد الى حلب » (انظر: انماط الحنفا، ج ١ ص ٢٧٥، ٢٧٦).

(٣٥) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٦ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢ ص ٩٠، ج ١٤ ص ٣٩٠ - ابن قاضي شعبة: سيرة الملك العادل نور الدين «مخطوط»، ببلدية الاسكندرية رقم ١٣٣٦ ب، لوحة ١٠٨ - ابن شاهين: زبدة كنف الممالك، ص ١١٧ - السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٣١٣ - نبيل محمد عبد العزيز: الحمام الزاجل وأهميته في عصر المماليك، ص ٤٣.

Quatremère, Histoire des sultans Mamlouks, vol. 2, P. 116.

(٣٦) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٧ لوحة ١٧ «مخطوط».

(٣٧) يقول أبو الفداء: « وكان للصالح أيوب طبيب يقال له: الحكيم سعد الدين الدمشقي، يتق به، فأرسله الصالح أيوب الى بلبك... » (انظر: المختصر، ج ٣ ص ١٧٢).

(٣٨) النويري: نهاية الأرب، ج ٢٧ لوحة ٥٦ «مخطوط».

وإذا كان الحمام الزاجل قد استخدم في المصريين الفاطمي والأيوبي في حالات معينة فإن استخدامه شاع على نحو منتظم في عصر دولة المماليك، وعلى الأخص منذ أن أطلق السلطان الملك الظاهر بيبرس استخدام (البريد الطائر) جنباً إلى جنب مع البريد العادي. وكانت الحاجة ماسة إليه، ليتلقى أخبار أعدائه التتار والفرنجة، وإصدار أوامره بأقصى سرعة ممكنة. وعلى هذا النحو نشر بيبرس استعمال الحمام الزاجل، وربط جميع أجزاء دولته بشبكة دقيقة من البريد الجوي، حتى لقد أصبحت القاهرة المركز الرئيسي لأدق شبكة من الاتصالات البرية والجوية في الإسلام. وبلغ من شدة اهتمام سلاطين المماليك بالبريد الجوي أن بطائق الحمام كانت دوماً تحت إشراف السلطان نفسه، فإن كان يأكل لا يميل حتى يفرغ، وإن كان نائماً لا يميل حتى يستيقظ بل ينهه^(٣٩). وكان للحمام الزاجل أبراج خاصة في قلعة الجبل بالقاهرة، وكانت أعداد الحمام فيها من الكثرة إلى حد أنها بلغت في عهد السلطان قلاوون ألفاً وتسعمائة طائر^(٤٠). وكان التراسل عن طريق الحمام يتم بأسلوب خاص، فالأخبار تكتب على (بطائق)^(٤١) من ورق خفيف يسهل حمله، ويحط دقيق للغاية سموه (الغبار) لدقته. وكانت هذه الرسائل موجزة ومختصرة جداً، أشبه ما تكون بالبرقيات في الوقت الحاضر تؤرخ بالساعة واليوم فقط، وهي صغيرة حتى أن الرسالة في كثير من الأحيان لا تتجاوز سلامة الاصبع^(٤٢). وتثبت الرسالة عادة بحيث يرفيع تحت جناح الطائر، وقد اختير ذلك المكان لقوة جناح الطائر من جهة وخوفاً من أن تتعرض للمطر من جهة ثانية وأحياناً تثبت في أذناها فيغطيها الريش الطويل فتصبح «خوافي من وراء الخوافي»^(٤٣). وكانت العادة أن يسرح طائران في

(٣٩) القريري: المخطوط، ج ٣ ص ٣٧٦ - السيوطي: حسن الحضرة، ج ٢ ص ٣١٤.

(٤٠) القريري: المخطوط، ج ٣ ص ٣٧٥.

(٤١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢ ص ٩٧ - السيوطي: حسن الحضرة، ج ٢ ص ٣١٨.

Quatremère, op. cit. 2, P. 119.

(٤٢) فييت: المواصلات في مصر، ص ٢٤، أحمد مختار البادي: قيام دولة المماليك الأولى ص ٢١٣.

Jacob, History of Palestine, P. 289.

(٤٣) السيوطي: حسن الحضرة، ج ٢ ص ٣١٦. وانظر: القريري: المخطوط، ج ٣ ص ٣٧٦.

الرسالة الواحدة، فالثاني يطير بعد الأول ساعتين ويكتب في الرسالة: سرح الطائر ورفيقه ضامناً لوصول الرسالة مع أحد الطائرين إذا ما تعرض الأول لطير جرح أرداه في الطريق وكانت للحمام السلطانية علامات مميزة في أرجلها أو على مناقيرها^(٤٤)، كالشأن في الخيول.

ب - مراكز الحمام الطائر:

كانت للبريد الطائر مراكزه التي يوجه منها مثله في ذلك مثل البريد البري فأقيمت له في هذه المراكز أبراج خاصة رتب بها أشخاص يقومون على خدمتها يسمون البراجون أو الحفراء^(٤٥)، كانت تصرف لهم الرواتب وعلوفات الحمام من الاهراء السلطانية. كما زودت هذه المراكز بالبغال والأقفاص لتوجيه الحمام الى المراكز المختلفة^(٤٦)، وكانت المسافات بين كل محطة وأخرى أطول في الجو منها على الأرض. فعندما تحط الحمامة بأحد هذه المحطات يقوم البراج باخراج الرسالة ويوقع عليها بعلم الوصول، ثم يربطها بحمامة أخرى من حمام المركز التالي وهكذا حتى تصل الى غايتها. وتتولى كل محطة إعادة حاتم المحطة السابقة واللاحقة على ظهور بغال أعدت لهذا الغرض. إلا أن المركز الرئيسي في القاهرة كان يتوفر فيه حمام من كل نيابة وقلعة حيث درج بها وأرسل الى القاهرة، فإذا وقع أمر هام ورأت القاهرة المبادرة بابلاغ النيابات، أطلقت الى كل نيابة حماماً مما درج فيها، فتصل في نفس اليوم^(٤٧). كذلك كان بكل نيابة وقلعة حمام درج بالقاهرة ووضع تحت تصرف والي القلعة كي يخبر السلطان بكل ما يحدث ويستجد في النيابة من أمور هامة^(٤٨). أما في النيابات فكان لدى الولاة التابعين

(٤٤) القرظي: المخطط ج ٣ ص ٣٧٦ - فييت: المواصلات في مصر، ص ٢٤ - سعيد عاشور: مصر

في عصر دولة المماليك البحرية، ص ١٤٩.

(٤٥) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣ ص ٢٦١.

(٤٦) القرظي: المخطط، ج ٣ ص ٣٧٦ - ابن شاهين: زبدة كنف المالك، ص ١١٧.

(٤٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢ ص ٩٧ - القرظي: المخطط، ج ٣ ص ٣٧٧ - نظير

سعداوي: نظام البريد في الدولة الاسلامية، ص ١٤١.

(٤٨) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٩٦.

الهمام درج في مركز النيابة، ووضع تحت تصرفهم لاختبار النائب بكل الأمور الهامة التي تتطلب السرعة.

وتتوزع مراكز الهمام أو أبراجه المختلفة بين القاهرة والكرك على النحو التالي: القاهرة، بلبيس، الصاحية، قطيا، الورادة، غزة، الخليل، الصافية، الكرك.

أما من غزة الى دمشق فتتوزع على الترتيب:

غزة، لد، قاقون، جينين، بيسان، اربد، طفس، الصنمين، دمشق.

بينما تتوزع من دمشق الى الكرك على الصورة التالية:

الصنمين، طفس، اذرعان، البرج الأبيض^(٤٩) (مرج الهمام)، الكرك^(٥٠).

وتتد من دمشق شبكة متداخلة من الاتصالات الجوية تمتد من حلب والبيرة والفرات والحدود الشمالية للدولة، وبقية المدن الداخلية والساحلية، كمجلون وعمان وحسان وبيروت وطرابلس وصيدا وغيرها^(٥١).

(٤٩) ذكرت المصادر أن البرج الأبيض من أعمال اللقاء بين حبان والزرقاء. وأرى أن هذا المكان هو ما يطلق عليه الآن (مرج الهمام) احدى ضواحي عمان السكنية بينها وبين حبان. وأن التسمية الحالية تصحيف للكلمة السابقة.

(٥٠) ابن شامين: زبدة كشف الممالك، ص ١١٧. وانظر أيضاً: العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٧ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٢، ٣٩٣ - نظير سداوي: نظام البريد في الدولة الاسلامية، ص ١٤٠.

(٥١) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٩ ص ٢٥٧ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٣، العيني: عقد الجمان، ج ٢٢ ق ١١١ «مخطوط» - ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١١٧ - عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة صيدا، ص ١٦٣.

(٣)

نظام المناور والمراكز الموجودة في المنطقة

استخدم المسلمون وسيلة أخرى من وسائل الاتصال في العصور الوسطى تعتمد على نقل الأخبار من المناطق المختلفة عن طريق إيقاد النار من أبراج مرتفعة للانداز باقتراب العدو وهو ما عرف باسم (النائر أو المناور) والنائر أبراج عالية أقيمت على رؤوس الجبال، وشحنت بالحراس والمرابطة، فان كشفوا عدواً أشعلوا النار ليلاً، أو أثاروا الدخان نهاراً^(٥٢). وسرعان ما تنتقل هذه الاشارات عبر الأبراج حتى تصل الى قاعدة السلطنة فتتخذ الحكومة ما تراه مناسباً من إجراءات لمواجهة هذا الخطر. كان هذا النظام معروفاً عند البيزنطيين، ثم تطور في العصر الاسلامي تطوراً دفع به خطوات الى الأمام، فأقيمت الحارس والأربطة المزودة بالمواعد في الشفور والسواحل، للانداز باقتراب العدو وإبلاغ الحاميات الاسلامية المجاورة على التأهب للقائه، وكان هذا التنظيم العسكري من الدقة والسرعة بحيث أن الشارات الضوئية كانت تصل من سبتة الى الاسكندرية في ليلة واحدة^(٥٣).

(٥٢) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٩ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٨. عبد العزيز سالم: المغرب الكبير - المغرب الاسلامي - ج ٢ ص ٤٤٩ - أحد مختار العبادي: قيام دولة المهالك الأولى، ص ١٤٨ - جاك ريسلر: الحضارة العربية، ص ١٣٥.

(٥٣) ابن خلدون: العبر، ج ٤ ص ٤٣٤، عبد العزيز سالم: المغرب الكبير - المغرب الإسلامي، ج ٢ ص ٤٤٨ جاك ريسلر: الحضارة العربية، ص ١٣٥ - آدم متر، الحضارة الاسلامية، ج ٢ ص ٤١٦.

ولم تكن الشارات الضوئية وفقاً على المسلمين في العصور الوسطى، بل استخدمها الفرنج بمهارة ودقة ابان الصراع الصليبي الاسلامي في المنطقة. حتى أنهم اختاروا قلاعهم وحصونهم في أماكن مرتفعة، ليسهل الاتصال فيما بينها عن طريق هذه الاشارات. وقد سبق للصليبيين في الكرك أن اتصلوا ببيت المقدس في شهر رجب سنة ٥٧٩ هـ (نوفمبر تشرين ثاني) ١١٨٣ م) عن هذا الطريق أثناء حصار صلاح الدين لهم، طالبين منهم النجدة والمون^(٥٤). وكانت نساء الخيالة من النصارى العرب المقيمين في عكا يبعثن بهذه الاشارات الضوئية للمسلمين عن طريق ايقاد الشموع من نوافذ بيوتهن المقابلة لجبل الكرمل المطل على عكا، يخبرنهم عن حركة قوات الفرنج وعددهم واتجاههم. وكان المعظم عيسى يرصد رجالاً خاصين في جبل الكرمل لتلقي هذه الاشارات وارسلها الى دمشق، فيأخذ المسلمون حذرهم ويخرجون لملاقاة العدو^(٥٥).

ولهذه الاشارات الضوئية نظام خاص كان مصطلح عليه، ولسوء الحظ لم يصل إلينا شيء عن تحليل هذه الاشارات، فكل ما ذكرته المصادر أن أدلة خاصة تعرف فيها حالة رؤية العدو وعدده^(٥٦). إلا أننا رأينا أن النساء في عكا يستعملن الشموع، فإذا خرج الفرنج من عكا وعزموا على مهاجمة المسلمين، تفتح المرأة الطاقة وتشعل بها شموعاً، كل شمعة تدل على مائة فارس، فإن كان العدد مائتين أوقدت شمعتين وهكذا. فإن كانوا يريدون قصد حوران أو ناحية دمشق أو نابلس أشارت الى تلك الناحية^(٥٧).

ولما بدأ الخطر التتاري يدق بعنف أبواب دولة المماليك بمصر والشام منذ سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)، ويهدد أمن البلاد وسلامتها، ارتأى الملك الظاهر بيبرس

(٥٤) رانسان: ج ٢ ص ٧١٢ -

Fedden, Crusaden Castles, P. 31.

(٥٥) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٤٢٦.

(٥٦) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٩ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٨.

(٥٧) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٤٢٦.

تعميم استخدام المنائر، للوقوف على حركات التتار بأقصى سرعة ممكنة فأقام المنائر من أقصى الشهور الاسلامية كالبيرة والرحبة على الحدود الشرقية الى قلعة الجبل بالقاهرة. فكان الخبر إذا أرسل من الفرات صباحاً يصل الى القاهرة عشاء، وإذا أرسل عشاء وصل صباحاً^(٥٨). ووضع في كل منور الديادب والنظارة لرؤية ما وراءهم وايراء ما أمامهم، وخصصت لهم على ذلك الرواتب المقررة.

وكانت هذه المناور تبدأ من البيرة والرحبة، واتخذت مناراتها في الأماكن التالية: الرحبة، كواثل، قباقب، حفير أسد الدين، السخنة، منظره أرك، البويب، منظره تدمر، منظره البيضاء، الحير، جليجل، القريتين، المعطنة، ثنية العقاب، مئذنة المروس، دمشق (بالجبل المطل على برزة)، المانع، تل قرية الكتيبة، الطرة، جبل اربد، قلعة عجلون، جبل طيبة اسم^(٥٩)، الجبل المنحدر على بيسان، جبال ابيزق قرب نابلس، جبل جينين، جبل فحمة، شرفة قاقون، الجبل المصاقب لمجدل يابا، ياسور، حذب غزة وهي آخر المناور. ومن هناك ترسل الأخبار من غزة الى القاهرة على جناح الطير أو عبر البريد العادي^(٦٠).

(٥٨) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٠٠ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٨ - نظير سداوي: نظام البريد في الدولة الاسلامية، ص ١٤٩.

(٥٩) الطرة واربد وعجلون والطيبة، هذه المناور وجدت في الجزء الشمالي من منطقة شرقي الأردن، وهي مدن وقرى ما زالت عامرة الى يومنا هذا. في محافظة اربد الأردنية.

(٦٠) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٠٠، ٢٠١. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٩.

(٤)

مراكز نقل الثلج الى القاهرة عبر عجلون والأغوار

استخدم المسلمون الثلج في تبريد المياه منذ الدولة الأموية، فكانت أحمال الثلج تنقل من جبال الشام للجيش في المعارك لاذكاء روح الشجاعة في نفوس الجنود^(٦١). ونقله الحجاج بن يوسف الى العراق أثناء ولايته فيها. إلا أن الخلفاء العباسيين لم يكتفوا باستعماله في قصورهم بل نقلوه الى مكة المكرمة في موسم الحج. ففي سنة ١٦٠ هـ (٧٧٧ م)، حج الخليفة العباسي المهدي، وحمل إليه محمد ابن سليمان الثلج الى مكة^(٦٢). ثم نقل لمكة أيضاً من قبل الحمدانيين والفاطميين، ففي سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٧ م) حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان حجة ضربت بها المثل، وفرقت أموالاً عظيمة، حتى أنها نثرت عشرة آلاف دينار على الكعبة، وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والثلج^(٦٣). وفي عصر الفاطميين ظلت أحمال الثلج تنقل الى البلاط الفاطمي في القاهرة، حتى أن معظم رجالات الدولة، كانت لهم رواتب معينة من الثلج. ثم استعمله الأيوبيون وكانوا يحملونه معهم أثناء معاركهم مع الصليبيين، كما حدث في موقعة حطين عندما قدم السلطان صلاح الدين الى أسراه باستثناء أرناط ماء مثلوجا^(٦٤).

وكان استخدام الثلج في الأشربة شائعاً في بلاد الشام، ففي دمشق كانوا

(٦١) فييت: المواصلات في مصر، ص ٢٣.

(٦٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٥٧.

(٦٣) ابو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٤ ص ١٢٦.

(٦٤) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٢٥٢.

يجمعونه من الجبال، ويضعونه في أماكن مخصصة، بعد كبسه بطريقة خاصة. ويبقى كذلك حتى أيام الصيف حيث يستعملونه في الأشربة المبردة. فكان الثلج بالشام لا ينقطع، لا صيفاً ولا شتاء^(٦٥). وكان يباع لعامة الشعب كأية سلعة أخرى. ففي سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م)، رخص جداً حتى «أنه بيع القنطار بمشرة دراهم»^(٦٦).

وشاع استعمال الثلج في عصر المماليك، فاهتموا بنقله لحاضرة ملكهم «إكبالاً لحال الرفاهية وإظهاراً لأبهة الملك»^(٦٧). فاستعملوه في قصورهم، ونقلوه الى مكة المكرمة في حجهم، ففي سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١ م)، حجت الأدر الشريفة خوند طفاي، وخرج في خدمتها جماعة من الأمراء الكبار، وحملت معها الخضراوات والرياحين مزروعة في مياقل على أظهر الجبال، وهي أول من استنتت هذه العادة، وفي رحلتها هذه «أسقت الناس بالموسم في جميع أيام التشريق السوق بالسكر الطبرزد بالثلج مبرد»^(٦٨). وفي سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م)، حمله السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى الحجاز، وفي الطريق تخلص بواسطته من بعض أعدائه «فسقى أحمد بن بكتمر ماء بارداً في مسيره كانت فيه منيته»^(٦٩). وكان من عادة سلاطين المماليك ابتداء من الملك المؤيد شيخ أن يقدموه للعلماء عندما يجتمعون بهم، تكريماً لهم وتعظيماً. فكان الملك المؤيد سيف الدين شيخ الحمودي (٨١٥-٨٢٤ هـ) يجتمع بالعلماء في قصره مساء يومي الأحد والأربعاء، فإذا فرغوا من مناقشاتهم العلمية يأمر «بأن يسقوا من السكر المكرر المدد لنفسه في سلطانيات كبار، في كل سلطانية قطعة كبيرة من الثلج في أيام الصيف والهواجر، وهذا شيء لم يكن يفعله أحد من الملوك قبله»^(٧٠).

(٦٥) القاسمي: قاموس الصناعات الثمانية، ج ١ ص ٧٢.

(٦٦) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢ لوحة ١٥٩ «مخطوط».

(٦٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٥.

(٦٨) ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٩ ص ٣٠٥.

(٦٩) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٩ ص ١٠٦.

(٧٠) العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، ص ٢٧٤.

بالغ الممالك في عملية نقل الثلج من بلاد الشام، وجعلوا لها نظاماً معيناً. فكانت أحمال الثلج تنقل بجرأ من بيروت وصيداء الى دمياط، ثم تخرج المراكب في النيل الى ساحل بولاق، ومن هناك ينقل على البغال السلطانية الى الشراجاناة^(٧١)، بقلمة الجبل، حيث يخزن في صهريج أعد لهذا الغرض^(٧٢). وكانت عدة هذه المراكب في عهد الظاهر بيبرس ثلاثة مراكب في السنة. ثم أخذت تزداد حتى بلغت أحد عشر مركباً^(٧٣). وجرت العادة أن يكون بكل مركب عدد من الثلجين لمداراته والاهتمام به، وبعد وصوله الى صهاريجه، يعود الثلجون على خيل البريد الى ديارهم. ومنذ أن قامت دولة الممالك الثانية أبطل استخدام مراكب الثلج^(٧٤). واستعاض عن ذلك بنقله برا. وكان المنقول براً أنظف من الجلوب بجرأ، لذا جعل لمشروب السلطان خاصة. وقد وضعت الدولة المملوكية لنقله نظاماً خاصاً ودقيقاً، فأقامت له المراكز على طول الطريق من دمشق الى مصر، جهز في كل مركز ستة هجن ومدة ترتيب نقله من شهر حزيران (يونيو) الى تشرين الثاني (نوفمبر) وبلغت عدة نقلاته احدى وسبعين نقلة، في كل نقلة خمسة أحمال. ففي كل مركز تغير الهجن الخمسة المرصدة، والسادس يركبه الهجان نفسه. ويجهز مع هذه الأحمال ثلاج خبير بحمله ومداراته

(٧١) الشراجاناه: او خزانة الشراب الخاصة بالسلطان. كان يحفظ فيها أنواع الأشربة، والسكر، والفواكه والمعاجين النفيسة والمريات الفاخرة، وأصناف الأدوية، وأنواع العطور النادرة. بالاضافة الى الأدوات المنزلية النفيسة، والأواني الصينية من الزبادي والصحون والأزهار، ومن غير ذلك من الأمور الخاصة بالسلطين، ويشرف عليها أمير برتبة مقدم او طبلخاناة (انظر: القلقندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٧٢، ج ٤ ص ٢١).

(٧٢) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٨ - القلقندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٦ - ابن شاهين: زبدة كنف المالك، ص ١١٧.

(٧٣) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٩ - القلقندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٦.

(٧٤) ابن شاهين: زبدة كنف المالك، ص ١١٧. أما أبو الحسن فيذكر أن الذي أبطل نقله بجرأ هو السلطان حسام الدين لاجين، فهو يقول: «وهو الذي أبطل الثلج الذي كان ينقل في البحر من الشام الى مصر، وقال: أنا كنت نائب الشام، وأعلم ما يقاسي الناس من وسقه من الثلجة» (انظر: النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ١٠٥، ١٠٦).

يغطي عادة صهوة فرس بريد، وقد ربط هذا الجهاز بديوان الانشاء أيضاً، وكانت مراكزه لا تشغل إلا في موسم الصيف فقط.

أما مراكز نقل الثلج فهي:

دمشق، الصنمين، طفس، اربد، بيسان، جينين، قاقون، لد، غزة، العريش، الوردادة، المطيلب، قطيا، القصير، الصالحية، بلبيس، القلعة بالقاهرة^(٧٥).

من هذه الدراسة يتبين لنا أن المالك ربطوا جميع أجزاء مملكتهم بشبكة دقيقة من المواصلات والاتصالات، بلغت من الدقة والنظام حداً جعلها أشبه بالاتصالات الحديثة. فكانت تقارير النيابات والولاية، وأخبار الأعداء تصل بانتظام الى السلطان في القاهرة، فيصرف الأمور، ويعرف ما يدور في جميع أرجاء سلطنته ونتيجة لهذا النظام الاداري الدقيق، استتب الأمن في طول البلاد وعرضها، فالطرق سالكة آمنة، وقوافل التجارة تجتازها دون أن تتعرض لأي أخطار. فإذا تجاوزنا صراع طبقة المالك أنفسهم على السلطنة، فإن الهدوء كان سائداً، والأمن مستتباً، ومن هنا اهتم الناس بانتاجهم، وانصرفوا الى تدبير معاشهم، فازدهرت الحياة الاقتصادية في ظل هذا الأمن وبرزت مدارس فنية في الصناعات والبناء. ونبغ في هذا العصر أعظم المؤرخين، وخيرة الفقهاء والعلماء. وكانت القاهرة ودمشق وحلب والكرك وغيرها مراكز اشعاع حضاري، ما زالت آثارها ماثلة أمامنا للآن.

(٧٥) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩٨ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٤ ص ٣٩٧ - ابن شاهين: زبدة كشف المالك، ص ١١٨.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

١ - الزراعة:

٢ - التجارة الداخلية والخارجية:

أ - التجارة الداخلية.

ب - التجارة الخارجية.

١ - التجارة البرية العابرة (الترانزيت) والاسواق الموسمية.

٢ - التجارة البحرية (العقبة بندر الاردن).

٣ - العلاقات التجارية الخارجية.

٣ - الأوزان.

٤ - السكة.

٥ - الصناعات.

أولاً: الصناعات القائمة على الانتاج النباتي والحيواني

صناعة الخمور - السكر - النيل - الصابون - البلسم - الحصر -

الدقيق - الفحم - المنسوجات - الابطة - المراكب.

ثانياً: صناعة الاسلحة:

النفط - السيوف - الاقواس والكنائن - النبال أو السهام.

ثالثاً: الصناعات الفنية:

فن الحفر على الخشب - الصياغة والتكفيت - فن صناعة التحف الخزفية.

رابعاً: التعدين:

الحديد - الكبريت - الحمر - النحاس - الرخام.



(١)

الزراعة

منطقة شرقي الاردن نجد مرتفع معدل علوه ألفا قدم، وتمتاز بمناظرها الطبيعية الخلابة ومناخها المنعش، لذا وصفت قديماً بأنها من أحسن المناطق الصحية في العالم. وشعب هذه المنطقة عريق في احترافه للزراعة. وموفق في استغلال أراضيها ماهر في الفلاحة والفروس. فالحقول التي تروى بمياه الامطار استفلها في زراعة الحبوب كالقمح والشعير، التي انتشرت حقولها في نواحي الكرك والشوبك وفي البلقاء، وفي المنطقة المسماة بالبرية^(١) الواقعة شرقي جبال عجلون حول إربد والرمثا. أما المناطق الجبلية فقد غرسها بكروم الزيتون والاعناب واللوز، فانتشرت زراعته في شمالي المنطقة جنوبي نهر اليرموك (الكفارات)، وفي جبال عجلون والבלقاء، وجبال مؤاب ووادي موسى^(٢). في

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٥- باقوت: المشترك وضما، ص ٩٦ ومعجم البلدان، ج ٢ ص ٣٩٤، ٦٠٠ وج ٣ ص ٧١٩- أبو شامة: الروضتين، ج ٢ ص ١٩٧- أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٤٧. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٤٠٩- القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٢ ص ٣١٤- المقرئزي: السلوك، ج ١ ص ٥٥٥ وج ٢ ص ٦٧٦ وإغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٤ ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ٤٦- ابن طولون: مفاكهة الحلان، ج ١ ص ٢٩١- فولني: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ص ١٩٨-١٠٠-

Smne, La Syrie, P.151.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٨- المهاد الكاتب، الفتح القمي، ص ٥٨، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٧٩-

Lane Poole, Saladin, P.120

حين اختصت الأودية الكثيرة المنتشرة بزراعة الفاكهة المختلفة كالشمش والكمثري والتفاح والخنوخ والتين والرمان^(٣). كما اختصت أودية حسان والكرك بزراعة أشجار الجوز وبلغت أشجار الجوز من الكثرة الى حد أن ما أخربه السيل الذي دهم وادي حسان بالكرك سنة ٧٨٧هـ (١٣٨٥م) من أشجار الجوز بلغ اثني عشر ألف شجرة جوز^(٤). وفي أودية الكرك انتشرت أشجار الحور والورد والاترنج والمهل^(٥).

وكانت منطقة الاغوار التي تمتد من جنوبي بحيرة طبرية حتى البحر الميت وما يقع منها في جنوبيه قرب الكرك، فهي من المناطق الزراعية المشهود لها بالخصب ووفرة الفلال واشتهرت بزراعات عديدة متنوعة كقصب السكر، والموز والنخيل، والنبيل، والبلسان، والحلفا، والارز^(٦). أما أعالي الجبال فقد كستها الغابات الكثيفة في جبال عجلون ومواب والشراة، واشتهرت بأشجار البلوط والسنديان، والسرو، والصنوبر، والسدر، والخروب، والسماق، والبطم، والعرار، والطلح وغيره^(٧). بينما تميزت مدينة العقبة في أقصى الجنوب بأشجار النخيل، ومناطقها المجاورة بالقمح^(٨).

(٣) البيهقي: ذيل مرآة الزمان، ج ٣ ص ٨٥- أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٢٨- ابن بطوطة: الرحلة، ج ١ ص ٣٥- القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٠٦، ١٥٦

Le Strange. P.479,536.

Oman, History of the art of war, vol. 1, P.259.

(٤) ابن قاضي شعبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١ لوحة ٩ «مخطوط».

(٥) وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩ بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٠- الاصلطخري: مسالك الممالك، ص ٦٤- ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٦٩- القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٤٢- ابن الأخوة: معالم القرية، ص ١٢٠- القاسمي: قاموس الصناعات الثمانية ج ٢ ص ٣٦١- هاملتون جب: المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢ ص ١٠٥- آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٣٠٩- بيركهارت: رحلاته، ج ٢ ص ١١٤.

Heyd, Histoire du Commerce, vol. 2, P.577, 686.

(٧) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٣٢- النويري: نهاية الارب، ج ٨ ص ٢٥٦- أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٤٧- القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٥٦.

Smith, The Historical geography of the Holy Land, P.535.

فانتهج في ذلك نظام فلاحة الحقلين، بمعنى أنه يعمد الى زراعة حقل في الوقت الذي يزرع فيه الثاني، ثم يبدل الحقلين في السنة التالية^(٩١)، تجنباً لاجهاد الارض وتحسيناً للإنتاج، استعمل الفلاح الأردني في العصر المملوكي في فلاحته الطرق التقليدية القديمة، فكان يحرث الأرض بألة مخصصة لذلك تسمى السكة في رأسها حديدة تسمى النصل وهو الذي يشق به التربة ويحرث الأرض^(٩٢)، وكانت هذه الآلة تنصب على رقبة ثورين يحرثان الأرض يسميان (الفدان).

كذلك اشتهرت جادية وهي احدى قرى البلقاء في عصر دولة المماليك الاولى بزراعة الزعفران (الورس)، الذي كانت له أهمية آنذاك اذ كان يستخدم في الصباغة، ويصدرونه الى الخارج لحاجة الغرب الاوربي الى استخدامه كدواء أيضاً^(٩٣). كذلك كانت عمان تصدر نبات الراوند، وهو عبارة عن عروق خشبية مستديرة في غلظ الاصابع، يسمى الراوند الشامي أو راوند الدواب، لان البياطرة يسقونه للدواب اذا احترت أكبادها. ويختلف هذا الراوند عن الراوند الصيني الذي يشبه القلقاس والذي يستعمل في علاج الانسان، كأوجاع الكبد والكلى والمفص^(٩٤). ومن بعض المحاصيل الزراعية اشتغل سكان المنطقة بتجفيف الفاكهة كالزبيب والقطين^(٩٥) (التين المجفف).

Conder. The monumental history of Palestine P.389.

(٨) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٨ - المفريزي: المخطط، ج ١ ق ٣ ص ٣٢٥ - نعم شقير: تاريخ سيناء، ص ١٩٣. قدر موسل أشجار النخيل في القبة حتى أواخر الحرب العالمية الأولى بثلاثة آلاف شجرة - انظر:

Musil. The northern Hegaz, P.85.

(٩) النوري: نهاية الارب، ج ٨ ص ٢٥٦ - ابراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص ٢٤٢.

(١٠) القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ج ١ ص ٩٥.

(١١) Lamb. The flame of Islam, P.2179. Heyd, op.cit. vol. 2, P.669.

آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٣١٠ - محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٣ ص ١٦٨ - جادية: (الياء تحتها نقطتان خفيفة)، قرية من عمل البلقاء من أرض الشام وإليها ينسب الجادي وهو الزعفران (انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ١ ص ٣١٦).

(١٢) الشيزري: نهاية الرتبة، ص ٤٢، ٤٣، ٨٦ ابن الأخوة: معالم القرية، ص ١٩٤.

(١٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨١.

(٢)

التجارة الداخلية والخارجية

أ - التجارة الداخلية:

نشطت حركة التجارة في شرقي الاردن نشاطاً ملموساً في عصر دولة المماليك الاولى على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وانتشرت مدنها وأسواقها العامرة بشتى صنوف السلع والصناعات . وكانت على هذا النحو مراكز تجارية هامة تمعد فيها الاسواق الاسبوعية واليومية ويجلب إليها أهل الريف الفائض من انتاجهم لبيع في أسواقها نقداً أو مقايضة ، ويتعاون منها ما يحتاجون إليه من السلع^(١٤) . وأهم ما كانت تتميز به هذه الاسواق أن كل سوق منها كان يختص بنوع معين من السلع . وقد وصل إلينا صورة حية لاسواق مدينة عجلون ، نقلها إلينا النويري تعتبر انموذجاً حياً وفريداً لما كانت عليه أسواق المدن الاردنية وقياسرها في عصر المماليك . فقد ذكر من أسواقها: سوق الآدمين (المجلود) وسوق القطانين وسوق الاقباعين^(١٥) ، وسوق الخليج^(١٦) وسوق الصاغة وسوق الفامية^(١٧) وسوق اللحامين

(١٤) هاملتون جب: المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢ ص ٦٩ ، ١٤٧ .

(١٥) سوق الاقباعين: وهو معد لبيع الاقباع ، وهي عمامة من حرير على قبل حرير وأحياناً بلبس القبع على الرأس بدون عمامة ، وفي بعض الأحيان تصنع العمامة من الجوخ .

Quatre.ere. Histoire des Sultans Mamlouks. vol. 2, P.252.

(انظر: ماير: الملابس الملوكية، ص ٩٠).

(١٦) سوق الخليج أو الخلميين: وهو السوق الذي يتعاطى بيع الثياب القديمة الملبوسة وأكثر ما يباع فيه الثياب المخيطة . (المقريزي: الخطط، ج ٣ ص ١٦٩).

(١٧) سوق الفامية: من قوم تقويما اختبز ، يقال قوموا لنا أي اختبزوا لنا ، والقوم أيضاً: الحنطة =

وسوق البز العتيق وسوق الحصريين وسوق أم معبد، وحوانيت الخبازين وحوانيت الدق^(١٨) وحوانيت الطباخين والعلافين.

ومن قياسها^(١٩)، قيسارية الأمير سيف الدين بكتمر في عجلون والقيسارية القديمة، وقيسارية ملك الامراء تنكز - ومن وكالاتها: دار الطعم (وكالة للتجار الاجانب)، ثم هناك المصبغة والفرايين^(٢٠)، والدباغة ومسلخ المعز والضأن^(٢١). وكانت القياسر بالاضافة إلى وظيفتها الاساسية في البيع والشراء، تقوم مقام الخانات فكان ينزلها التجار ويخزنون بضائعهم فيها. والقياسر من المنشآت التي يبنها الامراء المالك للكسب واستثمار الأموال، أو للوقوف على أعمال الخير مثل: قيسارية الأمير سيف الدين بكتمر، وقيسارية الأمير تنكز نائب دمشق التي وقفها على اليبارستان الذي بناه في مدينة صفد^(٢٢). وكانت هذه القياسر في العادة مسقوفة وتعلوها الرباع يستأجرها التجار أو العامة. وكانت هذه القياسر تضم مصانع صغيرة، كما كانت تعرض فيها السلع للبيع بالجملة^(٢٣). وكان للقياسر

والحمص والخبز وسائر الحبوب التي تخبز، وبائعه فامي. (قاموس المحيط مادة فوم).

(١٨) حوانيت الدق: والدق هو البقايا المنفضة من بزور الزيتون والمشمش المحروقة في الأفران.

(البديري: حوادث دمشق اليومية، ص ١٥٩ حاشية رقم ١).

(١٩) القياسر أو القيساريات: أبنية تقوم بمهمة الأسواق، ويبدو أنها محرقة عن الكلمة اللاتينية

Caesarea أو Cesarie وظهرت في بلاد الشام قبل مصر. وهي لا تختلف في وظيفتها عن

الفنادق والخانات، وبها حوانيت توجر للتجار، وتقوم بجانب مهمة البيع والشراء بمهمة نزل

وإقامة التجار وخزن بضائعهم وحفظ أموالهم. أما البيع فيها فيكون بالجملة والتجزئة معاً.

ويبنى فوق هذه المؤسسات رباع، فيها عدة مساكن توجر لطوائف معينة من التجار أو لسكنى

العامة (المقريزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٤ - ابراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص ٣٦٨).

(٢٠) الفرايين: أي صناعات الفراء وتجاره، وقد راجت في عصر المماليك أنواع كثيرة من الفراء الثمين،

مثل: السمور والوشق والقاقم، سبب رواج تجارته إلى كثرة استعمال المالك والأثرياء للفراء

(ابراهيم طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٧٥).

(٢١) النويري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩٠-٩١ «مخطوط». وانظر بالتفصيل عن هذه الأسواق في

الملاحق.

(٢٢) النويري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩٠ «مخطوط».

(٢٣) المقريزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٤، ١٤٨ - ابراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص ٣٦٨ =

مداخل خاصة تقفل ليلاً، ويوضع في المدخل حارس لحفظ ما بداخل القيسارية من بضائع وسلع^(٢٤).

ب - التجارة الخارجية:

١ - التجارة البرية العابرة (الترانزيت) والأسواق الموسمية:

اكتسبت المنطقة موضوع الدراسة بحكم موقعها الجغرافي الهام من الشرق والغرب وفي مفترق الطرق الى مصر والشام والعراق والجزيرة العربية مزايا فريدة من نوعها، إذ أتاح لها أن تكون شرياناً رئيسياً لحركة القوافل التجارية البرية من الجزيرة العربية باتجاه دمشق والبحرية عبر البحر الأحمر والمقبة الى الساحل الشامي. وكان القسم الشمالي من المنطقة يمثل طريق الاتصال الرئيسي الذي يربط الرافدين ودمشق بفلسطين والديار المصرية، وقد لعب هذا الطريق دوراً هاماً في حركة المواصلات بين دمشق والقاهرة في العصر الوسيط^(٢٥).

وكانت دروب الاردن المنفذ الوحيد لقوافل الحاج الشامي الذي يضم في

= سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص ٢٦٩ - نيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ٢٩٥.

(٢٤) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ٢٨١، ٢٨٧ - ياسين الحموي: دمشق في العصر الأيوبي، ص ٥٢.

(٢٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٢ ص ٣١٤ - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ٢٦٨، ٢٨١، ٣٠٠، ٣١٤، ٣٢٧ - رينه ديسو: العرب في سورية، ص ٩ - كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ج ١ ص ١٢، ١٣.

Heyd, Histoire du Commerce, vol. 1, P.170,173.

Dussaud, Topographe Historique, P.327, 348.

Grant. The Syrian desert, PP.36-37, P.43, 49.

Roberts, The Holy Land, vol. 3, PP.2-3.

Bouchier, Syria as a Roman Province, PP.44-45. P.167.

Pirenne, Economic and social history of middle Europe, P.143.

Smail, Crusading warfare, P.207.

صنوفه حُجاج فارس وشمال العراق وحلب وديار بكر^(٢٦)، فكانوا يحضرون معهم صنوف السلع المختلفة منها: «لؤلؤ كبير وصغير، واحجار ومعادن وشال وغير ذلك»^(٢٧). وكانت قوافل الحجاج تتجمع في مزيريب قرب أذرعات وهوران، حيث تقام لهم سوق هامة^(٢٨). ثم يتابع الراكب مسيرته في قفل هائل يبلغ في بعض الأحيان ثلاثة عشر ألف جمل^(٢٩)، مخترقاً أرض الاردن من الشمال، فيمر على الرمثا ثم يسير الى الزرقاء فيقيم بها يوماً أو يومين، ثم يرحل الى زيزاء حيث يضرب ثلاثة أيام أو أربعة ليواصل رحلته الى اللجون، ثم الكرك حيث يتزلون بالثنية خارج الكرك مدة أربعة أيام. ثم يخرج الراكب الكركي ويتقدم قفل الحاج الشامي^(٣٠)، وينزل بالحسا حيث يتزود الراكب من مائه، ثم يرحل بعد ذلك الى مدينة معان، فيقيم ثلاثة أيام ثم يتجهز الحجاج للدخول في البرية. باتجاه عقبة الصوان ثم الى ذات حج ومنها الى تبوك وهكذا الى المدينة ومكة^(٣١).

كانت قوافل الحاج الشامي بضخامة أعدادها التي يمرون بها وكثرة المشتركين

(٢٦) مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد، ج ١ ص ١٩٦- ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ١٢٩.

(٢٧) البديري: حوادث دمشق اليومية، ص ١٦١- وانظر أيضاً: ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ١١٩.

(٢٨) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ٣٧٨، ٣٨٩- البديري: حوادث دمشق اليومية، ص ٥٢- القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ج ١ ص ٧٩.

Heyd, Histoire du commerce, vol. 1, P.171.

(٢٩) الحنبلي: الأنس الجليل، ج ٢ ص ٧٠، وانظر:

Grant, The Syrian desert, P.42.

(٣٠) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٣١٣- ولي الدين العراقي: الذيل على ذيل العبر، لوحة ١١٤ «مخطوط»- المقرئ: السلوك، ج ٤ ص ١٢٢٨.

(٣١) العمري: مسالك الأبصار، ج ٢ ص ١٦١ «مخطوط».

كان الملك العظيم عيسى أول من سهل طريق الحاج عبر الأردن، ففي سنة ٦٢٢ هـ أرسل شخصاً على رأس فرقة خاصة قام «بمحو الأرض من باب الجابية إلى جبل عرفات، وكتبها له منزلة منزلة، وسهل في طريق الحاج مواضع كانت وعرة كثيبة الصوان، وكثر المير لهم في أراضي الكرك والشوبك وتبوك والعلا والمدينة» (انظر: أبو شامة: تراجم رجال القرنين، ص ١٥٢).

فيها ووفرة ما كانوا يحملونه معهم من السلع وما يبتاعونه من المناطق ذات صفة تجارية، إذ كانت تعود على سكان المنطقة بالنفع العميم والريح الطائل، فقد جرت العادة أن يعقد سكان الاردن أسواقاً سنوية للحجاج في كل من: الزرقاء، وزيءاء، والكرك، والحسا، ومعان، ويصف العمري هذه الاسواق والمعارض بأنها كانت «قرى عامرة ذوات ماء وأسواق ومعايش وجلابة» (٣٢). وكان أهالي البلاد يجلبون الى هذه الاسواق أصناف السلع المختلفة، ولم تكن هذه الاسواق حكرأ على الحجاج فحسب، بل كانت فرصة للعربان ليحصلوا على حاجاتهم من السلع عن طريق المقايضة بمنتجاتهم من الغلال والاجبان والبسط والماشية وغير ذلك (٣٣). أما أهالي البلاد فكانوا يربحون من وراء ذلك أيضاً أرباحاً طائلة سواء عند توجه الحاج الى مكة أو بعد عودتهم منها.

وكانت تقام في القسم الشمالي من الاردن وفي إربد بوجه خاص أسواق لقوافل التجارة المتحركة ما بين دمشق والقاهرة، فازدهرت تجارة إربد وأسواقها لوقوعها على هذا الشريان التجاري الهام، ذلك ان هذه القوافل التجارية المارة بها كانت تضم أعداداً كبيرة من التجار القادمين من بخارى وسمرقند وشيراز وآمد وبلاد الارمن والعراق، حاملين معهم صنوف البضاعة المختلفة (٣٤). ولا تزال آثار بركتها موجودة للآن في الحي الجنوبي من المدينة. وظلت تحتفظ حتى عهد قريب بمخازنها المتخصصة لخدمة التجار الوافدين إليها من المناطق المجاورة والبعيدة.

ويجدر بنا القول ان قوافل الحاج المارة بدروب الاردن لم تقتصر على الحاج

(٣٢) العمري: مسالك الأبصار، ج ١ ق ١ لوحة ١٧١ «مخطوط». وانظر أيضاً: ياقوت: معجم البلدان، ج ٢ ص ٩٦٦-الدمشقي: نخبة الدهر، ص ٢١٣-البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٣ ص ١١٨- ابن بطوطة: الرحلة، ج ١ ص ٦٧- ابن طولون: مفاتيح الخلان، ج ١ ص ١٠. Grant, The Syrian desert, PP.223-224.

(٣٣) ابن طولون: مفاتيح الخلان، ج ١ ص ٢٧٧- القاسمي: قاموس الصناعات النامية، ج ١ ص ٧٩، ١٥٩.

(٣٤) المقرئبي: السلوك، ج ٢ ص ٥٩٢- ابن طولون: مفاتيح الخلان، ج ١ ص ١١٨، ١١٠، ١١٩.

Quatremere, Histoire des Sultans Mamlouks, vol. 2, P.42.

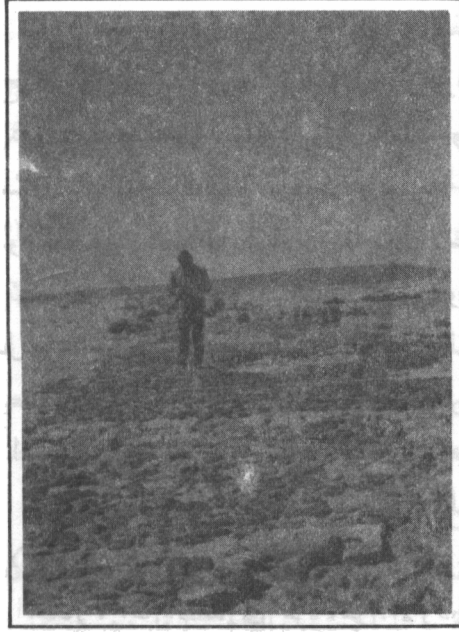
الشامي فحسب بل كانت تعبر بها قوافل الحجاج المصري الذي كان يضم أخلاطاً مختلفة من الحجاج المغاربة والتكاررة، والسودان وغيرهم^(٣٥)، وكانت هذه القوافل تعبر الاردن عند طرفه الجنوبي مروراً بالعقبة ولذلك أقيمت لهم في مدينة العقبة الاسواق الجليلة العظيمة ويصف العمري هذه الاسواق بقوله: «وهو مكان مقصود تأتي إليه أجلاب الشام، وتقام به الاسواق العظيمة الممتدة المتشعبة، التي لا توجد في أمهات الاقاليم وكبار المدن. ولعل أنه لا يعدم فيها موجود من: الخيل والإبل والغنم والدقيق والشعير والعلف، وأنواع المأكّل والشارب والحامل والاكوار، والرحال، والسلاح والقماش والفرش، والامتعة وغير ذلك. وأيام اقامة الحجاج هذا أيام مواسم»^(٣٦). من هذا الوصف تتضح لنا مدى ضخامة هذا السوق ومقدار ما كان يجلب إليه من سلع وبضائع. ولم يكتف سكان الاردن بالانحجار في هذه الاسواق الموسمية، بل كانوا يرافقون ركب الحجاج الى بلاد الحجاز، أما النصارى من أهل الاردن فلم يكن يسمح لهم بمصاحبة الحجاج الى أبعد من مدينة العلا^(٣٧) كذلك كانت شرقي الاردن معبراً

(٣٥) المقرئزي: الخطط، ج ١ ص ٣٢٧- السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، ص ١٤٨- فبيت: المواصلات في مصر، ص ١٩. وكانت قوافل الحجاج تبدأ من أقصى المغرب (مراكش)، وتسير بمحاذاة الساحل، لينضم إليها حجاج الجزائر وتونس وطرابلس، فتبلغ بين أربعة آلاف رجل، وتصل إلى الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة لتنضم إلى الركب المصري، فتسير إلى مكة عن طريق العقبة (انظر: فولني: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ص ١٣٦).

(٣٦) العمري: مسالك الأبصار، ج ٢ ق ١ لوحة ١٦٨ «مخطوط». وانظر أيضاً: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٠٣- المقرئزي: الخطط، ج ١ ق ٣ ص ٣٢٥- السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٣١٠- فبيت: المواصلات في مصر، ص ١٦، ١٧. ويقول ابن الصيرفي سنة ٨٧٦ هـ: «ووصلت كتب الحجاج من العقبة، وأخبروا بالأمن والرخاء، وأن العليق أبيع أربع وبيات بدينار وقيل خمسة، والبقساط القنطار بأربعين نصفاً، والجبن الخليلي والكركي كل عشرة أرتال بمائة درهم، وفرح الناس بذلك واستراح الحجاج في هذه السنة» (انظر: أبناء مصر، ص ٤٢٩).

Jacob, History of Palestine, P.302.

(٣٧) يقول ابن بطوطة: «العلا قرية كبيرة حسنة لها بساتين النخل والمياه، يقيم بها الحجاج أربعاً، وإليها ينتهي تجار نصارى الشام لا يتعدونها ويباعون الحجاج الزاد وسواه» (انظر: الرحلة،



الطريق المعبد المار بجانب خان الحسا شمالا وجنوبا



منظر لجسر الحسا الذي ذكرته المصادر العربية وعنده قباض المكوس

لتجارة الهند والصين وجنوب الجزيرة العربية القادمة الى دمشق عن طريق جدة
فرضة مكة^(٣٨)، وفي هذه الحالة كان عليها دفع الرسوم المقررة في الديوان الواقع
عند جسر الحسا وكان تابعاً لنيابة الكرك وكانت الكرك تحصل من هذه
المكوس ما يبلغ عشرة آلاف مثقال من الذهب شهرياً، أو عن القوافل التجارية
القادمة من الحجاز الى مصر براً، وفي هذه الحالة كان عليها دفع الرسوم في
ديوان أقيم في بويب العقبة^(٣٩).

ومن المعروف أن أهم سلع الشرق التي يحملها التجار معهم في هذه القوافل لا
تخرج عن التوابل: كاللفل والبهار، والزنجبيل، وجوز الطيب، والعمود:
كالمسك، والعنبر، والكافور، وخشب الصندل، والقرنفل. والاحجار الكريمة:
كالؤلؤ، والاماس، والفيروز، والعقيق الأحمر، والعقيق الياقي، والمرجان.
والصمغ العربي، والورق، والنيلة، والحريير الصيني، والحديد، والنحاس،
والرصاص، والقصدير، والذهب والعاج. وكانت القوافل تحمل عند عودتها من
السلع والتحف ما كانت البلاد الشرقية تتلهف عليه مثل المنسوجات المصرية
والدمشقية بأنواعها والتحف النحاسية المكففة بالفضة وأفرية السمر وأخشاب
الصنوبر والخيول العربية التي كانت تجد سوقاً رائجة لها في الهند والصين^(٤٠).

ج ١ ص ٦٩). وانظر أيضاً: صبحي لبيب. التجارة الكارمية، المجلة التاريخية، عدد ١٩٥٢ م،
ص ١٣.

(٣٨) كان يصل مكة وميناءها جدة في موسم وصول سفن الهند ما لا يقل عن ٨٠ ألف جل وعادة
يوقت وصولها في موسم الحج. ومن هناك تسير إلى دمشق، ثم تعود ببيضان الشام وأوروبا إلى
مكة وعدن لتنتقل إلى الهند والصين، فتمر في غدوها ورواحها عبر الأردن، فانظر مقدار
الفائدة التي تعود على البلاد من حركة القطر التجارية العابرة. انظر: المقرئبي: السلوك، ج ٤
ص ٦٨١، ٧٦٨، ٩٦٥. أبو الحسن حوادث الدهور، ج ١ ص ٣٢٧ - كلود كاهن: تاريخ
العرب والشعوب الإسلامية، ج ١ ص ٢١٧ - صبحي لبيب: التجارة الكارمية، ص ٤٤ - نعيم
زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٣٩) المقرئبي: السلوك، ج ٤ ص ٢٥٦ - ابن شاهين: زبدة كشف المالك، ص ١٠٨، ١٣٢. صبحي
لبيب: التجارة الكارمية، ص ٣٦ - نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ٢٧٩.

(٤٠) الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص ٧٦، ٧٧ - شارل ديل: البندقية، ص ٣٥ - كلود كاهن: تاريخ
العرب والشعوب الإسلامية، ج ١ ص ٢٢٧، ٢٢٨.

٢ - التجارة البحرية « العقبة بندر الاردن » :

لم يكن للاردن منفذ بحري على البحر الاحمر الا ثغر العقبة الواقع على طرف اللسان الشرقي للبحر وكانت العقبة على هذا الاساس نافذة الشام على الشرق وتجارته. وظلت العقبة طوال العصر الاسلامي حتى يومنا هذا ميناء تجارياً هاماً. واذا كانت العقبة قد ازدهرت اقتصادياً في عصر الدولة الفاطمية ومرحلة التبعية للسيطرة الصليبية، فانها لم تفقد أهميتها في عصر الايوبيين والمماليك، فقد أقيم فيها قصر لقباض المكوس^(٤١)، وفيه كانت الرسوم تستوفى على البضائع القادمة إليها ومن هناك تشحن في قوافل برية الى دمشق أو حلب^(٤٢)، ومن ثم تأخذ طريقها الى موافى: انطاكية، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا، لتصدر الى دول أوروبا.

وقد خدمت العقبة التجارة البحرية طيلة العصر الاسلامي الى أن تم كشف طريق رأس الرجاء الصالح، وظلت تؤدي دورها الهام باعتبارها دهليز الشام الى الهند والصين وسواحل افريقيا الشرقية أو ما اصطلح على تسميته في العصر المملوكي ببندر الاردن.

Marco Polo, The travele of Marco polo, P.319.

Newton. Trade and travellers, P.94.

Lopez & Raymond Medieval trade in the Mediterranean world, p.28,108.

Grant. The syrian desert, P.149.

Thomson, History of the middle ages, P.207.

Pirenne, Economic and social history of middle Europe, P.145.

(٤١) يقول ابن أياس: « وكانت بها قصر يسكن فيه قباض المكوس بسبب مراكب التجار التي ترد هناك من الهند واليمن والصين، وغير ذلك من البلاد » (انظر: نسق الأزهار في عجائب الأقطار، لوحة ٨٧ « مخطوط »). وانظر أيضاً: نعم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ١٤١.

(٤٢) نعم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ١٤٦، ١٥٠، ١٥١.

Roberts, The Holy Land, vol. 3, P.43.

وانظر: علي حسن الخربوطلي: البحر المتوسط بحيرة عربية، ص ٨٦.

والى جانب هذا المرفأ التجاري الهام كان البحر الميت يربط منطقة الكرك بأريحا والقدس، حيث كانت الفلك المشحونة تشق مياهه من مدينة زغر في طرفه الجنوبي^(٤٣)، الى الشمال وبالعكس، تحمل الغلال والسلع والافراد^(٤٤)، وقد استمرت هذه الحركة التجارية الدائبة في أوج نشاطها طوال عصر دولة سلاطين المماليك.

٣ - العلاقات التجارية الخارجية:

بالاضافة الى العلاقات التجارية الوثيقة التي كانت تربط شرقي الاردن بكل من القاهرة ودمشق وبيت المقدس والساحل الفلسطيني والحجاز ارتبطت أيضاً بعلاقات تجارية مع بغداد، ففي القرن السابع الهجري قدم ياقوت الحموي في تجارة الى عمان لحساب سيده في بغداد^(٤٥). ونستدل من ذلك على أن عمان كانت في تلك الفترة مركزاً تجارياً هاماً. كذلك كانت للاردن صلاتها التجارية عبر البحر الاحمر مع الجنوب العربي والهند والصين وبلاد الزنج والشواطىء الشرقية للقارة الافريقية - ولا نشك على الاطلاق في انها كانت ترتبط تجارياً مع الغرب الاوروي بروابط وثيقة، فقد ذكرت المصادر عن وجود (دار الطعم) في مدينة عجلون، أعدت للتجار الاجانب: الجنوبيين والبنادقة والبيازنة وغيرهم^(٤٦) وهذه الدار يوجد شبيه لها في مدينة دمشق، وتؤدي نفس عمل الوكالة بالديار المصرية، ووجدت في عجلون أيضاً القياسر التي تقوم مقام الوكالة

(٤٣) وصفت زغر قديماً بالتجارة حتى قيل عنها: «إنها البصرة الصغرى والتجر المريح». (انظر: القزويني: آثار البلاد، ص ٩١، ٩٢).

(٤٤) Musil. Arabia Petraea Moab. vol. I, P.253.

(٤٥) ياقوت: معجم الأدباء، ج ١ ص ٤١ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٥ ص ١٢١.

(٤٦) دار الطعم بدمشق: وهي بمثابة الوكالة بالديار المصرية، ويتولاها شخص يدعى (شاد دار الطعم) يقوم بجبي المكوس من التجار، وولايتها من النائب (القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٧). ويقول المقرئزي: عندما تولى الأمير علم الدين سنجر الشجاعي نيابة دمشق سنة ٦٩٠ هـ، أذن له السلطان الأشرف خليل أن يطلق من الخزائن ما أراد من غير مشاورة «وجعل له في كل يوم ثلاثمائة درهم على دار الطعم» (السلوك، ج ١ ص ٧٦٨).

وتجمع في وظيفتها بين ابواء التجار الاجانب وخزن سلمهم. وما يؤكد صحة ما نذهب إليه قول النويري: «وردم أمام دار الطعم بعد اخراب بعضها احجاراً وصخوراً، وكل ذلك ليتعظ أهل المكس وما يزيدهم الا نفوراً»^(٤٧) وهذا يعني وجود شاد دار الطعم يقوم بجني المكوس من التجار الاجانب القادمين الى عجلون، وتشير بعض الوثائق الأوروبية الى وجود السكر الكركي والاسفلت والبلسم، وكل من السلع التي اشتهرت بها المنطقة في أسواق فلورنسا في الفترة ما بين عامي ١٣١٠ م الى ١٣٤٠ م^(٤٨). كذلك نصت المعاهدة التي عقدها السلطان الملك المؤيد سيف الدين شيخ مع البندقية على أن يتقيد بنصوصها كل من: نائب الاسكندرية والكرك وصفد وحماه وطرابلس، فأصدر أمره بذلك سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م)^(٤٩) وهذا دليل أن هذه النيابات كانت لها علاقات تجارية مع البنادقة قبل ابرام هذه المعاهدة وإلا لما صدر لهم هذا الأمر السلطاني، وفي فترة قيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالثورة بالكرك في سلطنته الثالثة وخروجه منها لامتلاك دمشق، منح بعض الأمراء اللاجئين إليه دنانير عليها صور^(٥٠). ولم تكن هذه الدنانير المصورة في الواقع سوى عملات ذهبية فرنجية^(٥١)، وأخذها الناصر من الكرك، ولولا قيام علاقات تجارية مع الغرب

(٤٧) النويري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩١ «مخطوط».

Lobez & Raymond,

(٤٨)

Medieval trade in the Mediterranean world, PP.109-113.

(٤٩) توفيق اسكندر: نظام المفاضة، المجلة التاريخية، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٤٠، ٤١، وقد قام بمقد هذه المعاهدة الفيران: سانتو فينزو ولرنزو كابللو (المرجع السابق).

(٥٠) يقول ابن آبيك: عندما توجه السلطان الناصر محمد من الكرك إلى دمشق، انضم إليه الأميران: علاء الدين ايدغدى شقير الحسامي، والأمير بدر الدين جوبان فأخلع عليها بذهب له صورة. (انظر: كنز الدرر، ج ٩ ص ١٧٠).

(٥١) الافرنقي والافلوري والبندقي والدوكات: دنانير كانت تجلب من بلاد الإفرنج وعلى أحد وجهي الدينار صورة رجل في دائرة مكتوبة بلقمتهم، وتمثل الصورة وجه الملك الذي تضرب في زمنه. وفي الوجه الآخر صورتان في دائرة مكتوبة وهما لبولس وبطرس الحواريين. ويقول القلقشندي: إن الأفرنقي أصله افرنسي ويمبر عنها أيضاً بالدوكات وتضرب في البندقية أما الافلوري فمنسوب إلى فلورنسا (انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٣٧ - القريزي: السلوك، ج ٤ ق ١ ص ٣٠٥).

الأوروبي لما وجدت هذه الدنانير، سيما وأن المقرزي يؤكد أن هذا النوع من الدنانير لم ينتشر تداوله إلا بعد سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م)^(٥٢). كذلك عرف أهل الشوبك بنشاطهم التجاري الكبير وسميهم الى أرزاقهم والتكسب عن طريق التجارة الخارجية ولهذا انتشروا في كل البلاد، فوجد بينهم تجار في الطور^(٥٣)، عندما تحولت تجارة الشرق من عيذاب إليه^(٥٤). وقد أدى ذلك الى اتهام المماليك لهم بالتجسس لحساب الفرنج في غزوة بطرس لوزجنان ملك قبرص على الاسكندرية، وصاروا يضيقون عليهم^(٥٥). ومن المعلوم أن التجار الأجانب سمح لهم بالتغلغل في مدن الشام الداخلية طلباً للتجارة فوصلوا الى بيت المقدس، ودمشق، وحلب، وبغداد^(٥٦). ولا أستبعد أبداً وصولهم الى عجلون والكرك والعقبة خاصة وأن العقبة أصبحت بندر الأردن على البحر الأحمر، ونافذة حلب ودمشق على تجارة الشرق. ومن المؤكد نتيجة لذلك وصول التجار العرب الى المدن الايطالية والأوروبية لا سيما وأن الكشوف الأثرية أثبتت وجود عملات إسلامية^(٥٧)، في كثير من أقطار أوروبا كالسويد وبعض الدول الاسكندنافية، مما يثبت أنهم وصلوا الى تلك الأصقاع، لشراء الفراء والجلود

(٥٢) المقرزي: السلوك، ج ٤ ق ١ ص ٣٠٥.

(٥٣) انظر وثيقة وقف غنيم بن سالم بن الياس النصراني الملكي الشوبكي رقم ٢٨٥، وناق دير سانت كاترين - نشر عبد اللطيف ابراهيم، مجلة آداب جامعة القاهرة مايو ١٩٦٣ م.

(٥٤) استعمل المماليك ميناء الطور سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) لاستقبال تجارة الشرق من الهند والصين «ورفضت عيذاب والقصور» (انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٦٥).

(٥٥) النويري السكندري: الإلمام فيما جرت به الأحكام القضائية، لوحة ٢٢١ أ «مخطوط»، ويقول السخاوي: «وفي سنة ٧٦٧ هـ ضيق يلغا على جميع النصارى الملكية خصوصاً الشوابكة واتهموا بأنهم مالأوا الفرنج حتى هجموا على اسكندرية» (انظر: الضوء اللامع، ج ٣ ص ٢١٣).

(٥٦) ابن طولون: مفاكهة الحلان، ج ١ ص ١٢٠، ١٢١ - شارل ديل: البندقية، ص ٣٢، ٣٣.

Newton, Trade and travellers of the middle ages, P.125.

كان عرب بلاد الشام مسلمين ومسيحيين يتاجرون مع المدن الصليبية على سواحل المتوسط وقد رأينا في قننة عكا كيف أن الفرنج هاجوا التجار العرب وقتلوا كل من يلبس لباساً شرقياً فقتل عدد كبير من المسيحيين العرب، انظر:

Setton, A history of the Crusades, vol. 2, P.594.

Newton, Trade and travellers of the middle ages, P.95..

(٥٧)

وعلى هذا النحو نستدل على قيام علاقات تجارية أوروبية مع منطقة شرقي الأردن.

وقد ساعد على تنشيط حركة التجارة في الداخل والخارج وخدمتها توافر دروب ومسالك، ينتشر فيها الأمن والاطمئنان فقد أسند المماليك ابتداء من عهد الناصر بيبرس درك البلاد وحراسة طرقها الى بني عقبة عرب الكرك، وبني مهدي عرب البلقاء. وضماناً لسلامة الاتصالات وتأمينها لتتابع حركة القوافل التجارية أقيمت الخانات على طول الطريق، لخدمة حركة المرور وتوفيراً لراحة التجار والمسافرين^(٥٨). فأقيم في الأردن كل من: خان العقبة، وخان الحسا، وخان القطرانة، وخان قياد (ضبعة)^(٥٩) مثلها في ذلك مثل بقية الطرق والمسالك المؤدية بين مصر والشام، حيث أنشئ العديد من هذه الخانات لخدمة المسافرين، زودت جميعها بالطعام والماء وحذاء الخيول، وبعضها كان يوزع هذه الخدمات سبيلاً.

ولم تقتصر مكاسب هذه المنطقة موضوع الدراسة من هذه الحركة التجارية النشطة عبر دروبها على مجرد الربح المادي العائد على أهلها بل كان تتابع هذه القوافل التجارية العابرة مجالاً خصباً لالتقاء حضاري وثقافي. فالطرق التجارية روافد وشرايين حيوية لنقل الحضارة والثقافة بين الشعوب، فعليها تنتقل الأخبار، وما يستجد من مذاهب وآراء. وكانت الأسواق التي تحط فيها عبر الأردن ميداناً لتبادل الفكر والمعرفة، وقديماً كانت الأسواق التجارية مجالاً طيباً للمسجلات الأدبية وهكذا كسب شعب هذه المنطقة من التجارة المارة عبر أرضه كسباً مادياً وثقافياً وحضارياً.

(٥٨) جاك ريسلر: الحضارة العربية، ص ١٣١ - كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ج ١ ص ٢٢٥.

(٥٩) انظر الفصل السادس عن تأسيس هذه الخانات.

(٣)

الأوزان والمكاييل

لم يكن هناك نظام موحد للأوزان في بلاد الشام^(٦٠)، فكل مدينة اختصت برطل ينسب إليها. ففي منطقة شرقي الاردن نقلت إلينا المصادر ما يشير الى الرطل المجلوني، والرطل الكركي^(٦١).

ولما كان الرطل يشتمل على ١٢ أوقية^(٦٢) فان أوقية عجلون تعادل ١٠٠ درهم، وأوقية الكرك تعادل ٧٥ درهماً.

أما صنحتها في أوزان الذهب فكانت في: المثقال والدرهم والدانق والقيراط. فالمثقال يعادل درهم ودانقان ونصف كما يعادل ٢٤ قيراطاً. أما القيراط فيعادل ٣ حبات وأربعة أسباع حبة. وعلى هذا الاساس يكون المثقال مساوياً لـ ٨٥ حبة وخمسة أسباع حبة، وزن كل حبة من حبوب الخردل البري المعتدل، والدرهم الاسلامي يعادل ٦ دوانق^(٦٣).

(٦٠) ظلت الموازين البيزنطية مستعملة في بلاد الشام ومصر. فترى أن الأوقية مأخوذة من الوزن البيزنطي Quggia، أما الرطل فهو تحريف للإسم البيزنطي Litra (انظر: ابراهيم العدوي: الامبراطورية البيزنطية والدولة العربية، ص ١٢٣).

(٦١) الرطل المجلوني يعادل ١٢٠٠ درهم، أما الرطل الكركي فيعادل تسعمائة درهم (ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ١٣٩).

(٦٢) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٦- ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ١٣٨.

(٦٣) ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ٨١، ٨٢.

واستخدم في بلاد الشام من المكايل:

الكيلجة	وتعادل	$1\frac{1}{3}$ صاع
المكوك	ويعادل	٣ كيالج
الوية	وتعادل	٢ مكوك
القفيز	وتعادل	٤ وبيات

أما مساواة هذه المكايل بالنسبة للصاع فهي:

المكوك	ويعادل	$1\frac{1}{4}$ صاع
الوية	وتعادل	٩ أصواع
القفيز	ويعادل	٣٦ ضاعاً

غير أن مدينة عمان استخدمت (المدى) ويشتمل على ٦ كيالج أو ٩ أصواع وكان لها أيضاً قفيزها الخاص بها ويساوي $\frac{1}{4}$ كيلجة أو $\frac{3}{4}$ صاع أما الفرارة فتساوي ١٢ كيلا.

والكيل يساوي ٦ أمداد^(٦٤).

وما زال الريف الاردني يستعمل: الكيل، والمد، والصاع، حتى الوقت الحاضر^(٦٥).

وفما يتعلق بالمقاييس استعمل سكان منطقة شرقي الاردن في قياس النسيج (ذراع القماش).

(٦٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨١ الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٧- القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨١.

(٦٥) وهناك وحدات أقل لهذه المكايل تستعمل في الريف الأردني، فمثلاً المد يساوي ٢ صاع، والصاع = ٢ ربعية = ٨ ثنية. فالوحدة الصفري للمكايل هي الثنية وتستعمل هذه المكايل للحبوب والأشياء اليابسة، وكان أهل عمان قديماً يبيعون فيها الزبيب والقطين.

أما أراضي الدور فكانت تقاس بـ (ذراع العمل)، والأراضي الزراعية كانت تقاس بـ (الفدان الاسلامي، والفدان الرومي)^(٦٦)، وكذلك بـ (القصبه) التي تساوي $\frac{1}{3}$ ٧ ذراع حديد^(٦٧).



(٦٦) القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤١، ذراع القماش: وطوله بماوي ذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة. ويقول ابن بام أن البرازين كانوا يقيسون قماشهم بذراع من الخشب طوله بعرض الإبهام ٢٤ اصبعاً محزوزة، وينقش على طرفه الأول اسم الإمام وعلى طرفه الثاني اسم الخشب خوفاً من التلاعب (انظر: نهاية الرتبة، ص ٨٠). ذراع العمل: طوله ثلاثة أشبار بشر رجل معتدل، وهناك ذراع آخر سمي بالهاشمي لأنه وجد في زمن الدولة العباسية، وهو أطول من هذا الذراع (انظر: القلقندي صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٤٢، ٤٤٣)، الفدان: وماوي ٤٠٠ قصبه أو ٢٤ قيراطاً والقصبه= ٦ أذرع بالهاشمي أو ٨ بذراع اليد (القلقندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٤٢).

(٦٧) وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩، بدار الوثائق القومية بالقاهرة. وفي عهد الماوردي كانت القصبه= ٦ أذرع بالهاشمي (انظر: الأحكام السلطانية، ص ١٣٧) والملاحظ من الوثيقة أن الكرك كانت تستعمل ذراع الحديد وطوله بين الهاشمي واليد.

(٤)

السكة

شهدت منطقة شرقي الاردن أقدم أنواع السكة الاسلامية^(٦٨)، فمدينة عمان أو فيلادلفيا القديمة، وكانت أقدم المراكز التجارية الهامة في البلاد، لعبت دوراً رئيسياً في فترة الحكم الهليني والروماني والبيزنطي، وكانت إحدى مدن الديكابوليس العشرة (حلف تجاري)، لوقوعها على شريان التجارة العالمية القادم من الشرق (الهند والصين) عبر الجزيرة العربية والبحر الأحمر. وكانت معروفة لدى عرب الجزيرة العربية قبل الاسلام فانتجعوها في تجارتهم مع الشام^(٦٩)، وبسبب أهمية عمان التجارية منحها السلطات الرومانية والبيزنطية حق اصدار نقودها.

وبعد أن أتم العرب فتوحاتهم لم يكتفوا بالحفاظ على هذه البلاد المفتوحة وتمهدها بالرعاية، بل انهم ساهموا في الحياة العامة في تلك البلاد ودفعا

(٦٨) وجدت السكة أو العملة في القرن السابع قبل الميلاد، وينسب اختراعها إلى ملوك (ليديا) ومنهم كرويس Groesus أو إلى (فيدن) Phidon صاحب (ارجس) Argos في اليونان. وقوامه أن يطبع على كتلة من المعدن رسم أو رمز يعترف به رسمياً كضمان لوزن المعدن ونوعه. وفي الإسلام سميت هذه الحديدية بالسكة، وعادة يكتب عليها النقش المطلوب، ويضرب عليها الدينار والدرهم والفلس (جاردنر: علم الآثار، ص ١٣٧).

(٦٩) عن مدينة عمان: انظر: يوسف درويش غوانمة: مدينة عمان الأردنية في التاريخ الإسلامي الوسيط، بحث ألقى في ندوة الحضارة الإسلامية بجامعة الإسكندرية من ٦-٢٠ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٦ م.

خطوات الى الامام. وعندما استقرت الدولة العربية الاموية وثبتت أركانها، أقدم الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان على تعريب الدواوين في سنة ٨٥ هـ ، وتعريب السكة في سنة ٧٦ هـ ، ٧٧ هـ . وكانت عمان من المراكز الادارية الهامة التي اختيرت لضرب العملات الاموية، فقد اكتشف أثناء التنقيب في السوق الروماني الذي يتوسط مدينة عمان في سنة ١٩٦٧ م على مجموعة من الفلوس النحاسية عددها سبعة عشر فلساً^(٧٠)، ضربت في مدينة عمان بعد قيام عبد الملك بن مروان باصلاحه النقدي .

هذه الفلوس العمانية^(٧١)، ضربت على النمط البيزنطي بعد ادخال التعديلات اللازمة، أهمها تحويل الصليب الى مجرد عمود قائم مثبت فوق أربع درجات وفي أعلى العمود كرة (في الظهر)، وفي الوجه صورة الخليفة الاموي عبد الملك قائماً وقد قبض بيده على سيفه علامة الامامة عند المسلمين وتزيا بالعباءة، وغطى رأسه بملفحة (كوفية) تتدلى على كتفيه، وله لحية طويلة قد أطلقها لتتفق وتعاليم السنة الاسلامية^(٧٢). هذه الفلوس تعتبر من أقدم امثلة العملات الاسلامية ومن هنا تبرز أهميتها لندرته^(٧٣).

وقد قمت بفحص احدى هذه الفلوس المحفوظة في خزانة المتحف الاردني بعمان، فعلى وجهها نقش يمثل صورة الخليفة عبد الملك ويدور بحافته طراز من الكتابة نصه: (عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين)، أما الظهر فيتوسطه عمود ينتهي بشكل كروي مثبت على أربع درجات تتدرج في الارتفاع، ونجمة مثمانية

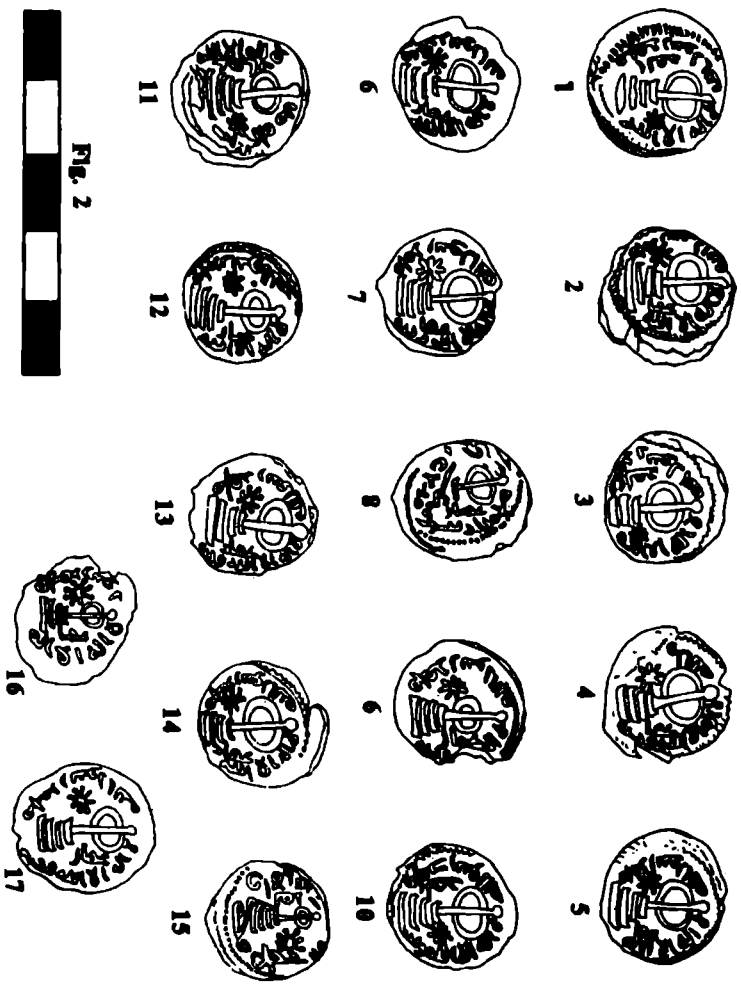
(٧٠) عدنان الحديدي: فلوس نحاسية أموية في عمان، مجلة المسكوكات، العدد ٦ مديرية الآثار العامة، بغداد ١٩٧٥ م، ص ٤١-٤٨ .

(٧١) الفلوس: مفردا فلس، من كلمة Follis اليونانية وهو نقد يوناني أثيني قديم ويساوي سدس الدرهم الأتيكي نسبة إلى بلدة اتيكيا ببلاد اليونان (الثيري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٧٨ حاشية رقم ١٢).

(٧٢) عبد الرحمن فهمي: فجر السكة العربية. مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٥ م، ص ٤٦ .

(٧٣) وجد من هذا الطراز فلوس مضروبة في القدس وبمليك وحلب وحمص ودشق والرها وقنشرين ومنبج وأزمير (علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج ٢٠ ص ٨).

فلوس نحاسية أموية عمانية ضربت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان عن حولى دائرة الآثار العامة الأردنية المدي ٢٠ لسنة ١٩٧٥ م
 (الملك)



تلوس نحاسية أموية عمانية ضربت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان عن حوالة دائرة الآثار العامة الأردنية العدد ٢٠ لسنة ١٩٧٥ م
(الرجوع)

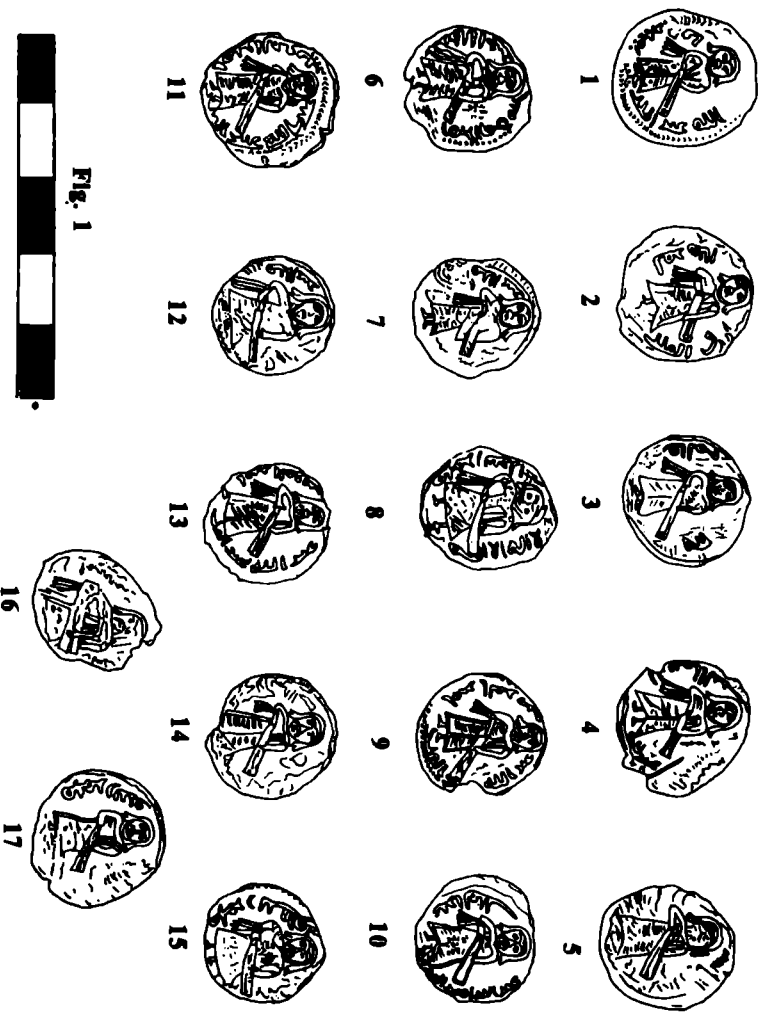


Fig. 1

الرؤوس، وعلى يسار العمود كلمة (عبان). أما الحافة فيدور عليها النص التالي (لا اله إلا الله محمد رسول الله).

ومن المعروف أن الخليفة عبد الملك قد أمر بضرب الدينار^(٧٤) والدرهم على هذا النمط في سنة ٧٤ هـ ثم ضربها سنة ٧٥ هـ^(٧٥). ولكن ظهور رسم الخليفة على العملات كان مثيراً لنفوس المسلمين، لان الاسلام يقف موقفاً سلبياً من التصوير ولهذا أبطل سك هذا النوع من العملات واستبدل بها عملات لا يظهر فيها رسم الخليفة^(٧٦). وأعتقد أن دار السكة بعمان في عهد عبد الملك ضربت الدنانير والدرهم الى جانب الفلوس، ولعل الكشوف الاثرية في المستقبل تثبت لنا ذلك، ما دامت هذه الدنانير قد أبطلت وأعيد سكها على نمط اسلامي خالص سنة ٧٧ هـ^(٧٧).

ولا نستبعد أن تكون دار السكة بعمان ظلت تؤدي وظيفتها في العصر العباسي، وان كنا لا نستطيع اثبات ذلك ما دامت الدنانير العباسية لم تحمل أسماء الخلفاء إلا في عهد الرشيد. ونستند في اعتقادنا بالنص الذي أورده المقدسي إذ يشير الى أنها في تلك الفترة كانت كثيرة التجارات مزدهرة عامرة^(٧٨)، بالإضافة الى أننا نستند الى انه قد عثر بالفعل على دنانير ذهبية

(٧٤) الدينار: نقد ذهبي رومي مأخوذ من الكلمة اللاتينية Dinarius aureus تداوله العرب قبل الإسلام، وقد ورد ذكره في سورة آل عمران الآية ٧٥ قال تعالى: (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً). وبقي الدينار الإسلامي مميّزاً لقيمة النقد في التعامل الدولي حتى فترة الحروب الصليبية (المقريزي: التقود الإسلامية، ص ٣، النقشبندي: الدينار الإسلامي، ص ١٠، كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ج ١ ص ٥٠).

(٧٥) البلاذري: فتوح البلدان، طبعة صلاح الدين النجد، ج ٣ ص ٥٧٤، ٥٧٥. استناداً إلى رواية عن عبد الله بن موهب (قال قلت لسعيد بن المسيب: من أول من ضرب الدنانير النقوشة؟ قال: عبد الملك بن مروان).

(٧٦) عبد الرحمن فهمي: فجر السكك العربية، ص ٤٤، ٤٥.

(٧٧) عبد الرحمن فهمي: المصدر السابق، ص ٣٩، النقشبندي: الدينار الإسلامي، ص ١٥.

(٧٨) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٠، عثر في مدينة عبان على عشرات الدنانير الذهبية الأموية =

تحمل اسم عمان وضربت في سنة ٣٦٧ هـ . وذاعت شهرة دنانير عمان في بغداد ، فقد عثرت على نص لابن هلال الصائبي ذكر فيه هذه الدنانير العمانية التي يعود تاريخها الى العهد البويهي ، وأشار في هذا النص الى أن عضد الدولة بن بويه حمل للخليفة الطائع (٣٦٣-٣٨١/٩٧٤-٩٩١ م) عقيب الخلع عليه في سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) وتلقيبه اياه بتاج الملة ، هدية سنية ، حملت على خمسمائة حمال من جملتها (خمسين ألف دينار عمانية في عشرة أكياس ديباجا ألواناً مختومة على الاشريحات الفضية وألف درهم في مائتي كيس...) (٧٩) وقد تأكد لي صدق هذا النص بالدليل المادي القاطع عندما عثر في تل ياسين تبة سنة ١٩٧٣ م أثناء تنقيبات مديرية الآثار العامة بالعراق في سهل شهر زور (محافظة السليمانية) على سبعة وستون ديناراً ذهبياً ، داخل علبة نحاسية اسطوانية ، بينها دينار ضرب في عمان ويحتفظ به اليوم بالمتحف العراقي ببغداد ، قسم المسكوكات تحت رقم ١٥٩٨٢ ، ويبلغ وزنه ٤,٥ غرام ، أما قطره فهو ٢٢ مم ، وكتب على الوجه :

ح لا إله الا الله وحده لا شريك له القادر بالله ، فخر الدولة
وفلك الامة . بسم الله ضرب هذا الدينار بعان سنة ست وثمانين
وثلاثمائة .

الملاحظ

أما الظهر فكتب عليه :

لله محمد رسول الله ، الملك العدل صمصام الدولة وشمس الملة أبو
كاليجار محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون (٨٠) .

والعباسية ، أما الفترة العباسية فيعود تاريخها من سنة ١٣٩ هـ إلى ١٧١ هـ ، ولما كانت الدنانير الذهبية العباسية لم يذكر عليها اسم الخليفة ومدينة الضرب إلا في عهد الرشيد سنة ١٩١ هـ ، لذا فإننا نرى أن بعض هذه الدنانير قد ضرب في عمان ، لأن الكشوف أثبتت أنها ضربت دنانير ذهبية سنة ٣٦٧ هـ .

(٧٩) ابن هلال الصائبي : رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٤ م ، ص ١٠٠ .

(٨٠) اسماعيل حسين حجارة : النقود المكتشفة في ياسين تبة ، مجلة المسكوكات ، دائرة الآثار العامة ، العراق ، العدد ٦ سنة ١٩٧٥ م ، ص ٧٢-١٠١ .

وللأسف لم تصل إلينا أية عملة ضربت بمدينة عمان بعد ذلك. إلا أن امارة الكرك الايوبية سكت دراهم ناصرية في مدينة الكرك، وسميت باسم الملك الناصر داود مؤسسها، ولعل الكشوف الاثرية تتيح لنا العثور قريباً على أحد هذه الدراهم^(٨١).

أما في العصر المملوكي موضوع البحث، فقد كانت العملة المتداولة في منطقة شرقي الاردن هي: الدينار والدرهم المملوكي. وقد عثر على مئات الدراهم المملوكية في الكرك وحسبان، ومعظمها ضرب في القاهرة، وقليل منها في دمشق، وقسم آخر محييت منه الكتابة^(٨٢) ومع ذلك فقد ضربت في شرقي الاردن دنانير محلية في العصر المملوكي الاول ونستدل على أن داراً للسكة وجدت بالكرك وقامت بالفعل بضرب الدنانير في عهد الملك الناصر أحمد بن قلاوون في الفترة التي حوصر فيها بالكرك بين عامي ٧٤٣هـ - ٧٤٥هـ (١٣٤٢م - ١٣٤٤م) إذ يقول بما ذكره الصفدي «ضرب الذهب وخلط فيه الفضة والنحاس، ونفق ذلك في الناس، فكان الدينار يساوي خمسة دراهم»^(٨٣)، ان ضرب هذه الدنانير لا بد وان يكون في دار السكة ونعتقد أن هذه الدار هي نفس الدار التي كانت تسك فيها الدراهم الناصرية على عهد امارة الكرك الايوبية، وربما أثبتت التنقيبات الاثرية في الكرك وغيرها سلامة هذا الرأي مستقبلاً.

(٨١) يوسف درويش غوافمة، عمان حضارتها وتاريخها، عمان، ١٩٧٩، ص ١٧٥.

(٨٢) هذه الدراهم موجودة في المتحف الأردني بعمان، وبعضها يتحف الكرك وتحتاج إلى دراسة علمية.

(٨٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨ ص ٩٠ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٧١ - ابن أبياس: بدائع الزهور، ج ١ ص ١٨٢ - محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون في مصر، ص ٥٥.

(٥)

الصناعات

أولاً: الصناعات القائمة على الانتاج النباتي والحيواني:

١ - صناعة الخمور:

اشتهرت منطقة شرقي الاردن بكثرة أعنابها، فكانت مزارع الكروم تنتشر على سفوح جبال عجلون، والبلقاء، ومؤاب، والشراة. وعلى هذا المحصول الوفير، قامت صناعة النبيذ، فكانت مدينة بيت راس Capitoliias الواقعة في شمالي الاردن، من أقدم المدن الاردنية التي عرفت بجودة نبيذها إذ كان على حد قول فولني يضا هي بمجودته وطيب مذاقه نبيذ بوردو^(٨٤). وقد ذاعت شهرة هذه المدينة بنبيذها منذ العصر الجاهلي، فهذا حسان بن ثابت يتغنى به في قوله:

كأن سبيئة من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء
على أنيابها أو طعم غض من التفاح هصره الجناء
فنشرها فتركننا ملوكاً وأسداً ما ينهنها اللقاء^(٨٥)

(٨٤) فولني: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ص ١٩٩.

(٨٥) حسان بن ثابت: ديوانه، تحقيق حنفي حسين وحسن كامل الصيرفي، القاهرة، ١٩٧٤م،

ص ٧١-٧٣- باقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٧٧٦.

والسبيئة: الخمر، والسبيء المنار. هصره: أماله، الجناء: الثمر الذي حان وقت جنيه أي قطفه.

وقوله أيضاً:

شج بصهباء لها سورة من بيت راس عتقت في الخيام
عتقها دهرأ رجاء برها يولي عليها فرط عام فعام^(٨٦)

وقال أبو نواس الشاعر العباسي في نفس المعنى:

دثار من غنية أو سليمى أو الدهاء أخت بني الحماس
كان معاهد الأوضاح منها يجيد أغن نوم في كناس
وتبسم عن أغر كان فيه مجاج سلافة من بيت راس^(٨٧)

واستمرت صناعة الخمر مزدهرة في فترة السيطرة الصليبية على جنوب البلاد الى أن استردها المماليك فسمحوا بتناولها في حانات خاصة، مقابل ضريبة معينة وصرنا نسمع عن ضمان المغاني بالكرك والشوبك^(٨٨).

صناعة السكر:

اشتهرت منطقة الاغوار الشمالية والجنوبية بزراعة قصب السكر الذي تقوم عليه صناعة السكر، وعندنا سيطر الصليبيون على المنطقة وجها عنايتهم بهذه الصناعة التي ازدهرت بوجه خاص في منطقة غور الصافي قرب الكرك^(٨٩).
وتمكنوا من انتاج صنف جيد اشتهر بنعومته وبياضه سمي بسكر (مونتريال) أو سكر الكرك والشوبك^(٩٠). ولاهتمام الصليبيين بالسكر نقلوا زراعته وصناعته الى

(٨٦) حسان بن ثابت: ديوانه، ص ١٨٥ - شج: مزج. برها: ثنها.

(٨٧) ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٧٧٦، ٧٧٧.

(٨٨) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٨٥ - ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٢١١.

(٨٩) Jacob, History of Palestine, P.11,299.

Musil, Arabia Petraea, vol. 2, P.70.

(٩٠) Heyd, Histoire du Commerce, vol. 2, P.691.

Lopez & Rymond, Medieval trade in the Mediterranean world, P.112.

رانسان، ج ٣ ص ٦٠٢.

أوروبا، نقله الامبراطور فردريك الثاني في الحملة الصليبية السادسة، وحمل معه صناعاً من الشام وأنزلهم في جزيرة صقلية^(٩١).

وفي فترة الحكم الايوبي والملوكي زاد الاهتمام بزراعة قصب السكر الى حد ان معظم منطقة الاغوار أصبحت اقطاعات خاصة بالامراء والسلاطين فمثلا في عهد امارة الكرك الايوبية، كان معظم الغور الشمالي اقطاعاً للناصر داود وأبنائه من ذلك الغور الأجمدي المنسوب الى الملك الأجمد مجد الدين حسن بن الملك العادل، وآل الى أبناء الملك الناصر داود بالارث عن والدتهم ابنة الملك الأجمد المذكور^(٩٢). ومن هذه الاملاك أيضاً غور ناعمة نسبة لقرية الناعمة الذي كان ملكاً للظاهر شاذي بن الملك الناصر داود الذي توفي فيه سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م)، ونقل جثمانه الى بيت المقدس حيث ووري التراب^(٩٣).

وبلغت صناعة قصب السكر وتصنيعه في المنطقة الأوج في عصر دولة المماليك فأقيمت لذلك معاصر السكر ومطابجه في جميع أنحاء الغور، وأصبحت الاغوار املاكاً سلطانية خاصة^(٩٤). وصار السلطان يعين هذه المطابخ شاداً خاصاً يشرف عليها، ويجمع ما يتحصل من قنود وأعمال وسكر^(٩٥). وقد أسفرت الأبحاث الاثرية التي أجريت مؤخراً في منطقة الاغوار عن كشف مئات المعاصر، واعداد هائلة من الأواني الفخارية التي كانت تستعمل لتجفيف عصير القصب^(٩٦). وبلغ اهتمام السلاطين بالاغوار الى الحد الذي جعلهم يخصصون لها

(٩١) Heyd, op. cit. vol. 2, P.686.

(٩٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ٤٧٦.

(٩٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ١٧٢ - ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ٢٥٦.

(٩٤) النويري: نهاية الارب، ج ٢٨ لوحة ٥٠ «مخطوط» - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩٠ - الفريزي: السلوك، ج ٢ ص ٥٨٤ وج ٣ ص ٩٨٤، أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٦٤.

(٩٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٨٨ - السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، ص ٣٠٨.

(٩٦) انظر: المسح الأثري لوادي الأردن من ٢/١٥ إلى ٢/٣ إلى ١٩٧٥/٤ م، تقرير بدائرة الآثار العامة

نائباً سموه في كثير من الأحيان استادار الأغوار^(٩٧). ولم يكتب السلاطين بذلك، بل جعلوا مطابخ السكر في القصير (الشونة الشمالية)، وبقية الاغوار، تحت الاشراف المباشر لنائب دمشق. فكان يخرج بنفسه في فترة قطع القصب وعصره، فيمكث هناك حتى يتم عصر الأقصاب. وكانت فترة اقامته تطول أو تقصر بحسب الموسم، حتى أنه في سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) أقام مدة شهرين وسبعة عشر يوماً. أما في سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م)، فقد مكث هناك ما يقرب من «خسة أشهر في عمل السكر، وكان قصب السكر في هذا العام كثيراً جداً يتجاوز الحد»^(٩٨).

استأثرت صناعة السكر في شرقي الاردن باهتمام السلاطين، بسبب جودته ونقائه، ومن هناك لقي طريقه الى الاسواق الأوروبية، وتشير الوثائق الاوروبية الى وجود سكر الكرك والثوبك في أسواق فلورنسا بين السلع الشرقية المعروفة في أسواقها بين عامي ١٣١٠ الى ١٣٤٠ م^(٩٩).

ولما كان السكر من السلع الهامة المطلوبة، فقد احتكر سلاطين المهاليك تجارته، وأصبح السكر الاردني حكراً للسلطان، يتحكم في أسعاره وتسويقه وكان ذلك يثير مشاعر السخط والتذمر عند أهالي دمشق^(١٠٠). وقد استنبط من السكر الاردني نوع من السكر النقي يعرف بالسكر النباقي النقي، ويبلغ من الجودة الى

قسم التسجيل - عمان. وعن مطابخ السكر وصناعته، انظر: النوري: نهاية الارب، ج ٨ ص ٢٦٧-٢٧٢.

(٩٧) ابن طولون: مفاكهة الحلان، ج ١ ص ٩٧، ١٢٥، ١٤٢، ١٤٦.

(٩٨) ابن قاضي شعبة: الأعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢ لوحة ١٤٣، وانظر لوحة ١٢٢ «مخطوط».

(٩٩) Lopez & Rymond, op. cit. PP.109-114.

(١٠٠) القريري: السلوك، ج ٤ ص ٧٩٢- ويقول ابن طولون: في سنة ٨٨٦ هـ تدمر الناس في دمشق بسبب ارتفاع أسعار السكر وكبروا في المآذن، فقد رفع سعره من ١٤ إلى ٢٨ درهماً للرطل الواحد، ثم زيد إلى ثلاثين. ونتيجة لاحتجاج الأهالي وتدخل القضاة (انفصل الحال فيه عن الرطل ستة عشر درهماً ودرهم كلفة). (مفاكهة الحلان، ج ١ ص ٤٧ والصنعات من ٤١-٤٦).

Quatremere, op. cit. vol. 2, P.4.

جد أن نائب دمشق في سنة ٨٤٧ هـ (١٤٤٣ م) حمل معه في جلة ما حمله من الهدايا الى السلطان جقمق في القاهرة. أربع علب مقدار قنطار سكر نباتي^(١٠١).

٣ - صناعة النيل:

يشير الجغرافيون العرب الى أن مدينة زغر كانت تحتص بزراعة شجر النيل وتصنيعه. ومن المعروف أن النيل في العصور الوسطى كان من المواد الأساسية في صناعة النسيج وتلوينه باللون الأزرق^(١٠٢)، لذا كثر الطلب عليه في الشرق والغرب معاً. وراجت تجارته ووجد طريقه الى الاسواق المجاورة الأوروبية^(١٠٣)، ومن أجل ذلك زرع النيل في غور الصافي وغور الاردن الشمالي^(١٠٤)، وأقيمت المعامل في زغر لاستخراجه وكثر فيها المشتغلون بذلك من العمال والصناع^(١٠٥) وظلت زراعته منتشرة في المنطقة حتى القرن التاسع عشر الميلادي، إذ كان ما يزال ينقل الى القدس والخليل، ويذكر بيركهارت أن سعره كان يزيد عن نيل مصر بنحو ٢٠٪^(١٠٦).

٤ - عصر الزيت وصناعة الصابون:

تتميز منطقة شرقي الاردن بكثافة أشجار الزيتون في أجزاء كثيرة من أراضيها، بحيث اعتبر الزيتون من أهم موارد المنطقة الاقتصادية في العصور الوسطى الاسلامية. وقد ترتب على هذه الزراعة انتشار معاصر الزيت في جميع أرجاء البلاد، وقد أسفرت البحوث الأثرية عن كشف آثار عديدة لمعاصر الزيت^(١٠٧) ومن الجدير بالذكر أن شهرة زيت الاردن تجاوزت الآفاق

(١٠١) السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، ص ٧٦.

(١٠٢) ابن بام: نهاية الرتبة في طلب الحبة، ص ١٩٨.

(١٠٣) آدم منز: الحضارة الاسلامية، ج ٣ ص ٣٠٩.

(١٠٤) القرماني: أخبار الدول وآثار الأول، ص ٤٢٨، ٤٦٦ - هاملتون جب: المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٣ ص ١٠٥.

(١٠٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٦٩.

(١٠٦) بيركهارت: رحلات بيركهارت (سوريا الجنوبية)، ج ٢ ص ١١٤.

(١٠٧) بقيت المعاصر الرومية تستخدم في عهد المسلمين وحتى عهد الدولة المملوكية ومنها المعصرة =

وعرف بمجودته، ولذلك كانت له سوق نافقة في التجارة الخارجية، فعرفته أسواق القاهرة، وبلغ من الجودة حداً جعل سلاطين المهاليك يهادون به الملوك المعاصرين، فقد تضمنت هدية السلطان جقمق الى ملك الحبشة سنة ٨٤٧ هـ (١٤٤٣ م) زلعتين من الزيت الطيب^(١٠٨). كذلك استفاد أهل الاردن من نوى الزيتون فاستخرجوا منه (الدق) الذي كان يستعمل للتدفئة والطبخ، وكان له بمدينة عجلون حوانيت مخصصة لبيعه^(١٠٩).

وترتب على انتاج الزيتون واستخراج زيتيه قيام صناعة الصابون، ولبلاد الشام شهرة طبقت العالم في هذا المجال، ومن المعروف أن صناعة الصابون تحتاج بالاضافة الى الزيت الى توفير مادة الصودا القلوية. ولما كان سكان المنطقة يستخرجون هذه المادة من رماد شجر الدردار والشمان المنتشر في البلقاء والشراة، فقد كان من الطبيعي أن تزدهر صناعة الصابون ويكثر انتاجه - وقد ظل أهل الاردن حتى عهد قريب يرسلون الفائض الى أسواق نابلس وغزة لاستخدامه في صناعة الصابون^(١١٠).

٥ - البلسم:

اشتهرت منطقتي الاغوار وعجلون منذ أقدم العصور بزراعة شجر البلسان وسمي بلسانها بالبلسان الشامي^(١١١) ويبلغ طول شجرته في المتوسط ١٤ قدماً، ويتميز بساقه الناعمة وأوراقه الصغيرة. وطريقة استخراج عصارة البلسان لا تختلف عن طريقة استخراج المطاط، وذلك بشق ساق الشجرة وتلقي العصارة

= الرومية الواقعة غربي قرية آدر القريبة من الكرك (انظر: وثيقة وقف السلطان شiban رقم ٤٩).

(١٠٨) السخاوي: التبر المسوك في ذيل السلوك، ص ٧١.

(١٠٩) النويري: نهاية الارب: ج ٣١ لوحة ٩١ مخطوط.

(١١٠) بيركهارت: رحلات بيركهارت، ج ٢ ص ٨١، ٨٢، ١٢٧ - وانظر: هاملتون جب: المجتمع الإسلامي والغرب، ج ٢ ص ١٤٤.

(١١١) ابن الأخوة: معالم القرية، ص ١٢٠ - مصطنى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ١ ص ٤٦٥.

Heyd. op. cit. vol. 2, P.577.

السائلة في وعاء، ويعمدون بعد ذلك الى سد الشقوق خوفاً من نزيف العصاره وموت الشجرة. ثم توضع العصاره في اناء واسع، وتعرض لاشعة الشمس، وترسب الشوائب في قاع الاناء. أما الزيت فيؤخذ ويغلى على النار فيكتسب لوناً أحمر ورائحة عطرية، ويسمى عندئذ (دهن البلسم)، وهو أرقى أنواع البلسم وأغلاها^(١١٢). وقدماً كان يصدر الى مصر ليستخدمه المصريون في تحنيط موتاهم.

وكان لدهن البلسان شهرة عظيمة في العصور الوسطى، فالسلاطين والملوك كانوا يضعونه في قوارير خاصة من الفضة، ويهدونه الى الملوك. كذلك كانت له قدسية خاصة لدى رجال الدين المسيحيين، ويستعملونه في طقوسهم الدينية. وقد استعمل أيضاً في علاج العديد من الأمراض فهو مثلاً يساعد على ادرار البول، وتقويت الحصا في المثانة، ويستخدم في أمراض العين فاذا اكحل منه أفاد في علاج الظلمة في البصر، والماء الاسود النازل في العين ويستخدم في تطهير الجروح ونهش الهوام، وفي أمراض النساء والولادة، فيساعد على خروج الجنين ان احتملت به المرأة، كما استخدم أيضاً في علاج بعض الامراض الجنسية^(١١٣).

٦ - صناعة الحصر:

ذكرت المصادر عن وجود صنف من الحصر ينسب الى الكرك يسمى بـ (الكركر) أو (الكركي)^(١١٤). وكانت العادة أن تفرش المساجد والجوامع في بلاد الشام بالحصر^(١١٥). والحصر تصنع من نبات الحلفا، وتصبغ بالألوان المختلفة، وتشد الى بعضها بخيوط الكتان. وكان لحصر الكرك شهرة طبقت الآفاق، فكانت من السلع المطلوبة في كثير من بلدان المشرق والمغرب.

وقد اشتهرت الاغوار الشمالية بنبات الحلفا، فزرع في الشونة الشمالية وهو

(١١٢) نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ٢٠٧.

Heyd, op. cit. vol. 2, PP.575-580.

(١١٣) النويري السكندري: الامام بما جرت به الأحكام المقضية، لوحة ١٥٦ أ «مخطوط».

(١١٤) ابن الأخوة: معالم القرية، ص ٣٣٩.

(١١٥) ابن طولون: مفاتيح الحلال، ج ٢ ص ١١٦.

نبات يتجاوز ارتفاعه الذراع ويتميز ساقه برخاوتها، وزهرها أبيض. وكان ينقل الى دمشق لتصنع منه القفف والسرايح، وكانت القفف ضرورية للفلاح يستخدمها في أعمال البناء، ونقل التراب والفاكهة وغير ذلك^(١١٦).

٧ - طعن الدقيق:

انتشرت الارحاء في جميع أودية شرقي الاردن، وحول الانهار ومجاري المياه فكثرت وجودها في: عمان، وحسبان، وعجلون والكرك، والشوبك والاغوار^(١١٧). وكانت حجارة الطواحين تقطع من مناطق متعددة في البلاد. كوادي الصناعية الواقع شرقي قرية آدر القريبة من الكرك^(١١٨). وأعتقد أن هذه الحجارة كانت تستخدم أيضاً في معاصر السكر المنتشرة في الاغوار الجنوبية المحيطة بالبحر الميت. وقد ظلت هذه الارحاء تستخدم حتى اليوم، وفي أواخر القرن التاسع عشر أحصى أحد الرحالة عددها في بعض أودية منطقة عجلون المؤدية الى غور الاردن، فبلغت خمس عشرة طاحوناً^(١١٩).

٨ - الفحم النباتي:

ساعدت الغابات المنتشرة على سفوح وأعالي قمم جبال الاردن على وجود صناعة الفحم النباتي الذي كان يخزن بالقلاع ويعتبرونه في المصور الاسلامية الوسطى من الذخائر التي يجب خزنها، لاستعمالها وقت الحصار وعند الحاجة^(١٢٠). وكان الفلاحون يقطعون الاشجار بأطوال محددة ثم ترص هذه الاخشاب في كهوف خاصة، ويوقد فيها النار بعد اغلاق الكهف الا من طاقة صغيرة، يتم منها ايقاد النار وتغذيتها بالاحطاب الصغيرة. وتبقى هكذا مدة حتى يتفحم الحطب، عندئذ تفتح المارة، وتبقى مدة حتى يبرد الفحم ويتسرب

(١١٦) القاسمي: قاموس الصناعات النامية، ج ٢، ص ٣٦١.

(١١٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٥ - باقوت: معجم البلدان، ج ٣، ص ٧١٩، أبو الفداء: تقويم

البلدان، ص ٢٢٧، ٢٢٨ - القلشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٠٦.

(١١٨) وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩ بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(١١٩) Schumacher, Abilla, Pella, northern Ajlun, within the Decapolis, P. 143.

(١٢٠) ابن عبد الظاهر: تشریف الایام والمصور، ص ١٩٦.

غاز ثاني أكسيد الكربون من الكهف. ثم ينقلونه الى المدن والقرى لبيعه. وكان الفحم يرسل من قرى عجلون الى دمشق^(١٢١) وما زالت هذه الطريقة تستخدم في الريف الاردني حتى الآن. بل ان الباحث عن هذه المفاحم القديمة يجد آثار الكثير منها منتشرة على جبال الاردن.

٩ - المنسوجات:

عرفت منطقة شرقي الاردن صناعة النسيج والحياكة^(١٢٢) في العصور الوسطى. وقد اقتصت البلقاء بغزل الصوف ونسجه على أنوال يدوية، كذلك اقتصت قرية باعون الواقعة بالقرب من عجلون بهذه الصناعة^(١٢٣)، كما عرفتها منطقة الكرك. والظاهر أن هذه المهنة كانت منتشرة في معظم الريف الاردني، وكانت النساء يقمن بالعبء الأكبر في هذه الصناعة اليدوية^(١٢٤).

١٠ - الأبطة:

عرفت منطقة الكرك والشوبك بطنائها التي ذاعت شهرتها في العالم الاسلامي، وأصبحت محل اعجاب الملوك والسلاطين يهادونها في المناسبات لنفاستها وأحكام صناعتها وجمال مظهرها. وتعتبر مدينة اعناك الواقعة الى الشمال من الازرق أقدم المواضع التي اقتصت بالبسط ذات الرسوم والنقوش الجميلة والمنسوجات الحريرية التي تنسب إليها^(١٢٥).

وفي العصر المملوكي كانت كل من الكرك والشوبك أهم المراكز الاردنية لهذه الصناعة، واكسبت صناعتها شهرة كبيرة الى حد أن السلاطين والامراء

(١٢١) القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ج ٢ ص ٣٣٦.
(١٢٢) الحلاكة: جمع حائك: وهو الذي ينج الغزل قماشاً (الثيرزي: نهاية الرتبة، ص ٦٥).
(١٢٣) السخاوي: الذيل على رفع الأصر، ص ١٠٩، والضوء اللامع، ج ٢ ص ٢٢٢.
(١٢٤) القزويني: آثار البلاد واخبار العباد، ص ١٦٢ - ابن شاهين: زبدة كشف المالك ص ١٩.
(١٢٥) اعناك: (بالنون والكاف) قرية من أعمال دمشق يعمل فيها بسط وأكسية جيدة تنسب إليها (هاقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٣١٦). وانظر: محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٤ ص ٢٤٨، رينه ديسو: العرب في سوريا، ص ٥.

أصبحوا يحرصون على اقتنائها - ففي سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) سافر الملك الأشرف شعبان الى الحج، وعندما نزل بمدينة العقبة كان في استقباله هناك نائب الكرك، فأوصاه السلطان بصناعة اعداد من الابسطة ونقلها الى القاهرة. ولكن السلطان قتل وكان قد بوشر في صناعة بعضها، فتم البعض وترك الباقي. فعندما علم السلطان الظاهر برقوق بذلك، أمر باتمام صناعة الصفقة واحضارها الى القاهرة. وفي بداية سنة ٧٨٧ هـ (١٣٨٥ م) وصلت البسط من الكرك، ففرش بها الديوان الذي يسمى (دار العدل) بقلعة الجبل بالقاهرة^(١٢٦).

ولما كانت هذه الأبسطة تحمل الى القاهرة ودمشق لكثرة الطلب عليها، فلا تستبعد أنها وجدت طريقها الى اوروبا من بين السلع المطلوبة هناك، لاتقان صناعتها وأحكامها وجودة صباغتها ودقة زخارفها.

١١ - المراكب:

وجدت صناعة المراكب في مدينة زغر جنوبي البحر الميت، واستغلت الاخشاب الموجودة في جبال الشراة في الصناعة. وكانت المراكب تنتقل بين طرفي البحيرة من زغر جنوباً الى اريحا شمالاً^(١٢٧). ثم صنعت المراكب في الكرك نفسها على عهد ارناط الصليبي^(١٢٨)، ونقلها من هناك على ظهور الجمال الى العقبة فأعاد تركيبها وشكل منها اسطولا حاول به السيطرة على تجارة البحر الأحمر ومهاجمة الديار المقدسة في الحجاز ولكنه أخفق في خطته. ولما كانت العقبة ميناء

(١٢٦) المقرئزي: السلوك، ج ٣ ص ٥٣٠ - ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ١١٤ وقد فرش السلاطين المماليك المساجد بالأبسطة، من ذلك ما أرسله السلطان قايتباي الى المسجد النبوي في المدينة المنورة. فيوسف الباعوني يقول في أرجوزته:
وأرسل السلطان أيضاً بطاً فأكملت بالمعنيين البطاً
من أنفس البط ومن أغلاها كأنها الزركش في حلاها
(أنظر: الاشارة الوفية الى الخصوصيات الأشرفية، أرجوزة تاريخية «مخطوط»، بمكتبة بلدية الاسكندرية، لوحة ١٦).

Musil, Arabia Petraea, vol, 1, P. 253.

(١٢٧)

(١٢٨) العمري: التمرغف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٣ - القلقندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٥٦

هائماً منذ أقدم العصور فلا شك أن صناعة السفن والمراكب قد انشئت بها، واستغلت أخشاب جبال الشراة ومؤاب من أجل هذه الغاية.

ثانياً: صناعة الاسلحة:

عندما انتزع السلطان الملك الظاهر بيبرس الكرك من الملك المغيث عمر سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م) وأعاد ترتيب السلاح خاناة أو قصر السلاح « فرسم باحضر الصناع الحربية برسم خزائن سلاحها »^(١٢٩) واقتضى الحال في عهد دولة المماليك الاولى ان يقيم في السلاح خاناة عمال متخصصون لصنع أنواع الاسلحة المختلفة^(١٣٠). وبحسب مفهوم ذلك العصر فان قلعة الكرك كانت تضم قاعات لصناعة الاسلحة المختلفة من: السيوف، والقسي العربية، والنشاب، والرماح والدروع المتخذة من الزرد المانع، والاطبار. كما أن هذه المصانع اقتصت بصناعة سلاح فتاك هو النفط. أما أنواع الاسلحة الاخرى التي اشتهرت المنطقة بصناعتها فهي:

١ - النفط:

اشتهرت السواحل الشرقية للبحر الميت بتوافر معدن الكبريت الأبيض، كانوا يحفرون عليه وينقلونه الى قلعة الكرك لحزنه في مستودعاتها كما كانوا يجلبون من البحيرة أيضاً مادة الحمر (الاسفلت) ويستخدمون المادتين في صناعة سلاح النفط أو قوارير النفط المحرقة^(١٣١). حيث كانت تقذف على العدو بالمجانيق، فتسبب له الحريق.

٢ - السيوف:

اشتهرت مؤتة في العصر الجاهلي بسيوفها المعروفة (بالسيوف المشرفية) لان مؤتة من مشارف الشام، وظلت مؤتة تحتفظ بهذه الشهرة في العصر الاسلامي.

(١٢٩) ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين»، لوحة ٤١٩ «مخطوط».
(١٣٠) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٢.
(١٣١) النويري: نهاية الارب، ج ١ ص ٢٥١.

وذكرها الشعراء في اشعارهم، قال كثير:

إذا الناس ساموكم من الامر خطة لها خطة فيها السام المثل
ابسى الله للشم الانوف كأنهم صوارم مجلوها بموتة صيقل^(١٣٢)
وقال ضرار بن الأزور:

لو سئلت عنا جنوب لا خيرت عشية سالت عقرباء وملهم
عشية لا تعني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصم^(١٣٣)

أما معدن الحديد الذي صنعت منه هذه السيوف المشهورة والاسلحة الاخرى المختلفة، فبعضه محلي وبعضه الآخر مجلوب من الصين. استناداً الى أن الناصر محمد بن قلاوون عند خروجه من الكرك باتجاه دمشق في سلطنته الثالثة، جلس في حسان على كرسي من الحديد الصيني، وهذا الكرسي أحضره من الكرك، ولا بد أن يكون من صناعتها^(١٣٤).

٣ - الاقواس والكنائن:

ذاعت شهرة مدينة زغر في صناعة الأقواس العربية التي تنسب إليها فيقال (الاقواس الزغرية). وقد أصبحت الاقواس الشامية زمن دولة المماليك السلاح المفضل لدى عساكرها وجيوشها^(١٣٥). كذلك اقتصت زغر بصناعة كنان السهام والكنائن عادة إما من الجلد أو من الخشب. وكانت الكنائن الزغرية حمراء مذهبة حتى أن العرب كانوا يفتخرون بحملها^(١٣٦).

(١٣٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٦٧٧، وأنظر: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٢٧٥ - ابن عبد الظاهر: تشریف الايام والمصور، ص ١١٩.

(١٣٣) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٦٩٤ - عبد الرحمن زكي: صناعة السيوف الاسلامية، المجلة التاريخية، القاهرة، ١٩٥٦ م، ص ٨٢.

(١٣٤) العيني: عقد الجمان، ج ٢٢ ق ١٦ لوحة ١٣٦ «مخطوط».

(١٣٥) طيبغا اليوناني: غنية الطلاب في معرفة الرمي الشاب، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة، لوحة ٢١٣ - طيبغا الأشرفي الميكلشي: بنية الرامي - شرح المنظومة لوحة ٢٠ «مخطوط» - نبيل محمد عبد العزيز: خزائن السلاح ومحتوياتها في عصر الايوبيين والمماليك، ص ٢٢.

(١٣٦) مصطفى الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ١ ص ١٠٩. وعن الكنائن، أنظر: النويري: نهاية الاربع،

٤- النبال أو الهام: (الحضرة السيرة)

اشتهرت قرية عمّا بغور أبي عبيدة بصناعة نوع من النبال يتميز بقوته وصلابته وامتدحها المؤرخون العرب، فقيل «وہا یعمل النبل الفایقة» (١٣٧).

ثالثاً: الصناعات الفنية:

١- فن الحفر على الخشب:

اشتهرت قرية (المزار) الواقعة في الجزء الشمالي من البلاد بين إربد وعجلون بهذا الفن، ويتمثل ذلك في صناعة الاجران الخشبية (المهايش) المستعملة في دق البن - وقد استعملوا لهذه الغاية خشب البطم الذي ينتشر في جبال عجلون، وذلك بعد تجفيفه وخزنه لمدة أعوام بطريقة خاصة، وقد زينوا هذه الاجران بزخارف هندسية نجمية ذات تراكيب متداخلة وأشكال هندسية شطرنجية داخل نجوم مثمانية الرؤوس أو اشكال مستطيلة بداخلها مثلثات تصغر كلما اتهمت الى المركز، وهو نفس الطراز الزخرفي الذي شاع استعماله في مصر والشام في تزيين التحف الخشبية والنحاسية، وسقائف البيوت في العصر المملوكي (١٣٨).

وقد اختلف الباحثون في التوصل الى أصل هذه التكوينات الزخرفية، وأعتقد بأن هذه الرسوم الهندسية تعبر عن تأثير واضح لفن الفيفاء الذي كان شائعاً لدى البيزنطيين (١٣٩). فالفن في معظمه تجارب انسانية، لا يمكن فصل فترة زمنية عن أخرى قبلها أو بعدها ولا نشك في أن الفنان الاردني قد حذق هذه الاساليب المتوارثة عن فن صناعة الفيفاء الذي حذقه أجداده، وتعددت أمثله في مادبا، وجرش،، والقصور الاموية، وفي مسجد عمان المفسس في القرن

ج ص ٢٣٥ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢ ص ١٤٢.

(١٣٧) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٧٢٢ - ابن شداد: الاعلاق الخظيرة، ج ٣ ص ٨٨

Le strange, P. 393.

(١٣٨) زكي محمد حسن: فنون الاسلام، ص ٢٤٨ - ديماندا: الفنون الاسلامية، ص ١٢٢.

(١٣٩) زكي محمد حسن: فنون الاسلام، ص ٢٤٩ - ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص ٢٣٨. أحمد أحمد

يوسف: تاريخ الطرز، ص ٥٩.

الرايع والسادس الهجري^(١٤٠). وما زال أهل قرية المزار الاردنية يجيدون فن الحفر في الخشب وتكاد هذه الصناعة تكون حكراً عليهم.

٢ - الصياغة والتكفيت:

تشير المصادر الى وجود جماعة من الصاغة في الكرك وعجلون تعتمد حرفتهم على سبك الجوهرات والحلى وتزيينها، وتشير المصادر أيضاً الى قيام صناعة التكفيت في التحف النحاسية في مدينة الكرك، فأثناء حصار الملك الناصر أحمد بن قلاوون بالكرك ٧٤٣-٧٤٥ هـ كان يرمي على المحاصرين من شراريف القلعة بسبع فردات من النشاب «صيفت نصولها من فضة مكفوتة بالذهب»^(١٤١)، وكان نصل سهامه عريضاً ثقيلاً، مصنوعاً من الفضة المكفوتة بالذهب نقش عليه ما يلي:

ومن جودنا نرمي العداة بأسهم من الذهب الابريز صيفت نصولها
يداوي بها المروح منها جراحه ويشرى بها الأكفان منها قتيلا

والتكفيت يعني تطعيم المدن بمادة اقيم، كتطعيم النحاس بالفضة أو الفضة بالذهب، وذلك بأن تحفر الزخارف على سطح الآنية أو الحلية المراد زخرفتها حفرأ عميقاً، ثم يملأ هذا الجزء الحفور بالفضة أو الذهب، أو المينا أو النحاس الأحمر. وأصل هذه الصناعة معروف في ايران منذ العصر الساساني، ثم انتشرت في جميع أنحاء العالم الاسلامي في الموصل وحلب ودمشق والكرك والقاهرة. وقد أدى تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الاسلام الى انتشار هذه الطريقة الجديدة في الصناعة^(١٤٢).

٣ - فن صناعة التحف الخزفية:

أسفرت الأبحاث الاثرية التي اجريت عن كشف آلاف من القطع الفخارية

(١٤٠) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٥ - باقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٧١٩.

(١٤١) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص ١٠٥ - ١٠٧.

(١٤٢) القرظي: المخطط، ج ٣ ص ١٧٠ - محمد عبد العزيز مرزوق: بين الآثار الاسلامية، ص ٦٤،

والفن الاسلامي، ص ١٤٤ - ارنست كونل: الفنون الاسلامية، ص ٧٩ - ٨١.

التي يرجع تاريخها الى أقدم العصور مما يدل أن صناعة الفخار وجدت لدى الشعوب التي عاشت في هذه المنطقة. وأول قطع فخارية اسلامية وصلت إلينا من الاردن هي مسارج يرجع تاريخها الى القرنين الثاني والثالث الهجريين، صنعت في مدينة جرش الاردنية. ثم تطورت صناعة الفخار والخزف في العصر الاسلامي، ودخلت فيها تأثيرات صينية وفارسية و سلجوقية، الى أن ابتكر الفنان المسلم نوعاً من الخزف الاسلامي هو المعروف بالفخار أو الخزف ذي البريق المعدني Lustre Pottery امتزجت فيه عبقرية الصانع ببراعة الفنان، وكان الفضل في هذا الابتكار للخزافين العراقيين في عصر الدولة العباسية، ومن هناك انتشر الى جميع أنحاء العالم الاسلامي^(١٤٣).

وفي العصرين الايوبي والملوكي تشابه الخزف الشامي والمصري، بسبب تماثل المادة الخام المصنوعة منها تلك الأواني، والتشابه الكبير في الموضوعات الزخرفية، بحيث لا يمكننا التمييز بين قطعة وأخرى إلا من توقيع صانعها ومكان صناعتها إن وجد^(١٤٤).

ومن مراكز إنتاج هذا الخزف في بلاد الشام، دمشق وبعلمك وحماه والرقعة^(١٤٥). واشتهرت الأمثلة الشامية في عصر الايوبيين بزخارفها الزرقاء

(١٤٣) زكي محمد حسن: فنون الاسلام، ص ٢٦٠ - محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الاسلامي، ص ١٢٩، والفن المصري الاسلامي، ص ٥١، ٥٢. ويرى الأستاذ سوفاجيه أن خط سيره كان: من الموصل فسنجار، ديار بكر حيث دخلت عليه مؤثرات أرمينية وأناضولية، ثم عبر الفرات الى: البلس والرصافة، قلعة جعبر ثم الرقة وحلب. وكان فن السيراميك (الخزف) الخاص بالرقعة على درجة كبيرة من الاتقان، ثم انتقل من هناك الى جميع بلاد سوريا، وبعد الغزو المغولي أخذت دمشق مكان الرقة في صناعته، ومنها انتقل الى مصر - (أنظر:

Sauvaget, (j).

Poteries Syro - Mesopotamiennes du xive siecle, PP. 6-7.

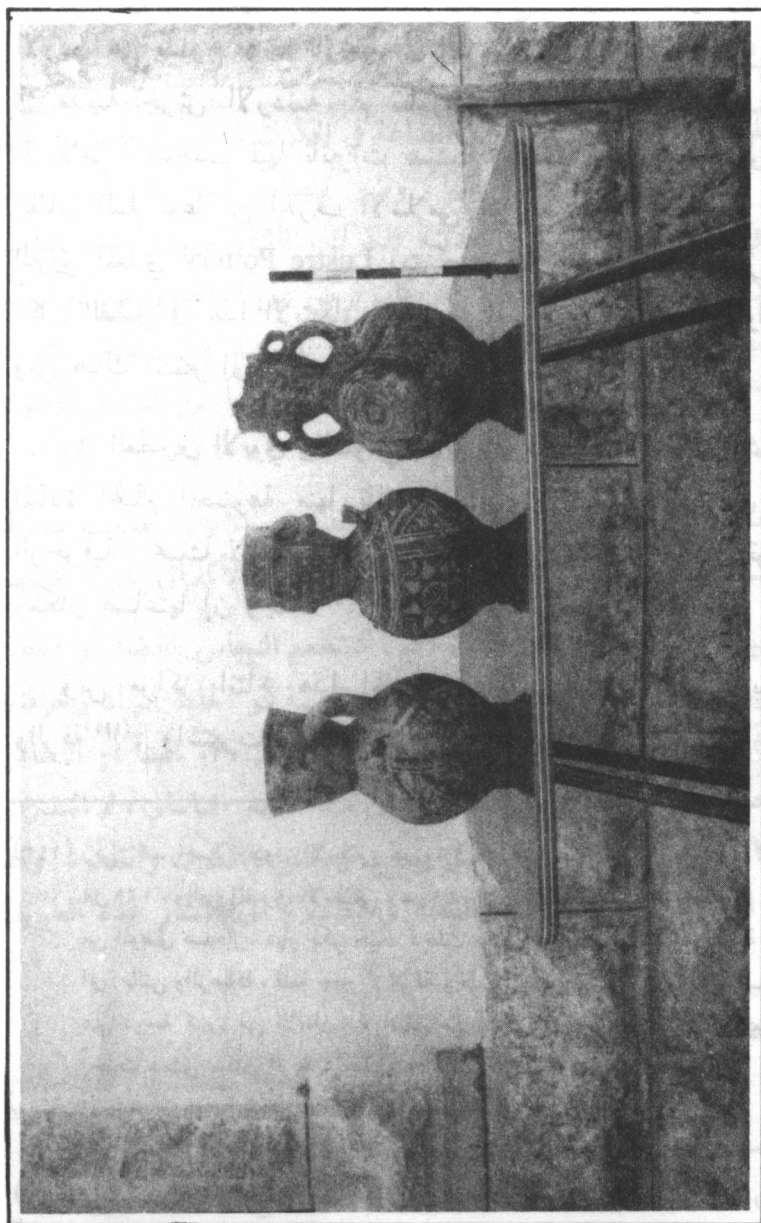
(١٤٤) ديباند: الفنون الاسلامية، ص ٢١٩، ٢٢٠.

Arthur, Later Islamic Pottery, P. 15, 17, 18.

(١٤٥)

Sauvaget, (j), op. cit, P. 2, 5.

= James, A. Sauer,



أواني فخارية مملوكة محلية ذات نقوش جميلة من قلعة عجلون

والسوداء، وهذا النوع من الخزف يتميز بنقاوته وشدة صلابته عن النوع الفارسي، لذا وجد طريقه الى أوروبا بواسطة التجار القادمين إليها^(١٤٦). ولكن شاع في العصر المملوكي نوع أكثر سمكاً وصلابة يتميز بظلمة اللون الأخضر الزيتوني على مسطحاته^(١٤٧). وقد لاحظت عند زيارتي لموقع الحفريات الاثرية في مدينة حسان ألوفا من قطع الخزف ذي اللون الأخضر الزيتوني منتشرة في حقول القمح المنحدرة على جنبات تل حسان، مما يؤكد لي أن هذه الصناعة الخزفية قد وجدت في مدينة حسان في العصر المملوكي، وأنها تأثرت بالاساليب الفنية الشامية والمصرية الجاورة.

وشاع في عصر الايوبيين والمماليك نوع من الأواني الفخارية المحلية تمثل في معظمها دوارق للهاء أو أطباق للطعام، أو جرار كبيرة لاغراض مختلفة كخزن زيت الزيتون والنبيد وغيره. ولكن الذي يهمننا هو نوع استخدم لحفظ المياه ونقلها، أو لتقديم وجبات الطعام يتميز بزخارفه الخطية الهندسية ورسومه الشطرنجية داخل نجوم مثمثة أو سدسة أو داخل مستطيلات أو مربعات متشابكة الخطوط، ومثلثات متساوية الساقين، تنطلق صغيرة من المحور، ثم تأخذ في الكبر. أو نجوم مثمثة الرؤوس تتوسطها دوائر تتداخل فيما بينها، داخل اطار زخرفي من التوريقات الهندسية الجميلة، أو اشكال مخروطية بداخلها رسوم شطرنجية أو بلاطات جميلة الشكل، تبعث الى الناظر شعوراً بالراحة والاسترخاء أحياناً أو تثير فيه الانفعال أحياناً أخرى. هذا النمط وجد العديد من أوانيه في حسان وذيبيان والكرك وعجلون، مما يدل على أن صناعته كانت عملية لتفي بأغراض المواطنين. وقد وجد هذا النوع من الأواني أيضاً في سوريا،

Heshbof Pottery 1971, P. 54.

Arthur, Later Islamic Pottery, P. 17. 29.

(١٤٦) زكي محمد حسن: فنون الاسلام، ص ٣٢١.

(١٤٧) زكي محمد حسن: فنون الاسلام، ص ٣١٩، ٣٢٠.

Arthur, op. cit. P. 18, 19.

James, A. Sauer, op. cit. P. 62.

وفلسطين، ومصر^(١٤٨)، مما يدل على تمازج الفنون الاسلامية في كل من بلاد الشام والديار المصرية في العصرين الايوبي والملوكي.

رابعاً: التعدين:

توفرت في منطقة شرقي الاردن معادن مختلفة تمكن أهل البلاد من استغلالها في صناعاتهم المدنية والحربية على السواء، وفيما يلي عرض لأهم هذه المعادن:

١ - الحديد:

وجد الحديد في منطقة عجلون، وكانت المادة الخام تنقل الى قلعة عجلون حيث تصهر في أفران خاصة، ليستخرج منها الحديد النقي^(١٤٩)، والفائض كانت ترسله الى دمشق. ومما يدل على وجود هذا المعدن في أعمال دمشق، أن المرسوم الذي صدر عن السلطان الناصر بن قلاوون في سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م)، باعفاء مدينة دمشق وأعمالها من الضرائب المتأخرة عليهم، كان يتضمن العبارة الآتية: «ومن الفولاذ ستائة وثمانية أرطال ومن الزيت ألفان وثلثمائة رطل ومن حب الرمان ألف وستائة رطل»^(١٥٠) كذلك كان معدن الحديد يتوفر في منطقة الأغوار، وقد دلت الكشوف الأثرية على وجود أفران ومسابك لصهره هناك^(١٥١).

Dussaud, Les monuments Palestiniens et judaiques, P. 115.

(١٤٨)

Sauvaget (j.) op. cit. PP. 19-23.

James A. Sauer,

Heshbon Pottery 1971, P. 62.

johns, C. N.

(١٤٩)

Medieval Ajlun, the quarterly of the department of antiquities in Palestine, vol, 1,

P. 30.

(١٥٠) القلقندي: صبح الأعشى، ج ١٣ ص ٢٩، ٣٠.

(١٥١) دائرة الآثار العامة - قسم التسجيل، تقرير المسح الأثري لوادي اليرموك ووادي الأردن عام

١٩٧٥ م.

٢ - الكبريت:

كان يتوفر وجوده في غور الاردن الشمالي. إلا أنه وجد بكثرة على طول الجانب الشرقي للبحر الميت، ووصفته المصادر (بالكبريت الأبيض)^(١٥٢).

٣ - الحمز:

ويسمى أيضاً: القار أو الاسفلت، وكان يستخرج من البحر الميت، واستخدمه أهل المنطقة في صناعة الاسلحة (النفط)، كما استخدموه في طلاء سيقان الأشجار علاجاً لها من الآفات الزراعية^(١٥٣).

٤ - النحاس:

وهو من المعادن التي عرفتها المنطقة، وكان يستخرج من وادي عربة جنوبي البحر الميت، وعرفت مناجمه هناك منذ عصر الأنباط.

٥ - الرخام:

وجد حجر الرخام في الجبال المحيطة بالعقبة، واشتهر بألوانه الباذخة الجميلة المختلفة^(١٥٤).

(١٥٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٤ - النويري: نهاية الارب، ج ١ ص ٢٥١. فولقي: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ص ١٩٤.

Ziadeh, Urban life in Syria, P. 132.

(١٥٣) الأصطخري: مسالك الممالك، ص ٦٤ - النويري: نهاية الارب، ج ١ ص ٢٥١.

(١٥٤) ابن النابلسي: الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، مخطوط - بمكتبة بلدية الاسكندرية، لوحة ٤٨٧.

الفصل الرابع الحياة الاجتماعية

- ١ - طبقات السكان:
 - أولاً: طبقة المالك.
 - ثانياً: طبقة المعممين.
 - ثالثاً: عامة الشعب.
- أ - سكان المدن.
- ب - سكان القرى.
- ج - البدو.
- ٢ - الطوائف الدينية:
 - أ - المسلمون.
 - ب - النصارى.
 - ج - اليهود.
- ٣ - بعض مظاهر الترف الاجتماعي في الأردن:
 - أ - وسائل التلية:
 - ١ - الغناء.
 - ٢ - الصيد.
 - ٣ - لعبة الكرة (البولو).

ب - الاحتفالات:

١ - الولايم .

٢ - المواكب .

ج - الأزياء .

د - الأطمعة .



(١)

طبقات السكان

كان مجتمع شرقي الأردن في عصر دولة المماليك مجتمعاً طبقياً اقطاعياً جامد البنيان، لا يختلف في ذلك عن مجتمع الشام والديار المصرية في نفس الفترة، فحقوق الفرد في هذا المجتمع تختلف بحسب الطبقة التي ينتمي إليها الفرد نفسه، ويمكننا أن نميز ثلاث طبقات واضحة في المجتمع الأردني في العصر المملوكي:

أولاً: طبقة المماليك:

يشكلون الطبقة النبيلة الحاكمة وتتميز بأنها طبقة اقطاعية عسكرية استأثروا بالحكم وحيازة الاقطاعات الكبيرة^(١)، ومهمة الدفاع وشؤون الحرب. لم يندمجوا مع أهالي البلاد الأصليين، فكانوا غرباء عنهم، لا تربطهم بهم رابطة الدم أو الأصل أو الجنس. لذا لم يشعروا في كثير من الأحيان بروح التجاوب مع الأهالي، والعطف على مصالحهم، والعمل من أجل رفاهيتهم^(٢). لقد نظر المماليك إلى بقية طبقات الشعب نظرة أدنى، واعتبروهم أقل منهم درجة، فلا ينبغي والحالة هذه أن يشاركوا في الحياة الحربية، وإن سمح للبعض بالمشاركة فبقدر معين محدد.

(١) كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ج ١ ص ٢٤٦ - إبراهيم علي طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٥١.

(٢) سعيد عاشور: العبر المماليكي، ص ٣٠٨.

ثانياً: طبقة المعممين:

وتشمل هذه الطبقة أرباب القلم من أصحاب الوظائف الديوانية، والفقهاء، والعلماء، والأدباء، والكتاب، وأهل التصوف، وطلاب العلم. وقد نالت هذه الطبقة امتيازات خاصة لدى سلاطين المماليك. والظاهر أن شعورهم بالفربة عن البلاد وأهلها جعلهم بحاجة ماسة الى دعامة قوية يستندون عليها، ويستعينون بها على إرضاء جماهير الشعب، فلم يجدوا أمامهم غير هذه الطبقة، لما لرجال الدين من مكانة مرموقة بين الناس فتملأهم بعظمتهم. وبلغ من جرأة بعض هؤلاء المعممين أن عارضوا السلاطين أحياناً، مثلما فعل الشيخ أحمد بن موسى الزرعي الحنبلي (ت ٥٧٦٢ هـ) من مدينة حبراص الأردنية فقد «كان جريئاً على الملوك والسلاطين أبطل عدة مكوس ومظالم كثيرة»^(٣)، وكانوا يهابونه ويحجلونه. لذا قرب السلاطين العلماء وجلسوا إليهم في أيام محددة، وتباحثوا معهم في لطف وأدب، وقدموا لهم الأسمطة العظيمة، وسقوهم الماء المثلج في أيام الصيف، إكراماً لهم وتقديراً واحتراماً^(٤).

ثالثاً: عامة الشعب:

وكثيراً ما أطلق عليهم العوام أو العامة. وهم رجال الحرف المختلفة: من زراع وصناع وتجار ويشكلون السواد الأعظم من سكان البلاد في القرى والمدن. وهي الطبقة الكادحة المبذعة المنتجة، وما آثار هذه الفنون الباقية في مصر والشام: في العمارة، والصناعة، والزخرفة والنقش، إلا من إبداع قرائحهم الخلاقية. ومع ذلك فقد عانوا الكثير من أنواع الظلم الاجتماعي، وعسف الحكام وتسلطهم، ومصادرتهم لأموالهم ومع ذلك فلم يكن هؤلاء يعيشون على هامش الحياة، كما يصفهم بعض الكتاب المحدثين، فكثيراً ما أثبتوا وجودهم وعبروا عن استيائهم وسخطهم وثاروا على الظلم والظلمانيان، ولكنهم أيضاً كانوا لا يترددون

(٣) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ١٢ وأنظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ٢٧٤.

(٤) العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، ص ٢٧٤.

في مساندة من يرعاهم من سلاطين الماليك. فالعامة في القاهرة ودشق والكرك أحبوا الملك الناصر محمد بن قلاوون وساندوه، واستقبلوه بالهتاف والابتهاج في سلطنته الثالثة كما أسلفنا. ووقف عامة الكرك مع الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون، وحاربوا إلى جانبه، وثاروا معه ضد التسلط المملوكي، وقاسوا مرارة الحصار، وويلات القتال سنتين كاملتين. كل ذلك لأن السلطان الناصر أحد أحب شعب هذه المنطقة، وليس لباسهم، وتخلق بأخلاقهم وعاداتهم، فعد تصرفه هذا عاراً لدى طبقة الماليك الأرستقراطية الحاكمة، فأنكروا ذلك، وقالوا عنه أنه (يميل إلى العوام)^(٥).

وقد امتازت طبقة العامة في شرقي الأردن بالوفاء والولاء. فقد وقفوا الى جانب الملك الناصر داود وناصروه. كما وقفوا مع أميرهم الملك المغيث عمر، فأكبر الملك الظاهر بيبرس فيهم ذلك الوفاء، وأكرمهم لما تسلم الكرك من المغيث عمر وقال لهم: «إنكم قد أسأتم إلي وعفوت عنكم، لكونكم ما خامرتم على صاحبكم، وقد ازددتم بذلك محبة عندي»^(٦). ثم وقفوا الى جانب السعيد والمسعود ولدي السلطان الملك الظاهر بيبرس وأيدوا ثورتها وحاربوا في جيشها. ثم يقفون وقفة شجاعة الى جانب الظاهر برقوق في سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م)، ويخرجونه من سجن الكرك ويبايعونه بالسلطنة ويبدلون له المال والرجال^(٧)، فقد «انضم على الملك الظاهر أقوام الكرك وأجنادها، وتسامع به أهل البلاد، فأتوه من كل فج بالتقادم والخيول، كل واحد بحسب حاله»^(٨).

ويتألف سكان الأردن من الفئات التالية:

أ - سكان المدن:

استقطبت المدن أخلاطاً من الناس، كانوا يجيئون حياة مدنية حضرية

(٥) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١ لوحة ٦٧ «مخطوط».

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب، تاريخ الواصلين، لوحة ٤٢٠ «مخطوط» - المقرئزي: السلوك، ج ١ ص ٤٩٢.

(٧) المقرئزي: السلوك، ج ٣ ص ٦٦٧ - ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٢٦٠.

(٨) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ٣٥٠.

متقدمة فكانت تتوفر لديهم كل مظاهر الاستقرار والراحة كما أن المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية كانت تقوم على خدمتهم من: مدارس، وبيارات، وحمامات، والأسواق العامرة بصنوف البضائع المختلفة. وكان سكان المدن يشتغلون عادة إما بالتجارة أو بالصناعة، وكان التجار أكثر سكان المدن بروزاً وعرفوا بـ (بياض العامة)، وتمتعت هذه الطبقة بامتيازات خاصة لدى الحكام بسبب ثرائهم، ومساعدتهم للسلطين، حتى أن تاجراً شوبكياً قدم للظاهر برقوق في ثورته بالكرك سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م)، مبلغ مائة ألف دينار لينفقا في العسكر والجيش^(٩).

وكان المحتسب ينظم السلوك الاجتماعي في المدينة، فهو الذي يراقب الأسواق وطوائف الحرفيين والصناع، وأصحاب المهن، وينظم الآداب العامة، ويدعو الى مكارم الأخلاق والاخلاص في العمل. وعاش سكان المدن في دور وقصور يتفاوت مظهرها حسب مقدار ثرائهم، وقد وصل إلينا نص هام يتضمن وصفاً لاحدى دور مدينة الكرك، هذه الدار تتألف من دورين، الأدنى يشتمل على قبوين وإيوان، كلها معقودة بالحجر والطين، وبيت مسقف بالحشب والقصب، أما العلوي فيشتمل على قبو معقود بالطين والحجر يصعد إليه من داخل الدار بسلم (درج) من الحجر، ولها باب يفتح من جهة القبلة^(١٠). ومما تجدر ملاحظته أن العديد من دور القرى الأردنية الحالية مبنية بالحجر والطين، ومسقفة بالمعقود، أو بالحشب والقصب، على نفس الطراز الذي كانت عليه في العصور الوسطى.

ب - سكان القرى: المصدر: "الاصطفايح"

ويشكلون السواد الأعظم من الشعب، وتنتشر قراهم في جميع أنحاء البلاد سهولها، وجبالها، وأوديتها. ويشتغلون بالزراعة أو الرعي والصيد حسب طبيعة بلادهم. وكانت معظم الأراضي الزراعية التي يعملون بها اقطاعات لأمرء

(٩) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ١٤٠.

(١٠) وثيقة وقف السلطان الأشرف شهبان رقم ٤٩ بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

الماليك وأجنادهم، حتى وصفت منطقة شرقي الأردن الشمالية وهوران بأنها معظم أخباز السكر وأرزاقهم^(١١). وقد عانى الفلاح الأردني، كزميله الفلاح الشامي والمصري من التعرض للظلم الاجتماعي القاسي، الذي ترتب على نظام الاقطاع. فكانوا يلزمون بفلاحة الأرض، ولا يسمح لهم بالنزوح منها، إلا بعد ثلاث سنوات. وإن نزع يهاد الى الأرض بالقوة، ويلزم بفلاحتها وزراعتها، وإن احتج يقولون له: هذا شرع الديوان - والمقصود هنا هو ديوان الجيش المسؤول الأول عن هذه الاقطاعات - وبسبب هذا الظلم، جهر الفقهاء والقضاة بالمعارضة، فالسبكي يقول: «والفلاح حر لا يد لآدمي عليه وهو أمير نفسه»^(١٢)، ثم يقول: «فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جندياً والجندي فلاحاً»^(١٣). وبلغ من قسوة الأمراء الماليك وتصفهم بالفلاحين أنهم أقدموا على الاعتداء على أعراضهم وأموالهم. حتى إن أميراً خرج الى الصيد مرة فأخذ «هو وماليكه من بنات أهل البر ما يزيد على سبعين بنتاً حراماً»^(١٤). وفي بعض الأحيان كانوا يلزمونهم بقطع شجرهم بشره، وبيعه حطباً لدفع ما عليهم لصاحب الاقطاع^(١٥). هذه الأعمال كانت تثير النقمة على الماليك. وقد شاهدنا وقوف أهل الأردن إلى جانب الناصر أحمد بن قلاوون، في ثورة عربية الطابع، ضد الجنس المملوكي الحاكم المتسلط.

لم تكن الاقطاعات حكراً على طبقة الأمراء الماليك وأجنادهم، بل كانت تمنح أيضاً لطبقة المممين، فكان للقضاة اقطاعاتهم الخاصة في: دمشق وعجلون والكرك وكانوا يخرجون كل عام الى هذه القرى لجمع المحصول منها^(١٦). كذلك امتلك رجال البلاد وشايخها، وعربانها الاقطاعات، ففي سنة ٦٦١ هـ

(١١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٢ ص ٣١٤.

(١٢) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٤٨.

(١٣) السبكي: المصدر السابق، ص ٧٤.

(١٤) السبكي: المصدر السابق، ص ٧٢.

(١٥) ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٩ ص ٤٤ - ابن طولون: اعلام الورى، ص ٦٠.

(١٦) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ١٠١ - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٧ ص ٦٦ - ابن

طولون: مفاكهة الخلان، ج ٢ ص ٩٢، ٩٣.

(١٢٦٣ م)، وزع الملك الظاهر بيبرس الأقطاعات على رجال الكرك وعربانها، فبلغت ثلاثمائة منشور. وقع عليها في الكرك دفعة واحدة^(١٧). وفي سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م)، اقطع الملك الصالح اسماعيل الاقطاعات لوجهاء الكرك ومشايخها، وهم: الشيخ بالغ ومسعود وابن أبي الليث، كي يبعدهم عن مناصرة ثورة أخيه الناصر أحمد، وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الاقطاعات والأراضي. وكانت اقطاعات جليلة تدر على كل منهم في السنة الواحدة ما يقرب من أربعائة وخمسين ألف درهم^(١٨).

وشاع نظام الوقف في هذه الفترة، فأوقفت بعض أراضي الأردن على أعمال البر والخير، فنرى أن حصصاً من قرية الطرة الأردنية وقفت على مدارس في دمشق، وعلى خان الظاهر بيبرس في القدس^(١٩). كما وقف السلاطين الأوقاف على المساجد منها: وقف لمسجد حسابان^(٢٠)، وأوقاف لمساجد الصحابة في مؤتة، ومسجد أبي عبيدة في الأغوار. ولم يكتف السلاطين بذلك، بل وقفوا بعض القرى الأردنية على المنشآت العامة التي أقاموها في القاهرة وغيرها، كالمدارس والبيمارستانات، وأثبتوا ذلك في حجج وقياتهم. من ذلك ما وقفه السلطان الأشرف شعبان على مدرسته بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ (اكتوبر تشرين أول) ١٣٧٥ م، من أوقاف تشمل قرية آدر الواقعة شرقي الكرك، والبستان والحمام في وادي الكرك ولحسن الحظ وصل إلينا نص هذه الوقفية المشتملة على وصف تفصيلي لحدود القرية ووصف نادر لأقسام الحمام والبستان^(٢١).

(١٧) النويري: نهاية الارب، ج ٢٨ لوحة ٢٣ «مخطوط» - المريزي: السلوك، ج ١ ص ٤٩٢.

(١٨) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٩٢.

(١٩) البيهقي: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ٥٥٤ - النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ٥٧٦، ٣٥٨، ٣٤٨.

Combe, Sauvaget, wiet, op. cit. vol. 11, p. 233, vol. 12, P. 229

(٢٠) ابن حجر: انباء الفهر، ج ١ ص ١٨١.

(٢١) وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩.

ولم تكن كل أراضي شرقي الأردن اقطاعات أو وقييات، بل ان أهل البلاد أنفسهم كانوا يمتلكون بعضها، فنسمع عن أرض آل اسماعيل غربي قرية آدر، وحكر سليمان بن صالح بن مكّي، وحكر يزيد بن طي، وحكر القاضي معين الدين، وفدان باسم أحمد بن داود صياد الفزلان، وكل هذه الأملاك في قرية آدر والقرى المحيطة بها^(٢٢). وكان للقاضي عماد الدين أحمد بن عيسى (ت ٨٠١ هـ)، أملاك جليلة بالكرك، حتى أن سيلا دهم الكرك في سنة ٧٨٧ هـ (١٣٨٥ م)، فأتلف للقاضي وحده ما قيمته مائة ألف درهم^(٢٣).

وكانت القرى الأردنية تنهض عادة قرب ينابيع المياه ويتجلى ذلك بوضوح في القسم الشمالي من البلاد. وإذا تعذر وجود الينابيع كانوا يحفرون الصهاريج والآبار لجمع مياه الأمطار، ولتأخذ مثالا نموذجياً لإحدى القرى الأردنية في العصر المملوكي، وهي قرية آدر القريبة من الكرك. وكانت تشمل على ثلاثة وثمانين داراً لسكنى الفلاحين، يتوسطها مسجد القرية المعقود بالحجر والطين، وكان له حرم خاص بداخله صهريج لخدمة المصلين، وكان القرويون يطلون واجهات بيوتهم بمنقوع الصخور الجيرية الطباشيرية (الخور)^(٢٤)، وما زالت هذه العادة منتشرة في يومنا هذا في الريف الأردني. وبالقرية ثلاث مقابر لدفن الموتى. وكان لهذا المسجد وقف خاص مساحته فدان واحد، ويتألف من سبع قطع، خصص لخدمة المسجد وإصلاحه وإنارته. وفي القرية المذكورة مائة وسبعة وخسون صهريجاً، والظاهر أن هذه الصهاريج كانت محفورة منذ زمن قديم للغاية وأن تاريخها يرجع الى العصر الروماني بدليل أن الوقفية نمتها (بالصهاريج الرومية). ووجد في القرية ثلاث وعشرون مغارة أعدت لخدمة الفلاحين، كأماكن لحزن الغلال، ونوم الدواب.

وفي العادة وجد في كل قرية خطيب، كان يؤم المصلين ويفقههم في أمور دينهم ودنياهم ويعلم أبناء القرية القراءة والكتابة. ويشير ابن قاضي شعبة الى أن

(٢٢) وقفية السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩.

(٢٣) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ١ لوحة ٩ «مخطوط».

(٢٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٤.

الشيخ علي بن عبد الرحمن بن أبي الفتح (ت ٧٦٤ هـ) كان يتولى الخطبة والإمامة في جامع قرية ملكا الأردنية الواقعة شمالي مدينة اربد^(٢٥).

ومن الملاحظ أن التقاليد الرومانية ظلت راسخة في الريف الأردني، حيث نسم عن مسميات رومية فمثلا: (صهاريج رومية)، (سلسلة رومية فاصلة بين قرية آدر وأرض قرية القناعة)^(٢٦). ولا نزال نسمع الى الآن في الريف الأردني عن شجر الزيتون الرمي (الرومي) ويقصد به أشجار الزيتون الكبيرة الممصرة.

وكانت المرأة الريفية تقوم بأعمال الزراعة وجني المحصول وإعداد الطعام، وغزل الصوف ونسجه، واستخراج الجبن والزبد، وذاعت شهرة (الجبن الكركي) حتى كان يصدر الى مصر^(٢٧). كذلك اشتغل بعض القرويين بالحياكة والتجارة في البز وغيره وكان بعضهم يتنقل بين القرى يعرض بضاعته على الأهالي ويبيها بالمقايضة وعرف (بالحدار)^(٢٨). ولم يكن القرويون بنأى عن الأحداث العامة أيضاً، فقد شاركوا في الحروب ضد الصليبيين^(٢٩). كما جندهم المماليك مراراً لحرب التتار فكان يفرض على كل قرية عدد من الفرسان والرجالة بحسب قدرتها^(٣٠).

-
- (٢٥) ابن قاضي شهبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢، لوحة ١٧٠ «مخطوط»، وانظر أيضاً: السبكي: معيد النم ومبيد النقم، ص ٣٤.
- (٢٦) هذه المسميات وردت في وقفية قرية آدر للسلطان الأشرف شعبان. وسأقوم بعون الله بنشر ودراسة وقفية قرية آدر مستقبلاً.
- (٢٧) المقرئزي: المخطوط، ج ٣ ص ١٦٢ - ابن أبياس: نسق الأزهار في عجيب الأقطار، لوحة ٤٢ «مخطوط».
- (٢٨) القاسمي: قاموس الصناعات الثمانية، ج ١ ص ٩٤.
- (٢٩) ويقول ابن عبد الظاهر أثناء الاستعداد لحصار عكا وتخليصها من الفرنج: أمر السلطان باخراج الأبقار من البلاد لأجل المجانيق واخراج الرجال بازوادهم من كل بلد على قدره « (أنظر: تشریف الايام والمصور، ص ١٧٧).
- (٣٠) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٩ ص ٤٠ - المقرئزي: السلوك، ج ٣ ص ١٠٤٢ - ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٠٥. ويقول ابن الفرات: في سنة ٦٧٢ هـ أمر السلطان بالاستعداد لحرب التتار « وان تخرج كل قرية بالشام من بينهم خيالة على قدر حال أهل القرية، ويقومون بكلفهم » (أنظر: تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ٣).

٢- البدو: حضرة + المستشرقون

كان البدو يشكلون قطاعاً كبيراً وهاماً من سكان منطقة شرقي الأردن. وكانوا يتألفون من عشائر ويطون، امتدت مضاربيهم على سيف البادية من الجنوب الى الشمال وإن كانوا في أحيان كثيرة، يجاورون القرى والمدن. وقد أنف البدو حياة الاستقرار في قرى حضرية، ولم يمتحنوا الزراعة إلا في حدود ضيقة، وزاولوا الرعي وتربية الماشية وتغذوا على منتجاتها، وباعوا الفائض من انتاجهم في المدن والقرى والأسواق الموسمية. وكانوا يعتبرون أنفسهم طبقة عسكرية محاربة تلو على طبقة الفلاحين، الذين كانوا يقاسون من ظلمهم واعتداءاتهم في أحيان كثيرة، لذا كان مجتمعهم مجتمعاً رعوياً عسكرياً. إلا أن قسماً منهم سكن القرى في وادي الأردن ومنطقة عجلون، واحترفوا الزراعة كالفلاحين، وهؤلاء كانوا يلاقون الاحتقار من عرب الأطراف والبادية وعرفوهم بأنهم ليسوا عرباً أقمحاء^(٣١).

وقد حافظ البدو على عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة، ومارسوا نفوذاً خلقياً لا يزال تأثيره باقياً على الحياة العربية الحاضرة، فما زال كثير من النظم الاجتماعية، وأنماط السلوك، والقيم البدوية، تتعايش في مدننا وعواصمنا العربية المعاصرة، جنباً الى جنب مع أنماط السلوك الغربية المكتسبة، لا بل تكاد تنفرد بشخصيتها في المجتمعات العربية القروية. فنظام القرابة والانتماء العائلي، ساعد على أن يحتفظ العرب بوحدتهم الحضارية، وشد تماسكهم، والحفاظ على قيمهم الروحية.

ولم تكن القبائل العربية بمعزل عن الأحداث القومية، فقد شاركوا في حرب الفرنج، وأبلوا في ذلك بلاء حسناً، واشتركت قواتهم في معظم المعارك التي خاضها المماليك ضد التتار. كما ساعدوا على توفير الأمن في شبكة الطرق الأردنية عندما عهد إليهم المماليك بدرك الطرق وحراستها ما بين مصر والشام، وما بين الشام والحجاز. ففي سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٣ م) عهد السلطان الملك الظاهر

(٣١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ١٩٣ - فولني: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ص ٢٤٠.

يبيرس درك البلاد وخفر الطرق الى الحجاز الى بني عقبة، وبني مهدي، وأقطمهم مقابل ذلك الاقطاعات الجليلة، وأخذ منهم الرهائن^(٣٢). وفي عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ساند بنو عقبة وبنو مهدي، في ثورته بالكرك سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م). ولما استرجع سلطنته للمرة الثالثة لم ينس لهم ذلك، فجعل الأمرة فيهم، حتى أنه أهل على الأمير شطي بن عقبة، ورفع منزلته وألحقه بأمرآء آل فضل، وأمرآء آل مرآء « وأقطعه الاقطاعات الجليلة، وألبسه التشريف الكبير، وأجزل له الحباء، وعمر له ولأهله البيت والحباء »^(٣٣). ومع ذلك فإن هذه القبائل أنفت الدخول في فلك التنظيم الاداري المملوكي، فأخذت ما في هذا النظام من مميزات، وتركت ما فيه من التزامات، فكثيراً ما نراهم يثورون على السلطة الحاكمة إلى حد أنهم شاركوا في جميع الثورات التي نشبت في الكرك، وكانوا في ذلك يعبرون عن روح عربية أصيلة، إذ أبوا أن يخضعوا لسلطان مه الرق لا ينتمي للجنس العربي.

أما أهم القبائل العربية التي سكنت منطقة شرقي الأردن فهي كما يلي:

بنو عقبة:

المسافر، المعالوج
 بطن من جذام من القحطانية، ومنازلهم الكرك والشوبك. كان عليهم

(٣٢) ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين» لوحة ٤٢٠ «مخطوط» - النويري: نهاية الارب، ج ٢٨ لوحة ٢٣ «مخطوط».

Poliak, Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, PP. 10-11.

(٣٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٤٣ - الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٥٧ «مخطوط» - ويقول القلقشندي عن امتيازات عربان الشام «واعلم أن هؤلاء العرب لم يزل لهم عند الملوك مزيد البر والحباء، وجزيل العطاء لاسيما عند وفادتهم الى الأبواب السلطانية... والعطايا كيف كانت تفيض عليهم أيضاً، من الذهب العين، والدرهم بمئات الألوف، والخلع، والأطلس بالأطرزة المزركشة، وأنواع القماش المفصل، والوشق والسجاب والبراطس، والأطرزة، والمزركشة... والمصنوعات الموهرة، والذهب، وأنواع المزركش لسانهم، والسكر المكرر، والأشربة المختلفة بالقناطير المنتطرة... مع ما يطلق لهم من الأموال الجمدة من الشام، ويقطع باسمهم من المدن والبلاد، ويملك لهم من القرى والضياع...» (أنظر: نهاية الارب في معرفة انساب العرب، ص ٨٨، ٨٩).

درك الطريق ما بين مصر والمدينة المنورة الى حدود غزة، بالإضافة الى درك الطريق من البلقاء الى الديار الحجازية^(٣٤). وبلغ عدد مقاتليهم سبعة آلاف نفس^(٣٥). وقد التزموا بتقديم ألف فارس^(٣٦) مقابل اقطاعهم حسب النظام الاقطاعي المملوكي، ومن أعظم أمرائهم شطي بن عبية المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م)^(٣٧).

بنو مهدي:

بطن من جذام من القحطانية، منازلهم باللقاء حول عمان والصلت. وهم بطون كثيرة، وأفخاذ متسعة منهم: الناطية، وأولاد بني عسكر، والعناترة، وأولاد راشد، والبتران، واليعاقبة، والمطارنة، والغفير، والرويم، والمخارفة، والماهرة، والمصاحفة، والقطاربة، والمجاهرة، والسامنة، والمجارمة^(٣٨). وكانوا يلتزمون بدرك البلاد والطرق المؤدية الى الحجاز بالاشتراك مع بني عقبة. أما عدد الذين يلتزمون بتقديمهم للدولة حسب النظام الاقطاعي العسكري المملوكي في مقابل ما منحوا من اقطاعات فيصل الى ألف فارس مشاركة مع أقربائهم عرب بني عقبة^(٣٩).

عرب آل مرا:

بطن من آل ربيعة من طي. ديارهم من الزرقاء والظليل شمالي الأردن

-
- (٣٤) القلقشندي: نهاية الارب في معرفة أنساب العرب. ص ٢٩٦. صبح الأعشى. ج ٤ ص ٢٤٣.
ج ٧ ص ١٨٨ - القرظي: البيان والاعراب. ص ١٨. ١٩. ٧٢. وانظر أيضاً: العمري:
التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٨٠ - الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ. لوحة ١٥٧ «مخطوط».
- (٣٥) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ١٤٠.
(٣٦) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٠٥.
(٣٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٢٨٧.
(٣٨) القلقشندي: نهاية الارب في معرفة أنساب العرب. ص ١٠٣. ١٣٦. ١٣٨. ١٤٠. ٣٤٤.
وصبح الأعشى، ج ٤ ص ٢١٣ - وانظر أيضاً: العمري: التعريف بالمصطلح الشريف. ص ٨٠.
الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ. لوحة ١٥٧ «مخطوط».
- (٣٩) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٠٥.

أولاد غانم:

العشيرة الشمالية

بطن من جذام من القحطانية، ويجمعهم أيضاً فخذان في بني عقبة وبني سويد فالذي في سويد ولد راشد بن وليد بن زيد بن سويد بن غطفان بن جذام، والذي في بني عقبة، فولد راشد بن عقبة. ولجذام بطون كثيرة منهم: الجابريون، والفتاورة وحمدان، والحميديون. ومن بطون الحميديين: البراجسة، والجواشنة، والكموك، وأولاد غانم، ومساكنهم الكرك والشوبك^(٤٥).

بنو غسان:

حي من الأزدي من القحطانية، منازلهم في البلقاء. وأكثرهم في اليرموك في شمال الأردن (الكفارات) والجولان^(٤٦).

العمريون:

بطن من عدي بن كعب بن قريش من العدنانية، ينسبون الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. منازلهم القدس وعجلون والبلقاء^(٤٧). وإليهم ينتسب المؤرخ المشهور ابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار.

التركيان:

وجد في منطقة شرقي الأردن، طائفة من التركيان. وهم قبائل بدوية من أواسط آسيا، لغتهم لغة الأتراك نفسها، وطريقة معاشهم تكاد تشبه طريقة عرب البادية. يعيشون على تربية الماشية، وغذاؤهم من منتجاتها، ويقايضون ما يزيد عن حاجتهم في المدن والقرى. ونساؤهم يقمن بغزل الصوف ونسج السجاد، وهي صناعة مارسوها منذ القدم واشتهروا بها. والطائفة التي وجدت في الأردن هم:

(٤٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١ ص ٣٣١، ٣٣٢ - المقرئزي: البيان والاعراب، ص ١٥، ١٦.

(٤٦) القلقشندي: نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، ص ٣١٤.

(٤٧) القلقشندي: نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، ص ١٣٢. وصبح الأعشى، ج ١ ص ٣٥٤.

(٤٨) قلعة جعبر: قلعة في ديار بكر، في البر الشرقي الشمالي من الفرات. كانت تعرف بالدوسرية. ثم

ملكها سابق الدين جعبر القشيري في أيام الملوك السلجوقية فعرفت باسمه. كانت مضافة الى دمشق، ثم أضيفت فيما بعد الى حلب. (أنظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٣٨).

(الذكورية) سماوا باسم زعيمهم سالم الذكري وكانوا يسكنون بقلعة جعبر^(٤٨)، ثم انتقلوا الى عجلون. وفي القرن العاشر الهجري أصبح أميرهم: مير علي بن دمشق جحا بن سالم الذكري نائباً في قلعة عجلون^(٤٩).

كانت القبائل العربية منقسمة الى قيسية ويمانية، وبرغم ما منحوا من امتيازات إلا أن هذا لم يمنعهم من اغتنام الفرص المواتية للخروج على السلطة. وفي هذه الحالة تسود الفتن في البلاد. فيهاجمون المراكز الحضارية فيها، ويقتلون ويسبون حتى أن قوافل الحجاج لم تكن لتسلم من سلبهم ونهبهم. وكانوا يصبون جام غضبهم وسخطهم على القرى والمدن الواقعة على سيف الصحراء، وفي ذلك يقول السبكي: «ومن قبائحهم أنه إذا قطع السلطان أقطاع واحد منهم تسلط على قطع الطرقات وأذية من لم يؤذه، وأخذ مال من لم يظلمه، ولا يتوقفون في سفك الدماء لأجل هذا الغرض»^(٥٠). إن ثورات العشير وحروبهم، بالإضافة الى الأوبئة والزلازل المدمرة أدت الى تدمير الكثير من المراكز الحضارية في الأردن، وهجر العديد من المدن والقرى، حتى أن مدينة عمان، أضحت مجرد قرية صغيرة مع نهاية دولة المماليك الثانية.

(٤٩) الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ، لوحة ١٥٠، ١٥١ «مخطوط» - وانظر: فولني: ثلاث سنوات

في مصر وبر الشام، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

(٥٠) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٧٥، ٧٦.

(٢)

الطوائف الدينية

يتألف سكان منطقة الأردن كغيرهم من سكان الديار المصرية والشامية، من الطوائف الدينية التالية:
أ - المسلمون^(٥١):

وكانوا يشكلون السواد الأعظم من السكان وأكثرهم سنيون على مذهب الإمام الشافعي، وقليل منهم يعتنق المذهب الحنفي والحنبلي، فقد أشرنا الى وجود بعض الحنابلة في مدينة حبراص شمالي البلاد. أما عمان، فقد بنى بها الأمير صرغتمش مدرسة لتدريس المذهب الحنفي، والظاهر أنه عمد الى ذلك لنشر المذهب السني بين السكان، لأن بعض المصادر ذكرت أن «أكثر عمان شيعة»^(٥٢).

ب - النصاري:

انتشرت هذه الطائفة^(٥٣) في جميع أنحاء البلاد شمالها وجنوبها، ومعظمهم كان

(٥١) كان المسلمون في منطقة شرقي الأردن يشكلون القطاع الهام من سكان البلاد ويتمتعون بنفس الامتيازات التي كانت للمسلمين في كل من مصر والشام، وفي الفصل الخامس يمكننا ملاحظة العديد من الشخصيات الأردنية الذين برزوا في شتى المجالات. وقد اقتصرنا دراستي هنا على ابراز دور الأقليات في الأردن وأماكن تواجدهم والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في العصر موضوع الدراسة.

(٥٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٩.

(٥٣) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٤٧.

يقع في الكرك والشوبك، كذلك عاش بعضهم في البلقاء وعمان، ونزح قسم منهم إلى بيت المقدس، وخصص لهم هناك حي يعرف (بجحلة المشاركة)، وقد معظم سكانه من عمان والבלقاء شرقي القدس^(٥٤).

وكان نصارى الأردن عرباً دفعهم الشعور القومي الصادق إلى بذل العون إلى مواطنيهم المسلمين ضد الغزاة الصليبيين. فلم يترددوا في تقديم خدماتهم إلى الملك المعظم عيسى وغيره من سلاطين بني أيوب، وقدم رجال الدين منهم خدمات جليلة لوطنهم، من ذلك ما فعله الراهب الشوبكي، الذي سافر إلى صقلية ليستقصي أخبار الامبراطور فردريك الثاني وحملته السادسة إلى الديار المقدسة، لصالح الملك المعظم عيسى^(٥٥). كما وقفوا إلى جانب بعض السلاطين الماليك وقدموا لهم كل مساعدة، من ذلك قيامهم بتأييد ثورات الملك الناصر محمد والناصر أحمد، والظاهر برقوق، وما يروى في ذلك أن تاجرًا نصرانيًا شوبكيًا قدم لبرقوق مائة ألف دينار لينفقها في إعداد القوات والعساكر. نتيجة لذلك حظي نصارى الكرك بمكانة خاصة لدى سلاطين المالك، فعندما قلد الناصر محمد ابنه الأمير أحمد نيابة الكرك وكتب له تقليدًا بذلك أوصاه خيرًا بنصارى الكرك ومنطقتها وفي ذلك يقول: «وأهل الذمة فأوهم إلى كنف العدل الواسع، واحمهم أن تمتد إلى أنفسهم يد جان، وإلى أموالهم يد طامع، وأقم عليهم بأساً يحمل بهم إذا اعتدوا القواصم والقوارع، وأدم لهم مهابة تسد من فساد الذرائع»^(٥٦). كما أنهم حظوا باستثناء خاص دون نصارى مصر والشام بوجه عام: ففي سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ م) صدر مرسوم سلطاني، حدد بموجبه زي النصارى واليهود، فألزم النصارى بلبس العمام الزرقاء واليهود الصفراء والسامرة العمام الحمراء، وأمر الناصر محمد إذا دعا هذا المرسوم في جميع الأراضي الممتدة ما بين النوبة والفرات، فيما عدا الكرك والشوبك، فلم يأمر بتغيير عمامهم وظلوا يضعون العمام البيضاء أسوة بإخوانهم المسلمين. وسبب ذلك، ما كان يحمله السلاطين لهم من

(٥٤) القفطي: اخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٤٨. وتاريخ الحكماء، ص ٣٧٨.

(٥٥) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٤٢٧.

(٥٦) القفندي: صبح الأعشى، ج ١٢ ص ٢٣١، ٢٣٢.

محبة وتقدير. وقد علل نائبهم الأمير جمال الدين آقوش ذلك بأن معظم سكان الكرك والشوبك من النصارى، فلا ضرورة لتغيير لباسهم^(٥٧).

لقد نظر المسلمون دوماً إلى إخوانهم نظرة الاخاء والتسامح الديني، فلم يشعر النصارى بمشاعر الظلم إلا في حالات نادرة وبالذات أثناء الفتن. ولكن ذلك الشعور لا يلبث أن يزول ويحل محله شعور الحب والمواطنة بزوال كل مسببات الفتنة وتعود الحياة الى سيرتها، اخاء ومحبة ووفاء^(٥٨).

وكان نصارى المنطقة يزاولون جميع المهن، فمنهم التجار والزراع ومنهم أرباب الفن والصناع كما انتشروا في جميع أنحاء الديار المصرية والشامية، فوجد الشوابكة في مصر حيث عملوا في دواليب السكر المصرية لخبرتهم الطويلة في هذا المجال، كما عملوا في التجارة في الطور والاسكندرية وغيرها، وسكن عدد كبير من النصارى الكركيين والشوابكة في القاهرة نفسها^(٥٩). كذلك اشتغل جماعة من نصارى الأردن بالعلوم والآداب فنبغ منهم الأطباء والكيميائيون، وكان منهم الكتاب البارزون. وقد لقي هؤلاء جميعاً حظوة عند الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون فأدناهم إليه وقربهم منه وقلدهم الوظائف العالية في الدولة. وبلغت محبتهم في نفس السلطان الظاهر برقوق حداً دعاه في سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) الى أن يأمر بالقبض على الأمير ناصر الدين بن ناصر الدين محمد بن اقبغا آص شاد الدواودين، وضربه، وصادره بمبلغ اربعمائة ألف درهم ويرجع السبب في ذلك الى أنه قطع عن النصارى الشوابكة مصانعتهم « وأخذ منهم عشرة آلاف درهم،

(٥٧) المقرئبي: السلوك، ج ١ ص ٩١٢ - ماير: الملابس المملوكية، ص ١٢١.

Quatremere, Histoire des Sultans Mamlouks, vol. 2. P. 180.

وانظر ايضاً: ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٩ ص ٤٧ - الذهبي: دول الاسلام، ج ٢ ص ٢٠٦ - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٤ ص ٣٥٩ - ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤١٦ - مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص ٨٧ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ١٣٣.

(٥٨) ترتون: أهل الذمة في الاسلام، ص ١٢٩ - ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص ١٩٤.

Jacob, History of Palestine, P. 307.

(٥٩) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢١.

ورمى عليهم قمحاً سعر كل أردب سبعة وعشرين درهماً^(٦٠). وكان لكل من النصارى الملكانيين واليعاقبة، بطريك إليه مرجعهم في التحريم والتحليل، وفي الحكم بينهم، بما أنزل في الشريعة العيسوية. وإليه أمر الكنائس والبيع والديارات، والرهبان^(٦١).

ج - اليهود:

عاشت أقليات من اليهود في منطقة شرقي الأردن. فكانت مراكز تجمعهم في المدن، فقد وجدوا في مدينة العقبة، وربما كانوا يزاولون فيها مهنة التجارة لأنها وصفت آنذاك بالتجارة الكثيرة^(٦٢). وتشير بعض الوثائق اليهودية الى وجود بعض اليهود في مدينة عمان في العصر الفاطمي واشتهر منهم الطبيب أبو الحسن هارون بن أيوب بن صهيون العماني. كذلك تنص تلك الوثائق على أن يهودياً اسمه اسحق قدم من وادي القرى وترك زوجته وأولاده في عمان عاصمة البلقاء، وسافر لقضاء بعض شؤونه^(٦٣) ومن المؤكد أنه تركها في رعاية أصحاب له من اليهود هناك.

وفي القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) يحدثنا الرحالة اليهودي بنيامين التطلي الأندلسي، عن زيارته لمدينة (جلعد القديمة) فيذكر أنه وجد في

(٦٠) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٢٦٠.

(٦١) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٤٤ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩٤.

ج ١٢ ص ٤٢٥، ٤٢٦.

(٦٢) القرظي: المخطوط، ج ١ ص ٣٢٥.

(٦٣) هذه الوثائق مثبتة باللغة العبرية، ولها ترجمة باللغة الانجليزية - أنظر:

Mann, (Jacob), The jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, Oxford.

1920. vol. 1, P. 118, vol. 2, P. 130, 275. 305, 306

ويقول اسرائيل ولفسون: كان لليهود الأغلبية في وادي القرى الى القرن الحادي عشر الميلادي وكذلك وجدت طوائف منهم في تيماء في القرن الثاني عشر الميلادي ثم انعدم وجودهم في الحجاز تدريجياً واختلطوا في بقية الاعراب واندمجوا فيهم، (أنظر: تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٨٦).

هذه المدينة نحو ستين يهودياً بينهم: الربيون وصادوق، اسحق، وسليمان^(٦٤)، وأعتقد أن المقصود بمدينة جلمد مدينة عجلون فقد أطلق على منطقة عجلون (بلاد جلعاد). كما أن بعض المصادر الأجنبية ذكرت مدينة عجلون بأنها جلمد القديمة، Old Giled^(٦٥). ويذكر المقرئزي أنه وجد ببلاد الكرك في سنة بضع وستين وسبعمائة هجرية، من يقرأ العبرية^(٦٦). وهذا دليل على وجود بعض اليهود في منطقة الكرك أيضاً.

نعم اليهود بروح التسامح الديني في ظل الحكم الاسلامي. فارسوا نشاطهم وحياتهم في أمن واطمئنان وسلام، واشتغلوا بالتجارة وأنواع أخرى من الحرف فكان منهم الصاغة والصيافة وكان منهم الأساكفة وكان منهم الصباغون^(٦٧).

(٦٤) بنيامين التيطلي: رحلة بنيامين، ترجمة عزاز حداد، المطبعة الشرقية، بغداد ١٩٤٥. ص ١١٧.

Ann, Dearden. Jordan, 1958, P. 30. (٦٥)

وأنظر خريطة فلسطين بين صفحتي ١١٠، ١١١، وصفحة ٢٣٥، ٣٤٦ من كتاب

Arthur, Sinai and Palestine, London, 1889, Jabesh - Gilead.

وتشير المصادر القديمة الى وجود (جايش جلعاد) الى الشرق من نهر الأردن. ويذكر المؤرخ يوسيفوس أن هذه المدينة هي عاصمة الجلعاديين، وأنها على بعد ستة أميال رومانية من بيلا Pella (فحل) على الطريق المؤدي الى جرش. أنظر:

Max Seligsohn, The Jewish Encyclopedia, vol. V. 11, P. 16.

أما في المصادر العربية فكلمة جلمد يعني في اللغة الصلب الشديد ويذكر ياقوت أنها اسم موضع لم يحدد موقعه:

أحل إذا شئت الأبياد وحزنه وان شئت اجراع العقيق وجلعدا

(أنظر: معجم البلدان، ج ١ ص ١٠٤).

(٦٦) المقرئزي: المخطط، ج ١ ص ٣٣١.

(٦٧) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٣ - بنيامين التيطلي: رحلة بنيامين، ص ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩.

١١٧ - ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ص ٩٧، ٩٨.

Lobez & Lymond, Medieval trade in the Mediterranean, world, P. 103.

وعن التسامح الاسلامي مع جميع الطوائف. أنظر: آدم منز: الحضارة الاسلامية، ج ١ ص ٤٤.

Thompson, History of middle ages, P. 202.

Jacob, History of Palestine, P. 307.

واستغل اليهود أيضاً بالعلوم، ونبغ منهم عديد من الأطباء نالوا حظوة لدى الخلفاء الفاطميين وسلاطين بني أيوب فيما بعد^(٦٨). وكان لليهود رئيس يتكفل بشؤونهم والاشراف عليهم، وإقامة حدود التوراة عليهم مركزه دمشق أما السامرة فكان لهم رئيس في نابلس، ولهم وكيل في دمشق^(٦٩).



(٦٨) من الأطباء اليهود الذين نالوا حظوة لدى السلاطين الايوبيين: الموفق بن شوعة، أبو البيان بن المدور ولقبه السديد، أبو المعالي بن تمام، والرئيس أبو عمران موسى بن ميمون: (أنظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧).

(٦٩) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٤٢، ١٤٣ - القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٩٤، ج ١٢ ص ٤٢٨.

(٣)

بعض مظاهر الترف الاجتماعي في الأردن

كان المجتمع الأردني منذ أقدم المصور مجتمعاً يقوم على حرفتي التجارة والزراعة ولذلك عرف أهله الاستقرار الذي هو أساس الابداع الحضاري. وما زالت آثار الماضين ماثلة في: البتراء ومأدبا وعمان وجرش وبيت رأس وأم قيس، كما يتمثل في العصر الاسلامي في القصور الأموية بالبلقاء وفي القلاع والحانات المنتشرة في: العقبة والكرك والشوبك والحسا والقطرانة وقياد (ضبعة) وعجلون. وأقل ما يمكن أن يقال عن هذا المجتمع الأردني أنه كان مجتمعاً ثرياً، والثراء يواكبه التقدم والبذخ والمطاء، ولعلنا في هذه الدراسة نسجل صورة واضحة المعالم عن بعض مظاهر الترف الاجتماعي في الأردن في عصر دولة المماليك الأولى.

ففي المدن كان الأهالي يقيمون في دور أقرب ما تكون الى البيوت الريفية، يتكون معظمها من طابقين على النحو الذي نشاهده اليوم في البيوت الخاصة بالأثرياء في المدن (الفيلات)، وقد أشرنا الى إحداها في وادي الكرك. وكانت هذه الدور تفرش بأنواع الأثاث والرياش، فاستعملوا الصيني والنحاس وكراسي الحديد، وفرشوا الأرض بالأبسطة والسجاد^(٧٠). ووصلت الرفاهية والبذخ الى حد جعلهم ينقشون الأسماء على الأواني النحاسية كالثأن في متعلقات الأمير جمال

(٧٠) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات. ج ٩ ص ١٠٣ العيني: عقد الجمان. ج ٢٢ ق ١ لوحة ١٣٦

« مخطوط »

الدين أقوش نائب الكرك الذي نقش اسمه على أوانيه، ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة بأمثلة من هذه التحف الكركية. وفي مدن الأردن انتشرت عادة الاستحمام في حمامات عامة كانت تكثر في مدن: الكرك وعمان وحسبان وعجلون، كما شاع استعمال المطاهر العامة في أسواق تلك المدن^(٧١). وفيما يلي دراسة لبعض مظاهر الترف في المجتمع المدني لشرقي الأردن في العصر المملوكي:

أ - وسائل التسلية:

١ - الغناء:

لم يكن المجتمع الأردني بمعزل عن تيارات الثقافة القائمة حوله، فأمرء الماليك وكبار رجال الدولة الذين يشكلون مجتمع الخاصة شغفوا بالغناء والموسيقى وكانوا يعقدون في بيوتهم مجالس الأنس واللهو والطرب من عزف وغناء وشراب، وتشير المصادر العربية الى وجود المغاني في الكرك والشوبك. ولا نشك في أن هاتين المدينتين كانتا مقصداً لرواد الترويح عن النفس، وطلب المتعة لكثرة ما كان فيها من الحانات. وجزت العادة أن يستقدم الناس المغنيات في حفلات الزواج والختان مقابل مبلغ معين من المال، وقد فرضت الدولة على المغنين والمغنيات في ذلك العصر ضريبة أطلق عليها (ضريبة المغاني). وظلت هذه الضريبة تفرض في الكرك والشوبك حتى ألغها السلطان الظاهر برقوق في سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م)^(٧٢). ويذكر المقرئزي أن مغنية من الكرك ذاعت شهرتها في تلك المدينة فانتقلت الى القاهرة وعرفت هناك باسم (الكركية)، استأثر بها السلطان المظهر حاجي وهام بها جداً بالإضافة الى اتفاق العوادة وسلمى المغنية^(٧٣).

(٧١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٢.

(٧٢) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٨٥ - المقرئزي: السلوك، ج ٣، ص ٤٠٥، ٦١٧ -

ابن حجر: أنباء الفجر، ج ١ ص ٢١٩ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٢ ص ١١٢ - ابن

الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٢١١.

(٧٣) المقرئزي: السلوك، ج ٢ ص ٧٢٥ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ١٥٦.

٢ - الصيد:

عاش في منطقة شرقي الأردن نوعان من الحيوان: الأليف كالغنم والابل والبقر والخيول، وكانت قطعانها تعيش في المراعي الواسعة المنتشرة في ربوع الأردن، يقوم بتربيتها أهالي وعربان البلاد^(٧٤)، والوحشي: كالأسود والنفود والذئب وحمر الوحش، والثعالب، والغزلان، والخنزير، والأرانب البرية وقد عاشت في الأزرق والزرقاء ومنطقة جبال مؤاب والشرارة وعجلون والأغوار.

وقد شغف سلاطين المماليك والأمراء برياضة الصيد، فكانوا يخرجون الى مواضع خاصة للمارسة هذه الهواية في البرية بمنطقة شرقي الأردن في فصل الربيع. واشتهر من هؤلاء الظاهر بيبرس والناصر محمد بن قلاوون والناصر أحمد ابن محمد بن قلاوون والأمير تنكز نائب دمشق الذي كان يخرج للصيد في الأزرق والبلقاء^(٧٥). وقد استخدموا الكلاب والصقور والشواهين في صيد الحيوانات وأنواع الطيور المختلفة^(٧٦) وكان يتوافر في الكرك في العصر المملوكي رجال خبراء بالصيد ومضانه، لذا كانوا يستأثرون بحجة السلاطين ويخرجون معهم للصيد^(٧٧)، ومنهم من مهر بالصيد حتى لقب (بصياد الغزلان)^(٧٨).

٣ - لعبة الكرة، البولو: Polo

شاعت لعبة الكرة أو الكرة في عصر دولة المماليك، وأولع بها السلاطين والأمراء ومارسوها باعتبارها إحدى ألعاب الفروسية المشهورة. فأعدوا لها

-
- (٧٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٥، ١٨٠ - ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٣٤٩ - المقيزي: السلوك، ج ٢ ص ٦٧٦، ٧٨٤.
- (٧٥) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٩ ص ١٦١ - البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ١ ص ٥٠٩ - ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢ ص ٢٣٨ - المقيزي: السلوك، ج ٢ ص ٧٨٤.
- (٧٦) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٩ ص ١٧٠ - ابن شاهين: زبدة كشف المالك، ص ١٢٧.
- (٧٧) ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٢٢ - العيني: عقد الجمان، ج ٢٢ ق ١ لوحة ١٠٩ مخطوط - أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٢٠٩.
- (٧٨) وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩ بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

الميادين المخصصة لذلك، ووضعوا لها نظاماً للعبة، وأوقاتاً معينة لممارستها، كما جهزت الخيول الأصيلة من أجل هذه الغاية. وكان يشرف عليها موظفون يسمى الواحد منهم بالجوكندار، وهو حامل الجوكان، أو عصا البولو، والجوكان عبارة عن عصا مدهونة طولها أربعة أذرع، وينتهي رأسها بجشبة مخروطية الشكل محدودة، طولها حوالي نصف ذراع، يمسكها اللاعب وهو على ظهر فرسه ليضرب بها الكرة^(٧٩). وكان لهذه اللعبة ميدان خاص بالكرك، كان يلعب فيه السلطان الملك السعيد بن الظاهر بيبرس سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م)، فتقنطر عن فرسه وحمل ثم مات على أثر ذلك^(٨٠). وقد أعاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إعداد هذا الميدان وتنظيمه وتوسيعه^(٨١).

ب - الاحتفالات:

١ - الولائم:

من مظاهر الأبهة والعظمة التي يتسم بها عصر دولة المماليك، الولائم العظيمة والأسمطة الفاخرة، التي كان يقيمها السلاطين والأمراء في المناسبات الخاصة. ومن أمثلة ذلك السباط الذي أقامه الملك الناصر داود سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م)، في اللجون بشرقي الكرك، احتفاءً بمقدم عمه الملك الكامل سلطان مصر. فنصب خيمة كبيرة طرزت جدرانها بالنقوش الرائعة والصور البديعة، وذبحت فيه أعداد كبيرة من: البقر والغنم والخيل والجمال، وجهزت أنواع عديدة من الأطعمة من بينها «أبراج من الحلوى عظام». وجرت العادة أنه بعد أن ينتهي السلطان من تناول الطعام يسمح للعامة بنهب السباط، في محضر من السلطان والأمراء فعندما يشاهدون ذلك المنظر يضحكون^(٨٢). وعند قدوم الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م)، عمل الأمير جمال الدين

(٧٩) ابن اياس: صفحات لم تنشر من بدائع الزهور، ص ٢٩ حاشية رقم ١.

(٨٠) ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢ ص ٢٢٧ - المقيزي: السلوك، ج ١ ص ٦٦٩.

(٨١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٢٦٧.

(٨٢) ابن واصل: مفرج الكروب «تاريخ الواصلين» لوحة ٢٧٨ «مخطوط».

آقوش نائب الكرك ضيافة للسلطان، ومد له سباطاً والولائم تمد في الاحتفالات الخاصة بالاعذار أو الأعراس^(٨٣).

٢ - المواكب:

اعتاد النائب أن يخرج في موكب فخم وتجميل عظيم الى خارج المدينة مرتين في الأسبوع، يحيط به الأمراء والأجناد وتحف بهم الطبلخاناه على طبولها بنغيات خاصة. ويخرج الناس في هذين اليومين للاستمتاع بمشاهدة الموكب. وكان مثل هذا الموكب يتكرر عادة عندما يلبس النائب خلع السلطن أو عند ورود مرسوم سلطاني بتجديد نيابته. وتقام الاحتفالات كذلك في موسم خروج الركب الكركي الى الحج وعند عودته. أو عند استقبال السلاطين، خاصة بعد عودتهم من الحج وفي هذه المناسبة الأخيرة كان الناس يخرجون للقائه في مؤتة، وتقام الزينات وترفع الأعلام على أسوار القلعة والمدينة، ويلقاه الناس بالهتاف والدعاء، والغناء وقرع الدفوف. وزيادة في الحفاوة كان يرمي أمامه بالهانيق، كما حدث عند استقبال السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد عوته من الحج سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م)^(٨٤).

ج - الأزياء:

كان سكان منطقة شرقي الأردن يتجملون في ملابسهم، وقد شاع في القرى استخدام الدراعة^(٨٥)، وأطلق عليها أحياناً اسم الجبة أو الفرجية^(٨٦) ولبسوا أيضاً الكوامل المفرجة الواسعة الأكمام^(٨٧)، أما لباس الرأس فلا يعدو الهائم

(٨٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ٤٧.

(٨٤) العيني: عقد الجمان، ج ٢٣ ق ١ لوحة ٢ «مخطوط» - ابن بهادر: فتوح النصر، لوحة ٤٩١ «مخطوط».

(٨٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٣.

(٨٦) ماير: الملابس الملوكية، ص ٣٠.

(٨٧) الكاملية المفرجة كانوا يلبسونها فوق ثيابهم، وتكون ضيقة عند الكم، مفرجة الذيل من خلف. تبدأ من الحافة السفلى مرتفعة الى أعلى. (أنظر: ماير: الملابس الملوكية، ص ٢٥).

البيضاء للمسلمين والنصارى معا، وبعضها بلثامين^(٨٨)، وكانوا يتمنطقون بالسيف البداوي ذي الحدين^(٨٩). وبينما كانوا يتخفون في الصيف، فقد كانوا يلبسون الملابس الثقيلة من الصوف والفراء في الشتاء ولهذا وجد سوق للفرايين في مدينة عجلون. وكانوا يضمنون في أرجلهم الأخفاف والزرابيل^(٩٠). أما في البيت فكانوا يستخدمون القباقيب^(٩١) المصنوعة من الخشب لسهولة الوضوء والغتسال^(٩٢).

د - الأطعمة:

اختصت منطقة شرقي الأردن بأصناف شتى من الأطعمة، نذكر منها: الدبس المستخرج من العنب، والكشك^(٩٣)، والبرغل، والسماق^(٩٤)، وهو ثمرة شجرة تنمو في جبال الأردن، حمراء صغيرة بحجم حبة العدس أو أكبر قليلا،

(٨٨) المقرئزي: السلوك، ج ٢ ص ٦٠٩، ج ٣ ص ٦١٠ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٦٧ - ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ١ لوحة ٢٦ «مخطوط».

(٨٩) السيف البداوي: سيف مستقيم ذو حدين، يطلق على الكتف بجزام، ويسمى بالسيف العربي أيضاً - وكان يستخدمه الممالك في أغراض الاحتفالات الرسمية. (أنظر: ماير: الملابس الملوكية، ص ٧٩).

(٩٠) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ١ لوحة ٦٧ «مخطوط». الاخفاف: لباس للرجل مصنوعة من الجلد، بعضها برقبة طويلة، تشد المهاميز في مؤخرتها، (أنظر: ماير: الملابس الملوكية، ص ٣٤ - حاشية رقم ٢ - عبد الرحمن زكي: ملابس الجيش المصري، ص ١٣) - والزرابيل مفردتها زربول وهو لباس للرجل ما زال يستخدمه رجال البادية لأن مكشوف من أعلى.

(٩١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ١٥٧.

(٩٢) ما زالت القباقيب تستخدم لهذه الأغراض في بلاد الشام وفي مصر أيضاً.

(٩٣) الكشك: ويصنع عادة من البرغل واللبن ويجفف في الشمس. يذكره الفلاحون وهو غالب طعامهم في فصل الشتاء. والأغنياء يطبخونه باللحم والسمن، ويعملون منه شوربة الكشك، (أنظر: القاسمي: قاموس الصناعات النامية، ج ٢ ص ٣٨٨).

(٩٤) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٣٢ - ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ٣٣٧ - البديري: حوادث دمشق اليومية، ص ١٩٩.

تتشر وتطحن وترش على الطعام مع الملح، وهو شائع الاستعمال حتى الآن، والزلابية، وهو عجين مقلي بالزيت، وكان عملها يكثر في موسم عصير زيت الزيتون. أما الخبز فكانوا يجربونه في الطوابين^(٩٥)، أو التنور الذي يحمى بالأخشاب أو الزبل، وتطرح الأُرغفة فوق الحصى في داخله، أو تثبت على جوانبه^(٩٦).

ومن الأكلات التي كانت شائعة في العصر المملوكي (المنسف)^(٩٧)، ويتكون من اللحم المطبوخ في اللبن الرائب، وتوضع رقائق الخبز في إناء واسع (صينية كبيرة من النحاس)، ويطح فوقه الأرز أو البرغل، ثم يغطى الجميع بقطع اللحم الكبيرة والسمن واللبن الذي طبخ به اللحم^(٩٨). وبعد الطعام كانوا يجتسون القهوة المعدة من البن اليمني، وصنعوا الأجران الخشبية (المهايش) لدقه^(٩٩) واستعملوا المكسرات من: الجوز واللوز الذي كان يكثر في جبال مؤاب وأودية حسيان والكرك وعجلون^(١٠٠). وكان لحب الرمان منزلة خاصة في عصر دولة الماليك وفرضت جبايته من الأهالي حتى أن المتأخر منه على الأهالي في بلاد الشام سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) بلغ ألفاً وستمائة رطل^(١٠١). وقد اشتهرت أودية شمال الأردن (الكفارات) وعجلون والصلت والكرك والشوبك بالرمان^(١٠٢). وكانوا ينقلون الأسماك من العقبة التي اقتصت بصيدها وتوزيعها^(١٠٣)، على جميع

(٩٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٣.

(٩٦) ولا زال الطابون مستعملاً في العديد من القرى الأردنية والشامية.

(٩٧) العيني: عقد الجمان، ج ٢٢ ق ١ لوحة ١١٥ «مخطوط».

(٩٨) ولا تزال هذه الأكلة شائعة مستعملة للآن في الأردن، وتعتبر من الأكلات الشعبية المشهورة.

(٩٩) من الأشربة البريئة التي وجدت لدى المسلمين: القهوة. وظهر استخدامها منذ أيام الأمويين (أنظر: عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص ١٣٥).

(١٠٠) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٨ - ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ١ لوحة ٩ «مخطوط» - ابن اياس نسق الأزهار في عجيب الأقطار، لوحة ٤٢ «مخطوط».

(١٠١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٣ ص ٣٠٨.

(١٠٢) ما زالت هذه المناطق تشتهر به حتى اليوم.

(١٠٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٨.

المدين الأردنية، ففي حفريات حسابان عام ١٩٧٣ م وجدت بين الأنقاض عظام
بعض هذه الأسماك^(١٠٤). واستخدموا الثلج في الأشربة الحلاة وعند شربهم للماء،
وخصوصاً في فصل الصيف.



Andrews University,

(١٠٤)

Seminary Studies, vol. xl, 1973. P. 73.

الفصل الخامس

الحياة العلمية

- ١ - نشاط الحركة العلمية في الاردن في عصر دولة المماليك الاولى.
- ٢ - المؤسسات العلمية:
 - أ - المدارس.
 - ب - البيارستانات.
- ٣ - ازدهار العلوم اللغوية والدينية:
 - أ - في مجال الحديث.
 - ب - في علم القراءات.
 - ج - في مجال الفقه.
 - د - في التصوف.
 - هـ - في القضاء.
- ٤ - الحركة الادبية:
- ٥ - العلوم العقلية.

(١)

نشاط الحركة العلمية في الاردن في عصر دولة المماليك الاولى

غرس سلاطين بني أيوب ومنهم المعظم عيسى وابنه الناصر داود في الاردن البذور الاولى للحركة العلمية، فأحاطا نفسيهما بطبقة ممتازة من العلماء والفقهاء وليس ذلك مستغرباً من شخصية مستنيرة كشخصية المعظم عيسى الذي برع في الأدب وألف وصنف في الفقه والعروض، وقدم الجوائز للعلماء والمتفوقين^(١) حتى سمي بحق (مأمون بني أيوب). أما الناصر داود فكان أديباً شاعراً يمتاز شعره بالصدق والاصالة والابداع، وقد حفظت لنا كتب التراث بعضاً من أشعاره. وبالإضافة الى المزايا الشخصية لهذين السلطانين، امتاز العصر الايوبي بانتشار المدارس، وهي مؤسسات علمية دينية استهدفت القضاء على المذهب الشيعي الذي خلف في الشام بوجه خاص جيوباً بعد انقراض الدولة الفاطمية وحظيت منطقة شرقي الاردن بالعديد من هذه المؤسسات العلمية (وأعني بها المدارس)، حتى أصبحت الكرك في زمن الناصر داود قبلة العلماء والادباء في بلاد الشام. وحوط الناصر داود نفسه بشخصيات بارزة من شيوخهم وفحولهم نذكر منهم: الشاعر الأديب فخر القضاة نصر الله ابن هبة الله بن عبد الباقي الغفاري المعروف بابن بصاقة (ت ٦٥٠هـ)^(٢)، والحكيم العالم الفيلسوف شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي (ت ٦٥٢هـ)^(٣) والطبيب سديد الدين أبو منصور

(١) ابن قطلوبغا: تاج التراجم في طبقات الحنفية، ص ٤٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٣ ص ١٨٤ - ويذكر السيوطي أنه توفي سنة ٦٤٦هـ (حسن المحاضرة، ج ١ ص ٥٦٧).

(٣) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج ٢ ص ١٧٣ - السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥ ص ٦٠.

ابن موقق الدين بن القف، والمؤرخان سبط بن الجوزي صاحب كتاب مرآة الزمان (ت ٦٥٤ هـ) وابن واصل صاحب كتاب مفرج الكروب (ت ٦٩٧ هـ) وغيرهم كثير.

وأدت سياسة الايوبيين في الاردن الى ارتقاء واضح في الحياة الثقافية في بداية عصر المماليك، وتألقت في مجال الدراسات الأدبية والعلمية يتمثل في ظهور العديد من العلماء والفقهاء والادباء في ذلك العصر. غير أن من الصعب علينا في دراستنا للحياة العلمية في شرقي الاردن أن نفصل هذه الحركة في هذه المنطقة عن نظائرها في كل من: القاهرة ودمشق، فبلاد الشام ومصر في العصر المملوكي الاول دولة واحدة سلطانها يقيم في القاهرة، ولكنه يتخذ لدولته حاضرة ثانية مقرها دمشق التي تمثل مركز الثقل الثاني للدولة المملوكية، ولهذا السبب كان لزاماً على طلاب العلم في كل الأقطار الرحلة الى دمشق والقاهرة اللتين استقطبتا فحول العلماء والفقهاء والادباء في ذلك العصر للأخذ عنهم وسماعهم. ولهذا السبب أيضاً كان علماء منطقة شرقي الاردن على اتصال وثيق بعلماء كل من دمشق والقاهرة، وان كان استثنائهم بعلماء دمشق لقرهم منها يفوق علماء القاهرة، وأدى ذلك الى توجيههم الى دمشق واستيطانهم لها واقامتهم فيها، وهناك أسوا عائلات علمية عريقة، نذكر منها: آل الحسابي نسبة الى مدينة حساب، وآل الباعوني نسبة الى قرية باعون القريبة من عجلون، وكانت لآل الباعوني قبة داخل المسجد الاموي سميت (القبة الباعونية)^(٤).

ولا جدال في أن العصر المملوكي كان عصر النهضة العلمية والثقافية في منطقة شرقي الاردن، ففيه أقيمت المدارس في كل مدنها، وأصبحت الكرك احدى المراكز الثقافية الهامة في بلاد الشام ينتجعها طلاب العلم للأخذ على شيوخها وفقهائها، والاستماع إليهم واجازتهم^(٥)، من هؤلاء: أحمد بن محمود كمال

(٤) المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، الجزء الأول، ص ١١٢.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٦ ص ١٠٦ - النيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ٦٧

ابن طولون: رسائل تاريخية، رقم ٢ ص ٧.

الدين أبو العباس بن العطار « حدث بصحيح البخاري بالكرك بالاجازة سنة سبعمائة»^(٦)، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي العباس بن مالك الكركي، ذكره ذكره ابن الجزري حيث قال: «وتصدر بالكرك، وكنت سمعت به بالكرك فقصدت الرحلة إليه»^(٧). وبلغ من ازدهار الحركة العلمية في منطقة شرقي الاردن أن أصبحت مدنها وقراها مراكز عطاء واشعاع علمي وثقافي، انتشر عطاؤها في جميع أنحاء بلاد الشام والديار المصرية يخدمون العلم، ويتقلدون مناصب التدريس والقضاء فنجدهم في: دمشق وحلب، وطرابلس وحماه وحمص وبعلبك وصفد ونابلس والخليل والقدس والناصره وغزة والرملة والقاهرة والاسكندرية، والحلة، ودمياط وغيرها كثير^(٨). حتى إن قضاء دمشق صار يتعاقب عليه القضاة من عائلة الحسابي أو الباعوني، أو من سمي بالصليقي أو العجلوني^(٩)، ومن الجدير بالذكر أن منصب القضاء في عهد السلطان الملك الظاهر برقوق في كل من القاهرة ودمشق تقلده قضاة من الاردن. ففي سنة ٥٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م)، تولى القاضي عماد الدين أحمد بن عيسى المقيري الكركي منصب قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية، وفي نفس السنة تولى أخوه القاضي علاء الدين علي بن عيسى المقيري الكركي كتابة سر مصر^(١٠). وفي سنة ٥٧٩٣ هـ (١٣٩٠ م) وتلى الظاهر برقوق أيضاً شهاب الدين أحمد بن ناصر بن

(٦) الصفدي: الوافي بالوافيات، ج ٨ ص ١٦٧.

(٧) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١ ص ٣٦٦.

(٨) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٢١٤ - ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الجمان، ج ٤ ص ٩٧ - ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١ ص ٢٩٧ - أبو الحسن: المنهل الصافي، ج ١ ص ١٣٩ - النعمي: المدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ١٦٧، ١٦٨ - الحنبلي: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ٢ ص ٤٧٠.

(٩) المقريزي: السلوك، ج ٣ ص ١٠٨١، ١١٦٨، ج ٤ ص ١٤.

(١٠) المقريزي: السلوك، ج ٣ ص ٩٤١، ٩٩٢ ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر، ج ١ ص ٩٢ -

أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٢ ص ٧، ١٢ - ابن الصيرفي نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٣٠٥، ٣٠٦ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٦٠ - السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٢٣٥.

خليفة بن فرج الباعوني منصب قاضي القضاة الشافعية بدمشق. وفي سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م)، تولى شهاب الدين الباعوني أيضاً منصب قاضي القضاة بالديار المصرية^(١١). حتى إن القاضي عماد الدين الكركي خوطب في عصر دولة المماليك بالجناب العالي، فأبو الحسن يقول: «وهو أول من كتب له الجناب العالي من المتعممين، وما كان يكتب ذلك الا للوزير بديار مصر فقط»^(١٢). وهكذا يتبين لنا أن منطقة شرقي الاردن شاركت في تنشيط الحركة العلمية في عصر دولة المماليك الاولى وأن علماءها في الفقه والعلوم كانوا مطلوبين في مصر والشام وأنهم انتشروا في كل البلاد وشاركوا بعلمهم في تقدم الحياة العلمية في البلاد.



(١١) ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر، ج١ ص١٠٩ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج١٤ ص١٤٤ - السخاوي: الذيل على رفع الأصر، ص١٠٥، ١٠٦، والضوء اللامع، ج٢ ص٢٣١ - السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢ ص١٧٣ - ابن طولون: قضاة دمشق، ص١٢٢.

(١٢) المقرئزي: السلوك، ج٣ ص٧٤٤ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج١٢ ص٢٧.

(٢)

المؤسسات العلمية

أ - المدارس:

ازدهرت الحركة العلمية في عصر دولة المماليك الاولى بسبب موقف سلاطينهم الايجابي من الحركة ، فقد شملوا رجال العلم برعايتهم وأسبغوا عليهم فيضاً من تشجيعهم فأكثروا من انشاء المؤسسات العلمية باعتبارها عملاً من أعمال البر والخير يتقربون به الى الله ، أكثر من كونها ضرورة اجتماعية^(١٣) . ولم يكن انشاء المدارس وفقاً على السلاطين بل شاركهم في هذا الثواب الامراء والاثرياء وكبار رجال الدولة ، فانتشرت المدارس في جميع أنحاء الديار المصرية والشامية ، ووقفت عليها الأوقاف العديدة لدفع رواتب المدرسين الذين بلغ عددهم في احداها ثلاثين مدرساً ، والانفاق على الطلاب وما يستهلكه التدريس في المدارس من ماء واطباء وأثاث^(١٤) .

فكانت المدرسة في العصر المملوكي داراً للعلم ومركزاً للعبادة وملجأً للمعوزين فيجد فيها المعلم والمتعلم والعايد والمرتاد ، وحتى أبناء السبيل المأوى والغذاء المادي والروحي فضلاً عن راتب معلوم نقداً وعيناً . وقد وصلت إلينا تفاصيل الانفاق على العاملين والمتعلمين في بعض هذه المدارس ، في وثيقة وقف الأمير صرغتمش في ٢٧ رمضان ٧٥٧ هـ^(١٥) .

(١٣) ابراهيم طرخان: النظم القطاعية، ص ٣٢٤ .

(١٤)

Ziadeh, Urban life in Syria, P. 155

(١٥) كان يصرف على المدرس في مدرسة الأمير صرغتمش في كل شهر ثلاثمائة درهم . ومن الزيت =

وكانت المدارس في ذلك العصر أشبه بالمعاهد العليا أو الجامعات في عصرنا الحاضر^(١٦)، فهيئة التدريس تكون عادة من المدرس والمعيد والمفيد والمنتهي. أما المدرس فهو أعلى عضو في هيئة التدريس، ويكون عادة من العلماء المشهورين المتمكنين من مادتهم «وعليه أن يحسن إلقاء الدرس وتفهمه للحاضرين، ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدرّبهم ويأخذهم بالاهون فالاهون إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق، وإن كانوا منتهين، فلا يلقي عليهم الواضحات بل يدخل بهم في مشكلات الفقه ويخوض بهم عبا به الزاخر»^(١٧). ويشترط فيه أيضاً أن يستعمل في تدريس طلابه «الذكر والفكر والحواس»^(١٨). أما (المعيد) فمهمته إعادة شرح الدرس للطلاب، وتوضيح ما غمض عليهم من نقاط، ويقوم (المفيد) بتكرار الشرح والتوسع فيه لتم الفائدة وترسخ المادة في أذهانهم، أما (المنتهي) فمهمته مناظرة الطلاب ومناقشتهم باستمرار خلال الدروس، لأنه أكثر المأمّأ من زملائه الذين لم ينهوا تحصيلهم بعد^(١٩).

وكان بعض هذه المدارس توقف لتدريس فن معين كالتفسير أو الحديث أو الفقه أو النحو، أو تدريس مذهب معين، على هذا الأساس كانت العلوم التي تدرس بها ترتبط بأصول الدين أو العلوم اللغوية. ولكن الكثير من هذه المدارس كانت تتولى بالإضافة إلى ما سبق تدريس العلوم العقلية: كالفلسفة،

= الطيب خمسة أرتال، ومن الصابون خمسة أرتال. وفي شهر رمضان من كل سنة خمسة أرتال سكر. أما المعيد فيصرف له سبعون درهماً في الشهر ورتلان ونصف من الزيت، ورتلان من الصابون، أما في شهر رمضان من كل سنة فيصرف ثلاثة أرتال سكر. أما الطلبة فيصرف لهم شهرياً خمسة وخمسون درهماً، ورتلان ونصف من الزيت، ورتلان من الصابون، وفي شهر رمضان من كل سنة رتلان من السكر. ما عدا ما يصرّف على العاملين الآخرين في المدرسة. (أنظر: وثيقة الأمير صرغتمش، الأرشيف التاريخي بوزارة الأوقاف بالقاهرة رقم ٣١٩٥).

(١٦) سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٥٠ - إبراهيم طرخان: النظم الاقطاعية، ص ٣٢٦.

(١٧) السبكي: معيد النعم ومبيد النعم، ص ١٥١، ١٥٢.

(١٨) ابن عبد الظاهر: تشرّيف الأيام والمصور، ص ٢٢٧.

(١٩) السبكي: معيد النعم ومبيد النعم، ص ١٥٥.

والمنطق، أو العلوم العملية: كالفلك وعلم الهيئة والكيمياء والطب^(٢٠). ووجدت في كل مدرسة خزانة كتب يتولاها قيم (مشرف)، يوصف بالامانة والاخلاص، ومن اختصاصاته صيانة الكتب والمحافظة عليها، وتجليد ما تفكك منها، كما كان يتولى الاشراف بدقة على نظام الاعارة، وذلك نظير راتب شهري يبلغ في بعض الأحيان خمسين درهماً^(٢١).

وتعطل المدارس مدة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً هي شهور رجب وشعبان ورمضان وعشرين يوماً من شوال. وتقتصر الدراسة على أربعة أيام في الاسبوع هي: السبت والاحد والثلاثاء والاربعاء، ويسجل كاتب الغيبة أسماء الطلاب الغائبين، فان غاب الطالب ثلاثة أيام في الاسبوع وتكرر ذلك منه بدون عذر مقبول، فصل ووضع مكانه طالب آخر^(٢٢).

أما التعليم في المراحل الاولى، فتقوم به الكتابيب (المدارس الأولية)، التي يعمل فيها (المؤدبون) ويعاونهم العرفاء، ويشترط في المؤدب أن يكون من أهل الصلاح والعفة والامانة، حافظاً للقرآن، حسن الخط له دراية بالحساب، ويفضل أن يكون متزوجاً، ولا يفسح لعازب أن يفتح مكتباً لتعليم الصبيان إلا أن يكون شيخاً كبيراً اشتهر بالدين والخير. وتقتصر مهمة المؤدب على تعليم الصغار السور القصار من القرآن، بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل، ويدرجهم في ذلك. وعليه أيضاً أن يعلمهم عقائد السنن وأصول الحساب وتجويد الخط، والصلاة في سن السابعة ومجتهم على طاعة الوالدين، ومكارم الأخلاق وكان يسمح له بضرب الصبيان بعضا على الآلية والافخاذ وأسافل الرجلين عند اساءة الأدب والفحش في الكلام والتصرفات السيئة بالآداب، إلا أنه يحظر على المؤدب استخدام الصبيان في قضاء حوائجه وأشغاله^(٢٣).

(٢٠) السبكي: المصدر السابق، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٢١) وثيقة الأمير صرغتمش، الارشيف التاريخي بوزارة الأوقاف بالقاهرة رقم ٣١٩٥، السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٥٩.

(٢٢) وثيقة الأمير صرغتمش - السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٥٧.

(٢٣) ابن الأخوة: معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ١٧٠، ١٧١.

وكان بعض الكتابيب يقام فوق الاسبله، والسبيل يتكون عادة من طابقين، الأدنى منها يشتمل على مورد للماء العذب يستقي منه الناس، أما العلوي فيستخدم (كتاباً) وقد أقبل الناس على الاكثار من بناء هذه الاسبله في عصر المماليك كعمل من أعمال البر، وحسبوا عليها الأوقاف للصرف على التلاميذ ومعلميهم، وتوفير ماء الشرب لعابري الطريق^(٢٤). وقد تبقى في الكرك أحد هذه الاسبله، جدد بناءه قاضي الكرك عماد الدين أحمد بن عيسى المقيري (ت ٨٠١هـ) (١٣٩٨ م) وقد عثر على لوحة بقلعة الكرك تثبت ذلك نقش عليها:

جدد هذا السيل
أحمد بن عيسى الحاكم
بالكرك سنة ثنتين وسبعماية^(٢٥)

هذا وقد حظيت منطقة شرقي الاردن بعدد كبير من المدارس ورد ذكرها فيما وصلنا من مصنفات تاريخية، إلا أنه لم يتبق للأسف شيء منها في الوقت الحاضر وفيما يلي بيان لبعض هذه المدارس:

١ - المدرسة الشافعية في الكرك:

بناها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١١هـ (١٣١١ م)، بعد عودته الى سلطنته الثالثة، وعهد بهذه المهمة الى الامير سنجر بن عبد الله الجاولي^(٢٦) (ت ٧٤٥هـ).

٢ - مدرسة صرغتمش في عمان:

أمر بإنشائها الأمير صرغتمش الناصري (ت ٧٥٩هـ)، نائب السلطنة بالديار المصرية سنة ٧٥٧هـ (١٣٥٦ م)، وخصصها لتدريس المذهب الحنفي أسوة بالمدرسة التي أقامها في القاهرة نفس السنة، وقد وصلت إلينا وثيقة وقف

(٢٤) محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي، ص ٥١.

(٢٥) دائرة الآثار العامة - قسم التسجيل عمان - الأردن.

(٢٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٢٦٦.

مدرسته بالقاهرة ومن المعروف أن الأمير صرغتمش أظهر اهتماماً خاصاً بمدينة عمان ، فنقل إليها الولاية والقضاء من حسان وجعلها أم تلك البلاد^(٢٧).

٣ - المدرسة السيفية في الصلت:

انشأها الامير سيف الدين بكتمر الحسامي (ت ٧٢٩هـ) ، صاحب الاوقاف الكثيرة في كثير من البلاد^(٢٨) لتدريس المذهب الشافعي ومن الذين عملوا في هذه المدرسة الفقيه شهاب الدين بن سليمان بن داود الكوراني الشافعي (ت ٧٨٤هـ) وكانت هذه المدرسة تضم خزانة كبيرة للكتب ، وقف الفقيه شهاب الدين بن سليمان اعداداً منها لخدمة طلاب الصلت المشتغلين بالعلم^(٢٩).

٤ - المدرسة اليقينية في عجلون:

نقل إلينا النويري ذكر هذه المدرسة في احداث السيل الذي اجتاح مدينة عجلون في ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٨ م) واخراجه للمدرسة المذكورة^(٣٠).

٥ - مدرسة حسان:

تعلم في هذه المدرسة القاضي شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد الهكاري الصلتي (ت ٧٨٦هـ) ، على يد والده الذي كان يشغل وظيفة مدرس فيها ، ثم اشتغل شمس الدين محمد نفسه مدرساً في هذه المدرسة فيما بعد^(٣١).

(٢٧) المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٣٠.

(٢٨) سيف الدين بكتمر الحسامي: تولى الوزارة ثم الحجوبية بدشق، ثم نيابة غزة، ثم نيابة صفد وبقي فيها حتى سنة ٧٦٨هـ (١٣١٨ م) فعزله الناصر محمد بن قلاوون ثم عينه في منصب الوزارة في مصر، وترقى الى مرتبة حجوبية الحجاب في الديار المصرية. كانت له الأملاك الكبيرة في كل مدينة، منها سوق الخليج وقيصرية التجار بمدينة عجلون (أنظر: النويري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩١، ٩٢ «مخطوط» - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٩ ص ٢٧٨، ٢٧٩).

(٢٩) النيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ٢٧٥، ج ٢ ص ١٠٤.

(٣٠) النويري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩٢ «مخطوط».

(٣١) ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١ ص ٢٩٧.

ب- البيهارستانات:

من مفاخر الحضارة العربية التي سبقت بها غيرها من الحضارات (البيهارستانات) تلك المنشآت المدنية ذات المنافع العامة التي توفر العلاج للشعب « وتحفظ الصحة والعافية على كل مهجة » (٣٢). وإذا كان الخليفة الاموي الوليد ابن عبد الملك هو أول من بنى البيهارستانات في الاسلام داراً للمرضى (٣٣). فان صلاح الدين وخلفاءه من البيت الايوبي هم أول من استكثر منها من السلاطين والملوك واهتموا بدراسة الطب اهتماماً بالغاً وقاية لاهل البلاد من الاوبئة والطواعين، وكانت الكرك في عهد الملك الناصر داود احدى مراكز تدريس الطب في بلاد الشام، درّس فيها العالم الكبير شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي العلوم الطبية، وتخرج على يديه عدد كبير من الاطباء نذكر منهم على سبيل المثال الحكيم الاجل سديد الدين أبو منصور بن موفق الدين بن يعقوب بن القف (٣٤).

كان البيهارستان في العصر المملوكي الأول ينقسم عادة الى أربعة أقسام كبيرة: قسم للجراحة، وقسم للحميات، وقسم للرمد، وقسم للنساء. وكان يخصص لكل مريض تحت مستقل لنومه، وكانت تحوت المرضى الجدد تفرش بالفرش العتابي واللحف العتابي (٣٥) ويشرف على علاج المرضى في كل بيهارستان عدد كبير من الاطباء بلغ في احداها (في العصر الايوبي) ستين طبيباً (٣٦). كذلك خصص لكل بيهارستان عدد من الصيادلة لاعداد الأدوية المركبة وتوزيعها على المرضى وفقاً لما يراه الاطباء.

والبيهارستانات منشآت عامة كبيرة تقوم الدولة عادة بانشائها، إلا أننا نرى

(٣٢) ابن عبد الظاهر: تشریف الايام والمصور، ص ٢٢٩.

(٣٣) السخاوي: تحفة الأحياب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات، مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية، لوحة ٤٥.

(٣٤) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٢ ص ٢١٦.

(٣٥) ابن عبد الظاهر: تشریف الايام والمصور، ص ١٢٧.

(٣٦) بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين، ص ١٣٤ - ١٣٥.

أن الامراء والنواب يتولون انشاء بعضها في حالات خاصة كالبيارستان الذي أنشأه الأمير تنكز نائب دمشق في صغد (ت ٧٤١هـ)، ووقف عليه أوقافاً كبيرة من جلته قيسارية للتجار في مدينة عجلون^(٣٧).

وكان العلاج يباح في البيارستانات لكل طوائف الشعب شريفهم ومشروفهم أميرهم ومأمورهم، غنيهم وفقيرهم^(٣٨)، كما كانت تخصص للانفاق عليه الاوقاف الكثيرة، ولنا أن تتمثل صورة للخدمة في هذه البيارستانات ما ذكره ابن شاهين عن البيارستان النوري في دمشق. ففي سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٨ م)، كان بصحبته شخص عجمي من أهل الفضل والذوق قاصداً الحج، فلما رأى البيارستان، وما فيه من الخدمة الممتازة، «قصد اختبار حال البيارستان المذكور، فتضاعف واقام به ثلاثة أيام، ورئيس الطب يتردد إليه ليختبر ضعفه، فلما جس نبضه، وعلم حاله، وصف له ما يناسبه من الأطعمة الحسنة، والدجاج المسمنة، والحلوى والاشربة والفواكه المتنوعة، ثم بعد ثلاثة أيام كتب له ورقة من معناها أن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام، وهذا في غاية الحداقة والظرافة»^(٣٩).

بالاضافة الى علاج المرضى، كان البيارستان يؤدي رسالة علمية لها أهميتها إذ كان في نفس الوقت مركزاً لتعليم الطب وتدريبه^(٤٠). وكان طلبة الطب يقسمون الى فرق، يتخصص كل منهم في فن معين فمنهم «جماعة طبائعية وطائفة كحالين، وجراحية، وقوماً مجبرين»^(٤١). وفريق يعمل بالصيدلة فيتعلمون أسماء الحشائش وكيفية طبخها وتحضير العقاقير منها.

ومن المعروف أنه اقيمت في منطقة شرقي الاردن في العصر المملوكي عدة بيارستانات منها بيارستان أمر بانشائه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالكرك

(٣٧) النوري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩١ «مخطوط» - ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤

ص ١٨٧ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٩ ص ١٥٨.

(٣٨) ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والمصور، ص ٢٢٩.

(٣٩) ابن شاهين: زبدة كشف المالك، ص ٤٥.

(٤٠) ابن عبد الظاهر: تشريف الايام والمصور، ص ٢٢٩.

(٤١) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٢٣٠.

وعرف بالبيارستان الناصري، وعهد ببناؤه الى الامير سنجر بن عبد الله الجاولي(٤٢)، ولا شك أن هذا البيارستان أدى خدمات جليلة الى الاهالي فبالاضافة الى مهمته الاساسية وهو علاج المرضى كان مدرسة لتدريس العلوم الطبية كما هو متبع في غيره من البيارستانات الاسلامية في عصر دولة المالك.



(٤٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٢٦٦.

(٣)

ازدهار العلوم اللغوية والدينية

حظي أولو العلم بمنطقة شرقي الاردن بالعلوم الدينية: كالحديث والقراءات وعلوم القرآن، والتفسير منذ وقت مبكر بعناية خاصة وصنفوا فيها الكتب العديدة، كما شاركهم في ذلك عدد من المهتمين لم يصنفوا التصانيف، ولكنهم شاركوا في احياء العلوم الدينية عن طريق التدريس، وتولي المناصب الدينية الرفيعة في الدولة. وقد نبغ العديد من رجالات الاردن في شتى العلوم والفنون، وشاركوا بمؤلفاتهم وأبحاثهم في النهوض بالحياة العلمية في البلاد في عصر دولة المماليك وفيما يلي دراسة لأهم هؤلاء العلماء في مجالات العلوم الدينية واللغوية المختلفة:

أ - في مجال الحديث:

١ - اسماعيل بن خليفة بن عبد العالي الحسباني الشافعي. أخذ العلم في بلده ثم رحل منها لطلب العلم. فقدم القدس وتفقّه على علمائها، ثم استقر في دمشق، وأكّب على الدراسة والتحصيل، حتى انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي. وقد اشتغل بالتدريس في المدرسة القتيبية والجاروخية، والامينية بدمشق، وأعاد وأناب في القضاء وحدث، قال عنه ابن حجر: «أحد أئمة المذهب المشار إليهم بمجودة النظر، وصحة الفهم وفقه إلتفسير والذكاء وحسن المناظرة والبحث والعبادة»^(٤٣)، ومن مؤلفاته: «شرح

(٤٣) ابن قاضي شهبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢ لوحة ٢٣٩ «مخطوط».

المنهاج في عشرة مجلدات ، ، وقد احترق هذا الكتاب في كتب ولده عند غزو تيمورلنك لدمشق ، وشاهد ابن قاضي شعبة نسخة منه . وشرع في تكميل شرح المذهب الا أن النية عاجلته ، فتوفي في دمشق في ذي الحجة ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م) . وقد وصف اسماعيل بالدين والتواضع والعلم^(٤٤) ، وكان « بارعاً في الفقه والاصول ، مسارعاً الى العمل بما علم من قون الله ورسوله »^(٤٥) .

٢ - أحمد بن اسماعيل بن خليفة بن عبد العالي الحسابي الأصل الشافعي . ولد في أواخر سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) ، وعكف في حياة والده الذي أسلفنا ذكره على التفقه في الدين ودراسة أصوله والفرائض والعربية والحديث ، ثم رحل الى القاهرة طلباً للعلم ، وتفقه على مشايخها وعلماؤها ، ورافق ابن حجر المسقلاني في التحصيل بها ، ثم عاد الى دمشق ، ومنها الى حلب حيث أخذ عن علمائها أيضاً . ولقد جالس أحمد بن اسماعيل فحول العلماء والفقهاء ، وفيه يقول السخاوي : « ومهر في الفن وضبط الاسماء واعتنى بتحرير المشتبه ، وكتب بخطه أشياء ، وتقدم على اقرانه في عدة فنون وهو شاب . وكان ذكياً مستحضراً صاحب فنون سريع القراءة مع مشاركة في الفقه وأصول العربية »^(٤٦) . ولقد درس الحديث في المدرسة الاشرفية والامينية بدمشق وتولى قضاء دمشق مدة . وكانت له حلقة في التفسير بالجامع الاموي . ومن تصانيفه : علق على الحاوي الصغير ، وعلى ألفية ابن مالك ، وعمل شيئاً من تخريج أحاديث الرافي سماه : « شافي العمي في تخريج أحاديث الرافي » . شرع في تفسير كبير ، أكمل منه كثيراً . وصنف « طبقات الشافعية » . وقد فقدت معظم كتبه في أعقاب غزوة تيمورلنك على دمشق . وكان الشيخ البلقيني يحبه ويعظمه ، وشهد له أنه احفظ أهل دمشق للحديث . أخذ عنه السخاوي في دمشق . وكان ذا كرم مفرط

(٤٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١ ص ٣٩١ .

(٤٥) ابن حبيب: درة الأسلاك في دولة الأتراك، ج ٣ لوحة ٤٢ « مخطوط » .

(٤٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ٢٣٨ .

وشجاعة واقدام وتوفي بدمشق في ربيع الآخر ٨١٥ هـ (١٤١٢م) (٤٧).

٣ - علاء الدين علي بن بلبان بن عبد الله أبو القاسم الكركي . درس على دانيال بن منكلي وخرج له أربعين حديثاً . ورحل في طلب العلم الى دمشق والعراق ومصر توفي بدمشق سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥م) ، ودفن بمقابر باب الصغير (٤٨).

٤ - أبو الفضائل دانيال بن منكلي صرفا الكركي التركماني الشافعي . رحل الى دمشق وأخذ العلم عن علمائها وفقهائها منهم السخاوي . حدث بدمشق والشوبك والكرك وسمع منه الكثيرون من بينهم: البرزالي ، والامير سنجر الجاولي ، وتولى قضاء الكرك والشوبك ، وكان مقرئاً فقيهاً محدثاً ، توفي بالشوبك في سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦م) (٤٩).

٥ - غازي بن داود بن عيسى بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن الناصر داود ابن المعظم عيسى الايوبي ، ولد بقلعة الكرك سنة ٦٣٩ هـ ، وتفقّه في القاهرة وكان كبير القدر مهاباً يجمع بين الفضل والعلم والتواضع ، سمع من خطيب مردا والصدر البكري ، وحدث بالقاهرة وتوفي في رجب سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢م) ، هو وزوجته ابنة عمه المغيث عمر أمير الكرك ، فأخرجت جنازتها جميعاً ودفنا معاً (٥٠).

٦ - يوسف بن دانيال بن منكلي بن صرفا الشوبكي ، سمع من أبيه سالف الذكر ، ثم رحل الى دمشق ، وأخذ العلم على فقهاءها وقد حدث بدمشق

(٤٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

(٤٨) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ٢٦٩ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٥ ص ٣٨٨ .

(٤٩) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١ ص ٢٧٨ - ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢

ص ٢٦٨ - ابن طولون: رسائل تاريخية، قسم ٤ ص ٤٣ ، ٤٤ - أبو الفلاح: شذرات الذهب،

ج ٥ ص ٤٣٥ .

(٥٠) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٢٩٥ .

والكرك والشوبك، وأقام بالكرك مدة يفتي ويدرس، ثم ولي قضاء الشوبك الى أن توفي سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م) (٥١).

٧ - يوسف بن اسرائيل بن يوسف بن أبي الحسن الناصري الكركي، ولد سنة ٦٤٦ هـ، وتلمذ على ابن عبد الدائم ومحمد بن عطاء الذي سمع منه الغيلانيات ثم حدث بدمشق ومن تلاميذه: البرزالي، والذهبي وابن رافع وقد ذكروه في معاجهم وتوفي بدمشق سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٣ م) (٥٢).

٨ - عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى الايوبي، ولد بالكرك سنة ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م). قدم دمشق وسمع من علمائها، أجاز له الصدر البكري ومحمد بن عبد الهادي وأخوه عبد الحميد وغيرهم. كان حسن الاخلاق، كثير البشر، مليح الشكل، توفي بالرملة سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) ودفن ببيت المقدس (٥٣).

٩ - عبد الله بن مالك بن مكتوم بن نجم العجلوني، رحل الى دمشق وأخذ العلم على فقهاؤها: منهم العز الفاروقي وأبو العلاء الفرضي. ثم حدث فيها، كان جيد العقيدة منقطعاً عن الناس، وتوفي سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨ م) (٥٤).

١٠ - قاسم بن محمد الاربدي الشافعي، سمع في دمشق، وحفظ المنهاج، ثم حدث واشتغل بالتدريس بالمدرسة الاتابكية بدمشق، ثم ولي قضاء اذرعات وكرك نوح في البقاع، وتوفي فيها سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٢ م) (٥٥).

١١ - محمد بن عبد الله بن مالك بن مكتوم العجلوني العرجاني الحنبلي، أخذ العلم

(٥١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥ ص ٢٢٨ - ويقول السبكي أنه توفي سنة ٧٣١ هـ، (أنظر: طبقات الشافعية، ج ٦ ص ٢٥١).

(٥٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥ ص ٢٢٥.

(٥٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٣.

(٥٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٨٧.

(٥٥) ولي الدين العراقي: الذيل على ذيل المعبر، لوحة ١٧ «مخطوط» - ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٣٢٠.

في دمشق، وسمع من القاسم بن عساكر، وابن القواس وغيرهما، وحدث
بدمشق وسمع منه ابن حجي، وخطب في بيت لها من ضواحي دمشق،
فيها توفي سنة ٧٧٢ هـ (١٣٧٠ م) (٥٦).

١٢- أحمد بن محمد بن عبد الله مالك بن مكتوم العجلوني العرجاني الأصل، ابن
خطيب بيت لها. ولد سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م)، وسمع من فقهاء دمشق:
كالحجار وابن اليان، والضياء اسماعيل بن عمر الحموي، ثم اشتغل
بالحديث وتلمذ عليه أبو حامد بن ظهيرة وتوفي سنة ٧٨٠ هـ
(١٣٧٨ م) (٥٧).

١٣- أحمد بن محمد بن عبد الله بن سالم بن مكتوم العجلوني العرجاني، ولد سنة
٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م)، وسمع في دمشق من الضياء اسماعيل الحموي وابن
الشحنة، وقد اشتغل أيضاً بالحديث في دمشق، وكانت له مكانة ووجاهة،
مات سنة ٧٨١ هـ (١٣٧٩ م) (٥٨).

١٤- قاسم بن أبي بكر بن قاسم العجلوني الشافعي سمع من الحجار وغيره وتفقه
على الشيخ برهان الدين الفزاوي، وقد تولى قضاء الرحبة، ثم عاد الى
دمشق وولي خطابة جامع جراح وتصدر بالجامع الاموي، ثم اشتغل
بالتدريس في الشامية الجوانية. توفي بدمشق سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) (٥٩).

١٥- هارون بن عيسى بن موسى الشوبكي، رحل الى الخليل واستوطنها، وسمع
فيها من العباد بن الجرائدي، ثم اشتغل فيها بالحديث، وسمع منه ابن

(٥٦) ولي الدين العراقي: المصدر السابق، لوحة ٦٥ «مخطوط» - ابن قاضي شهبة: الاعلام بتاريخ
أهل الاسلام، ج ٢، لوحة ٢٠٩.

(٥٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١، ص ١٩٦، وأنباء الفهر، ج ١، ص ١٨١.

(٥٨) ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١، ص ٢٠٢ - وابن قاضي شهبة ذكر أنه توفي سنة ٧٨٠ هـ (أنظر:

الاعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢، لوحة ٢٥٥ «مخطوط» - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٦،
ص ٢٦٥.

(٥٩) ابن قاضي شهبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢، لوحة ١٠١ «مخطوط».

- رجب الذي ذكره في معجمه وتوفي في الخليل سنة ٨٤٩ هـ (١٣٤٨ م) (٦٠).
- ١٦- محمد بن يونس بن علي العجلوني الشافعي المحدث، ولد بعجلون سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م)، وسمع في دمشق من ابن الحجار وغيره، ذكره ابن رجب في معجمه ووصفه «المقرر محدث عجلون» وكان شاعراً سمع منه ابن قاضي شعبة بعض شعره في عجلون وتوفي ببلده سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) (٦١).
- ١٧- عبد المنعم بن أحمد بن محمد بن عبد المنعم بن أحمد الصلتي. ولد في سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م)، وأخذ العلم في القدس ودمشق، ثم حدث في القدس وسمع عليه البرهان الحلبي، وحدث عنه أبو حامد بن ظهيرة وغيره وتوفي سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) (٦٢).
- ١٨- محمد بن أحمد بن عمر أبو بكر العجلوني، يعرف بابن خطيب سرمين، قدم الى حلب مع والده، وسمع من فقهاءها، الباريني وابن العجمي وغيره، واعتنى بقراءة الحديث فكان يقرأ الصحيحين، جاور في مكة وحدث بها، وسمع هناك ابن حجر المستلاني، وتوفي بمكة سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) (٦٣).
- ١٩- عبد الرحمن بن عيسى بن سرار بن مسرور الايدوني (بتحتانية ثم مهملة وآخره نون نسبة لايدون قرية بالقرب من مدينة اربد)، ولد سنة ٧٦٧ هـ (١٣٦٥ م)، وتفقّه في دمشق على علمائها ثم حدث فيها وسمع منه الفضلاء وتوفي بها سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م) (٦٤).
- ٢٠- علي بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الكريم الرباوي الأصل (نسبة للربة بفتح المهملة وتشديد الموحدة، قرية قرب الكرك). ولد في سنة

(٦٠) ابن قاضي شعبة: المصدر السابق، ج ٢ لوحة ١٠٧ «مخطوط».

(٦١) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢ لوحة ١٠٩ «مخطوط».

(٦٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٢٩، ٣٠.

(٦٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٨٢. ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الإسلام، ج ٢

ص ١٥١ «مخطوط» - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٧ ص ١٠.

(٦٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ص ١١٧.

٧٧٢ هـ (١٣٧٠ م) وأخذ العلم في بيت المقدس وغيرها، وحدث ثم ولي قضاءها سنة ٨٣٢ هـ، ثم رحل الى القاهرة وناب في الحكم عن ابن حجر الصقلاني في باب الشرعية. وعاد بعد ذلك الى القدس حيث توفي في سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م) (٦٥).

٢١- زيد بن غيث بن سليمان بن عبد الله الزين المجلوني الحنبلي. سمع على فقهاء دمشق، وحدث فيها، وتوفي سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) (٦٦).

٢٢- محمد بن حمد بن معتوق بن موسى بن عبد العزيز الكركي الحنبلي، ويعرف بابن الكركي - قدم دمشق وأخذ العلم على علمائها، ثم حدث فيها وسمع منه ابن فهد وغيره كالغلاء المرادوي الحنبلي، كان اماماً محدثاً فاضلاً متقناً، أجاز للسخاوي في سنة خمسين وثمانمائة، وتوفي بدمشق ودفن بسفح قاسيون سنة ٨٥١ هـ (١٤٤٧ م) (٦٧).

٢٣- سعيده ابنة أحمد بن محمد بن موسى الشوبكي، وتعرف بابنة المطرية أقامت بمكة مع والدها، وماتت فيها سنة ٨٨٢ هـ (١٤٧٧ م) (٦٨).

٢٤- زينب ابنة أحمد بن محمد بن موسى الشوبكي، وتعرف بأُم حبيبة أخت سعيده سالفة الذكر، أقامت بمكة مع والدها الذي توفي فيها سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م). ثم قدمت الى مصر وأخذت العلم من فقهاءها وعادت الى مكة وجلست للحديث في الحرم، وصفت بأنها خيرة مباركة سالحة، كثيرة العبادة والصدقة والصيام والاعتار والطواف. توفيت بمكة سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) ودفنت بالمعلاة (٦٩).

٢٥- ابراهيم برهان الدين ابن الكركي، قاضي القضاة الحنفي، أقام بمصر

(٦٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥ ص ١٥٧، ١٥٨.

(٦٦) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣ ص ٢٣٩.

(٦٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٠٨ - والتبر المسبوك في ذيل السلوك، ص ١٩٦.

(٦٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٢ ص ٦٥.

(٦٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٢ ص ٣٩، ٤٠.

وأخذ العلم عن فحول علمائها. كان ذا فصاحة في اللسان العربي والتركي، لذا حظي بمكانة رفيعة لدى السلاطين والأمراء المهاليك حتى ان الأمير طومان باي كان يتردد على بيته ماشياً قبل ان يصبح سلطاناً. جلس للحديث في القاهرة وسمع عنه الكثير من طلاب العلم، توفي في مصر سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) (٧٠).

ب - في علم القراءات:

١ - علي بن يوسف بن حريز بن فضل بن معضاد اللخمي المعروف بالشطونفي الشافعي القادري امام القراء والنحويين، أصله من عمان بالبلقاء. نشأ بالقاهرة وأخذ العربية على صالح بن ابراهيم الاسعدي، والقراءات على علي بن عبدالله الجزائري، ويعقوب بن بدان الجرائدي. تولى تدريس التفسير بالجامع الطولوني بالقاهرة، ثم تصدر للقراء بالجامع الأزهر وقد انتفع به جماعة في القراءات وتكاثر الناس عليه للانتفاع بعلمه والتحقيق، ومن الجدير بالذكر أنه جمع مناقب وأخبار الشيخ عبد القادر الجيلي في نحو ثلاثة مجلدات وسماه «البهجة» وتوفي سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣) (٧١).

٢ - ابراهيم بن موسى بن بلال بن عمران بن مسعود بن دمج (بتحريك المهملة والميم وآخره جيم)، البرهان الكركي الشافعي. كان عالماً بالقراءات السبع والفقهاء العربية. ولد بمدينة الكرك، ودرس فيها فحفظ العمدة، وألفية الحديث والنحو والمنهاج الفرعي والأصلي والشاطبية وغيرها. ثم رحل الى دمشق وبيت المقدس والخليل سعياً لطلب العلم، الى أن استقر في مصر وأخذ العلم في بلييس ودمنهور والقاهرة كما أخذ القراءات والنحو والمنطق والصرف على ابي عبدالله المغربي التوزري. ولازم بالقاهرة البرهان

(٧٠) الغزى، الكواكب السائرة، ج ١، ص ١١٢.

(٧١) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، ص ٥٨٥ - ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣

ص ٢١٦ - السخاوي: تحفة الأجيال وبغية الطلاب في الخطط والمزارات، لوحة ١٥٧، ١٥٨

«مخطوط».

البيجوري والولي العراقي، ولقد برع في الفقه والعربية والحديث وتولى الاقراء والقضاء بالهلة ثم أسند إليه قضاء منوف، وتولى القراءات في المدرسة الظاهرية بالقاهرة. وقد صنف وأملى بالقراءات والعربية والتفسير والفقه وأصوله ومن كتبه في القراءات: «الاسعاف في معرفة القطع والاستئناف» في مجلد، «والآلة في معرفة الفتح والامالة»، و«نكت على الشاطبية»، و«حل الرمز في وقف حمزة وهشام على الهمز»، وكتاب في رواية كل واحد من السبعة سماه: «عمدة المحصل التام في مذاهب السبعة الاعلام»، و«درة المجيد في أحكام القرآن والتجويد»، وله في العربية «شرح ألفية ابن مالك» و«نثر الألفية النحوية»، و«اعراب الفصل من الحجرات الى آخر القرآن»، و«مرقاة اللبيب الى علم الاعراب». أما في التفسير فله كتاب «حاشية على تفسير العلاء التركماني». وفي الفقه «مختصر الروضة» وصل به الى الربا، و«شرح تنقيح اللباب للولي العراقي» وصل فيه الى الحج. أما في اصول الفقه فله «مختصر الورقات». وصفه السخاوي بأنه «كان اماماً عالماً بارعاً مفنناً متقدماً في القراءات والعربية»، وتوفي سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) (٧٢).

٣ - عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي العباس أحمد بن علي التفيزي الكركي الشافعي مقرئ الكرك. ولد قبل السبعائة بالكرك، وتلا على الصائغ وأبي حيان، وتصدر للاقراء بالكرك، ومن قرأ عليه بالكرك محمد بن عثمان ابن عبد الرحمن الكركي. وقد ذاعت شهرته حتى قصده طلاب العلم من دمشق وغيرها فابن الجزري يقول: «كنت سمعت به بالكرك فقصدت الرحلة إليه فلم تنفق» وقد ذكره الذهبي في طبقات القراء وتوفي سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م) (٧٣).

(٧٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ١٧٥ - ١٧٨، والتبر المسبوك في ذيل السلوك، ص ٢٧٢ -

٢٧٤ - السيوطي: نظم العيان، ص ٢٩، ٣٠.

(٧٣) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٤٣٤، ويقول ابن الجزري أنه توفي سنة ٧٧٢ هـ (أنظر:

غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١ ص ٣٦٦).

٤ علي بن ابراهيم بن أبي الهيجاء الكركي الشوبكي، تعلم مع ابن كثير في الكتاب وزامله، ونشأ في صيانة وعفاف. سمع القراءات على الشيخ بدر الدين بن سليمان، واشتغل في المنهاج للنووي، وقرأ الحديث على عدة كراسي، كان يستحضر المشابه في القرآن اسحضاراً حسناً متقناً كثير التلاوة له، خفيف الحركة، جهوري الصوت فأحبه الناس ورجبوا في عشرته وتوفي في دمشق سنة ٧٦٦ هـ (١٣٦٤ م) (٧٤).

٥ - راشد بن عبد الله بن صالح التفقي (نسبة الى قرية تفتا بجبل عجلون)، رحل الى دمشق في طلب العلم ونزلها واستقر فيها، كان كثير التلاوة يجهر بها، ويقريء القرآن، فقرأ عليه خلق كثير، وتوفي سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) (٧٥).

٦ - موسى بن ناصر بن خليفة الباعوني، أخو القاضي شهاب الدين. قدم دمشق ونزل بالمدرسة البادرائية، وقرأ السبع على ابن اللباد - وتفقه على العديد من علماء دمشق. وكان أكبر من أخيه سناً، فاسمع أخاه قليلاً فلما تولى القضاء استنابه ثم توفي بدمشق سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩١ م) (٧٦).

٧ - أحمد بن محمد بن موسى الشوبكي. رحل الى مكة وجاور بها، واشتغل بالفقه والعربية ولكنه أتقن القراءات، فقرأ عليه بمكة كثيرون وتوفي بمكة سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٧ م) وخلف بنتين هما: سميدة وزينب واشتهرتا بعلم الحديث، وحدثتا به في مكة (٧٧).

٨ - ابراهيم بن محمد بن راشد الملكاوي الشافعي (نسبة الى قرية ملكا شمالي اربد). رحل الى دمشق وحصل العلم على شيوخها ومهر في القراءات.

(٧٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ٣١٢ - ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٧٨ - ابن

قاضي شهاب: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢ لوحة ١٧٦ مخطوط.

(٧٥) ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١ ص ١٦٤.

(٧٦) أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٦ ص ٣٣٦.

(٧٧) أبو الفلاح: المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٦٤.

وكان يشتغل بالفرائض بالجامع الاموي بين الشامين، توفي سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١م) (٧٨).

٩ - خطاب بن عمر بن مهنا بن يوسف بن يحيى الفزاوي (بالتخفيف نسبة الى قبيلة الفزاوية) العجلوني، ولد بمدينة عجلون سنة ٨٠٧ هـ، ونشأ فيها، ثم رحل الى دمشق وأخذ العلم على علمائها منهم: ابن الجزري والتاج بن بهادر، ولازم ابن قاضي شبة. واشتغل في فنون العلم حتى فاق أقرانه. درّس بالمدرسة الثامية البرانية والمدرسة الركية، وتصدى للاقراء والافتاء بدمشق وخطب نيابة بالجامع الاموي. توفي سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣م) (٧٩).

١٠ - عبد الرحمن بن محمد بن محمد اسماعيل الزين الكركي، قدم القاهرة وهو شاب وعمل في خدمة أحد طلاب العلم، فرغبه الطالب في حفظ القرآن فحفظه وتعلم الكتابة حتى انه كتب الخط المنسوب. واتصل بخدمة الأتابك شبك وأقرأ مماليكه وأمّ به في الصلاة، فاخص الأتابك به وزوجه من جارية جركسية فولدت له ولده ابراهيم. وقد باشر الرياضة في الجامع الطولوني وغيره، وسمع من شيوخ القاهرة منهم ابن حجر العسقلاني. وكان محباً للخير مواظباً على التلاوة والقيام، وصفه السخاوي بأنه (الشيخ الصالح المقرئ المتقن المجدد الحافظ) وقد خلع عليه السلطان وحضر مجلسه، فأجلسه فوق الأكابر، توفي سنة ٨٨٠ هـ (١٤٧٥م) (٨٠).

ج - في مجال الفقه:

١ - محمد بن عبد الله بن أحمد الهكاري الصلتي الشافعي، تلقى العلم في الصلت على أبيه الذي كان يعمل مدرساً فيها، ثم درس بعد أبيه بالصلت، وأخيراً

(٧٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ١٤٦ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٧ ص ٤١.

(٧٩) السيوطي، نظم العقيان، ص ١١٠، التميمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ٢٦٤،

(والعنوان في ضبط مواليده ووفيات أهل الزمان)، مخطوط دار الكتب المصرية، لوحة ١٣.

(٨٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤ ص ١٢٤.

رحل الى دمشق فسمع على بعض العلماء والفقهاء وتولى قضاء البر ثم قضاء كل من: القدس ونابلس والخليل، وآخر ما ولي قضاء حمص وفيها توفي سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م). له مصنفات في الفقه أهمها مختصره لكتاب «ميدان الفرسان» في ثلاثة مجلدات^(٨١).

٢ - ابراهيم بن محمد بن عيسى بن عمر بن زياد أبو اسحق العجلوني، ولد بقرية الاستب بتلال عجلون الواقعة بالقرب من باعون وذلك في سنة ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) وقدم دمشق وهو صغير مع أبيه الذي كان يعمل خطيباً بقرية بيت عذراء بمرج دمشق. فأخذ ابراهيم العلم على فقهاء دمشق وحفظ «منهاج الطالبين في فقه الشافعية»، ولازم العلاء حجي، ودأب في الفقه وخاصة كتاب «الروضة في فقه الشافعية»^(٨٢) ثم رحل الى حلب استزادة في طلب العلم ودرس فيها، ثم انتقل الى دمشق وتولى قضاء صفد في سلطنة الظاهر برقوق. وبعد فتنة تيمورلنك، عاد الى دمشق وناب بها في القضاء مدة: ثم درس في المدرسة الركبية، وكان حسن العشرة سهل الانقياد، سليم الباطن فقيهاً مفتياً، يحفظ كثيراً من شعر المتنبي ويتمصّب له. وكان الشيخ البلقيني يفرط في تقيظته والثناء عليه. من مصنفاته: «شرح على المنهاج». وقال عنه السخاوي: «وهو في الشاميين نظير البيجوري في المصريين» توفي سنة ٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م)^(٨٣).

٣ - محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الله الكفيري العجلوني. ولد سنة ٧٥٧ هـ بالكفير (مصفر) (قرية جنوب شرقي جرش بـ ١٥ كيلومتراً). ثم انتقل الى دمشق، فتلقى الفقه على شيوخها، وسمع على فقهاها، فحفظ التنبيه وأخذ عن ابن قاضي شبة وبرع في الفقه، حتى أصبح من كبار المتخصصين فيه، وناب في الحكم. كما أنه درس وأفتى وكتب الكثير بخطه لنفسه وغيره. ومن مصنفاته. كتاب «التلويح الى معرفة الجامع الصحيح» في خمسة مجلدات.

(٨١) الحنبلي: الانس الجليل، ج ٢ ص ٤٧٠ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٦ ص ٢٩٢.

(٨٢) منهاج الطالبين والروضة، هما للامام محيي الدين يحيى بن زكريا النووي ت ٦٧٦ هـ.

(٨٣) أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج ١ ص ١٣٩ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ١٥٧.

وكتاب «الأحكام في أحكام المختار» وقد اختصره وسماه «منتخب المختار في أحكام المختار». كما اختصر الروض للسهلي وسماه «زهر الروض ومعين النبيه على معرفة التنبيه» ومن كتبه أيضاً «نكت التنبيه» في خمسة مجلدات. وتوفي بدمشق في سنة ٨٣١ هـ (١٤٢٧ م) (٨٤).

٤ - عبد الله بن خليل بن فرج بن سعيد الرشاوي، ولد في الرما وتلقى علومه الدينية في دمشق وشارك في العربية والفقه والحديث مشاركة جيدة، ورسخ في علم الكلام. كان قوي الحافظة مقتدرًا على العبادة الجيدة، وقد كان يجتمع إليه أعداد كبيرة من الدارسين بزوايته بالمقبيية يومين حددهما لهذا الغرض من كل اسبوع. ومن تصانيفه في أصول الفقه: «منار سبل الهدى وعقيدة أهل التقى» و«تحفة المهجد وغنية المتعبد»، صنفه بمكة وقرىء عليه بالمسجد الحرام، و«الذكر المطلق» حدث به في مكة، وتوفي بدمشق سنة ٨٣٣ هـ (١٤٢٩ م) (٨٥).

٥ - ابراهيم بن أبي المجد بن داود الكركي. ولد بالكرك سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م). كان صالحاً ملازماً للخير والعبادات وتوفي بدمشق سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢) (٨٦).

٦ - عمر بن محمد بن عمر بن محمد المرعي العجلوني. رجل الى دمشق وتفقه فيها على: الابرقوهي، وابن القواس، والشيخ برهان الدين بن الفركاح ومات بمرة النعمان سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) (٨٧).

٧ - فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلي. أصله من حبراص بعجلون الواقعة شمالي مدينة اربد. كان متقللاً في الدنيا، متعففاً قوى النفس. اشتغل في تعبير الرؤيا، فمهر فيها، وأقام بالمدرسة المسامرية بدمشق، وكان

(٨٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١١١، ١١٢ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٧ ص ١٩٦.

(٨٥) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥ ص ١٨، ١٩.

(٨٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ١ ص ٥٥.

(٨٧) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٢٦٧.

يزوره فيها نواب الشام فمن دونهم، ولم يقبل من أحد شيئاً، عرضت عليه الوظائف الكبيرة فلم يقبلها وتوفي في سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) (٨٨).

٨ - محمد بن عمر بن زكي بن أبي القاسم الكركي الشافعي، تولى قضاء كل من الكرك ثم الشوبك، ولما عزل قدم الى دمشق فأقام بدار الحديث الاشرفية وتوفي في سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠ م) (٨٩).

٩ - حسن بن أحمد بن أبي بكر بن حرز الله الاربدي من اربد سمع من فقهاء دمشق وعلماؤها، وكان عارفاً بالشروط، وتولى قضاء الحاج سنة ٧٦٠ هـ وتوفي في سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠ م) (٩٠).

١٠ - أحمد بن موسى الزرعي الحنبلي، من مدينة حبراص بمجلون شمالي مدينة اربد وهو أحد الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، كان قوياً في ذات الله جريئاً على الملوك والسلاطين، له قوة وشدة بأس. ابطل عدة مكوس ومظالم كثيرة. قدم القاهرة في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وطلب منه عدة أمور تختص بمصالح الناس فاجابه الى ذلك فعاد الى بلده حبراص وتوفي فيها سنة ٧٦٢ هـ (١٣٦٠ م) (٩١).

١١ - محمد بن عمر بن عثمان الكركي الشافعي، قدم دمشق وسمع من علمائها منهم: ابن الشحنة والحجار، وتفقّه وأعاد بالمدسة البادرانية بدمشق، ثم انتقل الى الكرك وولي قضاءها، كتب بخطه كثيراً من الكتب وتوفي سنة ٧٦٩ هـ (١٣٦٧ م) (٩٢).

(٨٨) ابن الوردي: تنمة المختصر، ج ٢ ص ٣١٠ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ١٧٣ - ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ص ٣١٤.

(٨٩) ولي الدين العراقي: الذيل على ذيل العبر، لوحة ٧ مخطوط.

(٩٠) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٦١.

(٩١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ٢٧٤ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ١٢.

(٩٢) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٢٢٧ ولي الدين العراقي: الذيل على ذيل العبر، لوحة ٥٢ مخطوط.

١٢ - علاء الدين علي العجلوني. تلقى علومه في دمشق، ثم رحل الى القاهرة وتفقّه وبرع واجازه قاضي القضاة ابن جماعة بالافتاء، درس في القاهرة وتوفي فيها سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) (٩٣).

١٣ - محمد بن عبد الله الكركي من كبار فقهاء الكرك وجلتهم وقد تفقه ومهر، تولى القضاء بالكرك، ثم قضاء المدينة المنورة مدة، ثم قدم الى مصر وناب في الحكم بها، كان مشكور السيرة فاضلاً وتوفي سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م) (٩٤).

١٤ - أحمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الاربدي، قدم دمشق وتفقّه على ابن خطيب يبرود وغيره، مهر في الفقه والاصول والأدب كما سمع الالفية من أحمد بن غانم كان محبباً الى الناس، لطيف الاخلاق، له أسئلة حسنة في فنون من العلم، توفي سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م) (٩٥).

١٥ - علي بن زيادة بن عبد الرحمن الحبكي الشافعي ينسب الى قرية جبك احدى قرى عجلون. قدم الى دمشق صغيراً، فاشتغل ولازم الشيخ علاء الدين بن سلام والشيخ علاء الدين حجي، وقرأ على ابن قاضي شعبة وأبي البقاء، كما قرأ في الاصول والعربية، ولكن غلب عليه الفقه وقد تولى التدريس بالمدرسة المهادية والعاذلية والفلكية والكلاسة وتوفي سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م) (٩٦).

١٦ - حجي بن موسى بن أحمد بن سعد بن غشم بن غزوان بن علي السمدي الحسيني الأصل، والد بني حجي الذين انتهت إليهم الرئاسة بدمشق في القرن التاسع الهجري، انتقل من حسان الى القدس وأخذ العلم من فقهاؤها وشيوخها، وحفظ العديد من الكتب. ثم قدم الى دمشق في سنة ٧٣٤ هـ

(٩٣) ولي الدين العراقي: الذيل على ذيل العبر، لوحة ٥٥ «مخطوط».

(٩٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ١٠٨ - وأنباء الفهر: ج ١ ص ٦٨.

(٩٥) ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١ ص ٧٩ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٦ ص ٢٤٠.

(٩٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣ ص ١٢٠، وأنباء الفهر، ج ١ ص ٢٢٦ - ابن قاضي شعبة:

الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢ لوحة ٢٦٧ «مخطوط» - النيمي: الدارس ج ١ ص ٤٣٣ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٦ ص ٢٧٥.

فقيراً على شيوخها، فسمع الحديث من البرزوالي والجزري، وعنى بالفقه وتحصيله وتقريره وحفظه وتحريره وتحقيقه. كان كثير الاطلاع، صحيح الشكل، عارفاً بالدقائق والغوامض، وقد انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي بدمشق وفيها حدث وأفتى وأعاد، ولم يتردد على أهل الدولة، ولا جمع مالا أو ادخره وتوفي بدمشق في سنة ٧٨٢ هـ (١٣٨٠ م) (٩٧).

١٧- محمد بن ابراهيم بن راضي الصلتي الشافعي، ولد بالصلت سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) وفيها تلقى دراساته الأولية ثم رحل الى دمشق ودرس على فقهاؤها، واشتغل بالعلم في المدرسة الشامية مع حجي بن موسى وطبقته ثم رحل الى مصر بعد عام ٧٧٠ هـ، فولي القضاء بعدة أماكن فيها منها بلدة قوص حيث توفي في سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) (٩٨).

١٨- اسماعيل بن أبي بكر بن شجاع الصلتي، قدم دمشق وتفقّه على علمائها، أقام بالشامية البرانية، وكان يخطب بالنيابة، وقد اشتهر بالبخل، وكان زث الهيئة جماعاً للمال، وتوفي بالمارستان النوري في سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩٢ م)، وخلف ثلاثة وعشرين ألف درهم عيناً، احتاط عليها أهل المارستان، وكان له ابن عم في الصلت (٩٩).

١٩- عمر بن محمود بن محمد الكركي. أخذ العلم في دمشق عن الزيني الباريني وأبي البقاء والحسابي. ثم رحل الى حلب واستوطنها وأصبح يعمل فيها بالتدريس والافتاء وتوفي سنة ٧٩٧ هـ (١٣٩٤ م) (١٠٠).

٢٠- عبد الرحمن بن موسى بن راشد بن طرخان الملكاوي، ابن أخ الشيخ أحمد

(٩٧) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢، لوحة ٢٦٥، ٢٦٦ «مخطوط» - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢٠٦ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٦، ص ٢٧٤.

(٩٨) ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١، ص ٢٦٨ - ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢، لوحة ٢٨٠ «مخطوط».

(٩٩) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٣، لوحة ٨٣ «مخطوط».

(١٠٠) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٦٩.

ابن راشد الآتي ذكره. اشتغل بالفقه، وحفظ المنهاج وتوفي سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) (١٠١).

٢١- محمد بن أحمد بن موسى الرمثاوي الشافعي، اشتغل كثيراً بالعلم كما اشتغل بالتدريس في المدرستين العسرونية والاكزية بدمشق. كان تقياً ورعاً، جاور بمكة وتوفي في سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م) (١٠٢).

٢٢- عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن موسى العبادي (بالضم والموحدة الخفيفة) الكركي الشافعي. ولد بالكرك سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٦ م)، وتلقى علومه بها. ثم قدم الى دمشق في سنة ٧٤١ هـ، وأخذ العلم على بعض فقهاها، ثم عاد الى الكرك وحفظ فيها التنبيه، وأخيراً استقر بدمشق واستوطنها، واشتغل بالفقه، وحدث بها وسمع منه ابن حجر الصقلاني وقد اشتهر عثمان العبادي هذا بمجودة الخط فعرف بالكااتب. رحل الى القاهرة فتزوج بها وجاور بمكة مدة، ثم عاد الى دمشق وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) (١٠٣).

٢٣- أحمد بن راشد بن طرخان الملكاوي الشافعي. نشأ بدمشق وتفقّه فيها، وبرع وشارك في الفنون، واشتغل في الفقه والحديث والنحو والاصل. درس وأفتى حتى عد من ائمة العلماء وأعيان الفقهاء الشافعيين بدمشق. سمع منه السخاوي بدمشق وقال عنه: «ليس بدمشق من أخذ العلم على وجهه غيره» واتخذ لنفسه حلقة بالجامع الاموي كما درس بمدارس عديدة منها: المدرسة الدماغية والشامية والجوانية وتوفي سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) (١٠٤).

٢٤- عبد السلام بن داود بن عثمان بن عبد السلام المعجلوني «ولد بقرية كفر الما

(١٠١) أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٧ ص ٨.

(١٠٢) ابن قاضي شعبة: الاعلام بتاريخ أهل الاسلام، ج ٢ لوحة ١٥١ «مخطوط» - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١١٤.

(١٠٣) ابن حجر: أنباء الفهر، ج ٢ ص ١٧٠ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥ ص ١٤٠.

(١٠٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ٢٩٩ - النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ٢٤١.

بين عجلون وحبراص» (١٠٥)، فنشأ بها وقرأ القرآن، ثم انتقل به قريبه الشيخ بدر الدين محمود بن علي بن هلال العجلوني الى القدس، فحفظ بها في أسرع وقت عدة كتب في عدة فنون وكان قوي الحافظة عالي الهمة يقطاً ناهياً - ثم ارتحل به الى القاهرة، فحضر بها دروس البلقيني وابن الملتن وغيرها، ثم سافرا الى دمياط والاسكندرية وسنباط طلباً للعلم. وعادا بعد ذلك الى القاهرة ومنها الى غزة ثم القدس. وانتقل هو وقريبه الى منطقة الاردن فطافا بالصلت والكرك وعجلون وحسبان واتصلا بعلماؤها. ثم استقر في دمشق بعد موت قريبه سنة ٧٩٧هـ، وجد في الاشتغال بالحديث والفقه والعربية وغيرها من علوم النقل والعقل على مشايخها ثم رحل الى القاهرة وسكنها ولازم السراج البلقيني في الفقه وغيره والزين العراقي في الحديث، وناب بها في الحكم، وصار من أجلة النواب بالديار المصرية. وفيه يقول السخاوي «وصار يزاحم الاكابر في المحافل، ويناطح الفحول الامائل بقوة بجمه وشهامته، وغزارة علمه وامانته». تولى تدريس الحديث بالمدرسة الجمالية، وتدريس الفقه بالمدرسة الخروبية. ثم استقر بمشيخة الصلاحية بالقدس، وبعد مدة صرف عنها فعاد الى القاهرة، ثم أعيد للصلاحية مرة أخرى واستقر بها حتى توفي سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م) (١٠٦).

٢٥- يوسف بن أجد الجمال المكاوي، كان أحد الفضلاء بدمشق، يميل الى مذهب الحنابلة، درّس وخطب في دمشق، عرف بالدين والخير، توفي سنة ٨٠٥هـ (١٤٠٢م) (١٠٧).

٢٦- محمد بن أحمد بن يونس الجمالي الكركي، كان فقيهاً وعالماً درّس ووعظ وانتفع بعلمه الكثير، جاور بمكة وهناك التقى به الشيخ الفاسي وكتب عنه دعاء ينفع من الاعداء يقال ثلاثاً عند الصباح والمساء وهو: (اللهم يا

(١٠٥) هذه القرية موجودة للآن، وهي إحدى قرى الكورة في محافظة اربد الحالية.

(١٠٦) السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، ص ١٥٣، ١٥٤.

(١٠٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠ ص ٣٠١.

مخلص المولود من ضيق مخاض امه، ويا معافي المددوغ من شدة حمة وسمه،
ويا قادراً على كل شيء بعلمه، أسألك بمحمد واسمه ان تكفيني كل ظالم
بظلمه). كان خيراً ذا مروءة وصيانة وأخلاق حسنة، توفي بالقاهرة سنة
٨٠٩ هـ (١٤٠٦ م) (١٠٨).

٢٧- عيسى بن أحمد بن عيسى بن ابراهيم بن منصور العجلوني الشافعي، نشأ
بدمشق وتفقّه فيها حيث سمع من فحول علمائها وفقهائها فأجازوا له. وقد
اشتهر بالخط الجيد الذي كتب به الصحيحين في مجلد، وشرح النووي في
مجلد، جاور بمكة وتوفي فيها سنة ٨١٣ هـ (١٤١٠ م) (١٠٩).

٢٨- موسى بن أحمد بن موسى الرمثاوي، أخوه محمد بن أحمد الرمثاوي السالف
الذكر، تفقّه بدمشق وحفظ التنبيه وأخذ الفرائض عن الحب المالكي، كما
أخذ يسيراً من العلوم الطبية على الرئيس جمال الدين. لازم الغزي،
وكتب بخطه كثيراً من الكتب، تولى قضاء الكرك سنة ٨١٤ هـ
(١٤١١ م)، ودرّس بالمدرسة الأُسدية بدمشق، وناب في القضاء وجاور
بمكة مدة ثم عاد الى دمشق وتوفي فيها سنة ٨١٦ هـ (١٤١٣ م) (١١٠).

٢٩- محمد بن محمد بن محمد بن مسلم بن علي بن أبي الجواد الكركي الشافعي سبط
قاضي الكرك العماد بن عيسى الكركي، ويعرف بابن الغرابيلي. ولد سنة
٧٩٦ هـ بالقاهرة وكان جده قاضياً للقضاة فيها، ثم نقله والده الى الكرك
فنشأ فيها واشتغل بالعلم هناك فحفظ القرآن وعدة مختصرات، ثم رحل الى
القدس وأخذ العلم عن فقهاءها. وفي سنة ٨٢٥ هـ أقبل على طلب الحديث
بكلية فسمع الكثير بالكرك، ثم رحل الى دمشق والقاهرة فلزم ابن حجر
الصقلاني حتى مات وحرر معه المشتبه. له مشاركة في الفقه والنحو، من
تصانيفه (مؤلف في الحمام)، جمع فيه بين المعقول والمنقول وذكر فيه ما ورد

(١٠٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٢٣.

(١٠٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٥٠.

(١١٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠ ص ١٧٨، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ج ١

ص ١٥٥.

في الحمام من الاخبار والآثار، مع أقوال العلماء في دخوله وما يتعلق بالعمرة وغيره. شرع في (شرح على الامام)، له تعاليق وفوائد. خرج له الشيخ القباني جزءاً من روايته. كان حسن الشكل فصيح اللسان جريئاً عارفاً عالماً، لم يقبل الوظائف، وكان الاكابر يتمنون رؤيته والاجتماع به لما بلغهم من جميل أوصافه فيمتنع. توفي سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣١ م) به أن أوصى البرماوي ان يراجع في تبييض تصانيفه^(١١١).

٣٠- سعد بن جابر سعد الدين بن شمس الدين بن الزين المجلوني، كان فقيهاً حفظ القرآن ولازم الذكر والعبادة، واستوطن القاهرة فأحبه العلماء وأطروه وكانت له كرامات، تولى امامة المدرسة الطبرسية المجاورة للأزهر الشريف، توفي سنة ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م)^(١١٢).

٣١- عبد الرحمن بن عمر بن محمود بن محمد الكركي الأصل، رحل والده الى حلب واستقر فيها، فولد ابنه عبد الرحمن هناك ونشأ فيها فأخذ العلم عن والده ثم عن فقهاء حلب. وقد حدث بحلب ودرّس بها بالمدرسة العسرونية والسلطانية وتولى قضاء حلب، ثم رحل الى القاهرة وسكن فيها مدة، رجع بعدها الى حلب حيث توفي فيها سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م)^(١١٣).

٣٢- أحمد بن شمس الدين ابو عبد الله محمد الصلتي الشافعي، ولد سنة ٧٧٦ هـ (١٣٧٤ م)، نشأ في الصلت، ثم رحل الى القدس حيث اشتغل في طلب العلم على فقهاءها. كان رجلاً مباركاً باشر نيابة الحكم في القدس مدة طويلة، توفي سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م)^(١١٤).

٣٣- علي بن يحيى الايدوني، سكن دمشق ثم رحل منها الى القدس، فأقام فيها

(١١١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٩ ص ٣٠٦ - ٣٠٨. الحنبلي، الانس الجليل، ج ٢ ص ٥١١.
أبو الفلاح، شذرات الذهب، ج ٧ ص ٢١٥.
(١١٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣ ص ٢٤٨.
(١١٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤ ص ١١٥.
(١١٤) الحنبلي، الانس الجليل، ج ٢ ص ٥٢٢.

مدة يحترف الشهادة، عرف بخطه الحسن وكانت له معرفة بمصطلح الوثائق فبرز في هذا الفن، وكان قضاة بيت المقدس يعظمونه ويحتفلون بأمره، توفي بعد سنة ٨٦٠ هـ (١٤٥٦ م) (١١٥).

٣٤- محمد بن عمر الشمس الكركي الحنفي، ولد بالكرك ونشأ فيها، ثم رحل الى القاهرة واشتغل في طلب العلم، ولازم الشمس ابن الجندي في طلب الفقه والعربية وحدث عنه، ثم ناب عنه في خزانة الكتب بالمدرسة الاشرفية برساي. لازم البدر العيني وابن عبيد الله وأخذ عنهما الفقه والعربية والصرف والمنطق والعروض. وقام بتدريس أولاد بعض الاعيان وكان ذا عبادة واستقامة شارك في الفضائل وياشر في المدرسة الابوبكرية، صنف بعض الكتب، وأنشأ الخطب الهزلية وغيرها، توفي سنة ٨٦٠ هـ (١٤٥٦ م) (١١٦).

٣٥- محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود البلقاوي أصله من عرب البلقاء، وانحاز الى طائفة الفقهاء فقرأ القرآن في دمشق عند الاذرعى، ثم أخذ العلم عن بعض العلماء وحفظ التنبيه وألفية الحديث والنحو ومختصر ابن الحاجب، وحضر دروس ابن قاضي شبة، وأخذ الفقه على يحيى القباني وغيره. وأخذ النحو والحديث على شيوخ دمشق والقادمين إليها منهم ابن حجر السقلائي، وزاد شيوخه على المائتين. ارتحل في طلب العلم الى بعلبك ثم القاهرة مراراً ولازم ابن حجر السقلائي أتم ملازمه وأخذ عنه جملة من تصانيفه، وقرأ على المقرئزي وابن الفرات. ثم زار بيت المقدس أكثر من مرة وقرأ على علمائها، ودخل دمياط وغيرها من الأماكن طلباً للعلم. من تصانيفه: له معجم على الحروف سماه «اللمع الالمية لاعيان الشافعية» و«البرق اللموع لكشف الحديث الموضوع» و«الاكتساب في تلخيص الانساب» وعمل معجماً لشيوخه سماه «الرقم المعلم

(١١٥) الحنبلي، الانس الجليل، ج ٢ ص ٥٢٦.

(١١٦) السخاوى، الضوء اللامع، ج ٨ ص ٢٧٠، ٢٧١.

في ترتيب الشيوخ بالسماع والاجازة على حروف المعجم « ود المنهل الجاري من فتح الباري بشرح البخاري ». وشرح ألفية المراتي سماه « صعود المراتي ». تولى عدة وظائف بدمشق ومنها مشيخة دار الحديث الاشرفية ووكالة بيت المال، وكاتب السر وقضاء الشافعية. اتصل بالسلطان فقربه إليه إلا انه ما لبث ان غضب عليه فجرده من وظائفه. توفي سنة ٨٩٤ هـ (١٤٨٩ م) (١١٧).

٣٦- محمد بن سليمان بن داود بن بدر الدين بن علم الدين الشوبكي الأصل، أقام في القاهرة فحفظ القرآن وتدرّب في المباشرة من قريبه ابن الكويز كاتب السر بالديار المصرية فبرع فيها وفي الكتابة. تولى نظر الذخيرة مدة، ثم نظر الخاص ونظر القرافتين. كان حسن العشرة كثير الحشمة، توفي سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) (١١٨).

٣٧- ابراهيم بن أحمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد المجلوني، كان والده تاجراً في القدس، وقد اشتغل ابراهيم في أول امره ببعض حوانيت البز بالقدس وكان أخوه عطاراً في القدس. ولكن ابراهيم رغب في التفقه بالعلم، فأخذ العلوم عن فقهاء وعلماء بيت المقدس فأجازوا له وانتمى إليهم وصاهر التقي القلقشندي. رحل الى القاهرة ساعياً في مشيخة الصلاحية بالقدس ولكنه لم يوفق، فعاد الى الشام وتنقل في عدة مدن حيث أقرأ وحدث ووعظ توفي سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) (١١٩).

٣٨- برهان الدين ابو اسحق ابراهيم المجلوني الشافعي، كان من أعيان الشافعية ببيت المقدس، ومن أهل العلم، رحل الى الديار المصرية وأقام في دمياط مدة، ثم عاد الى القاهرة حيث توفي فيها سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م)،

(١١٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٩ ص ١١٧ - ١٢٤. ابن طولون، قضاء دمشق، ص ١٧٩، النعمي، العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان لوحة ٢٥ «مخطوط».

(١١٨) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧ ص ٢٥٩.

(١١٩) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١ ص ١٢.

كان حسن التحقيق يكتب على الفتوى بعبارة حسنة(١٢٠).

٣٩- ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل بن المجد الكركي، والده عبد الرحمن عالم القراءات السالف الذكر. حفظ القرآن والشاطبية ومختصر القدوري وألفية ابن مالك، وأخذ العلم على شيوخ عصره كابن حجر السقلافي وبرع في القراءة والتفسير وعلوم الحديث والفقه العربية والمعاني والبيان والمنطق. قربه السلطان الأشرف قايتباي وصار إمامه الخاص، لم يكن يتخلف عنه في أسفاره ودخل معه دمشق وحلب وبيت المقدس ومكة والمدينة. تولى التدريس في العديد من مدارس القاهرة، كما درس بالجامع الأزهر وتولى قضاء الحنفية بالقاهرة. أفتى وحدث وروى ونظم الشعر وكتب النثر، من تصانيفه في الفقه «فتاوى مبوبة» في مجلدين و«حاشية على توضيح ابن هشام» و«فيض المولى الكريم». وصف بأنه كان فصيحاً بليغاً حسن العبارة جيد الخط، لطيف العشرة، ظريفاً، يميل الى النادرة واللفظ، ذكياً متفتناً سريع البديهة، مستقيم الطبع. تغير عليه السلطان سنة ٨٨٦ هـ فاعتزل في بيته يفتي ويدرس، ثم رضي عنه فقرّبه، توفي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م)(١٢١).

٤٠- يحيى بن عبد الله بن محيي الدين الاربدي، ولد بإربد سنة ٨٤٧ هـ، ثم رحل الى دمشق في طلب العلم، فأخذ على علمائها وأجازوا له، وصف بالتقوى والصلاح، توفي بدمشق سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م)(١٢٢).

٤١- خليل بن محمد الصلتي الشافعي، أخذ العلم في دمشق على علمائها منهم والد الغزي والشيخ ابراهيم اليميني، وصف بالعلم والصلاح توفي في دمشق سنة ٩٣٤ هـ (١٥٢٧ م) عن بضع وعشرين سنة(١٢٣).

(١٢٠) الحنبلي، الانس الجليل، ج ٢ ص ٥٤١.

(١٢١) أبو الفلاح، شذرات الذهب، ج ٨ ص ١٠٢ - ١٠٤.

(١٢٢) الغزي، الكواكب السائرة، ج ١ ص ٣١٤، النعيمي، العنوان في ضبط مواليده ووفيات أهل الزمان، لوحة ٣٩ «مخطوط».

(١٢٣) الغزي، الكواكب السائرة، ج ٢ ص ١٤١.

٤٢- ابراهيم بن موسى السيد برهان الدين الحسيني الصلتي، نشأ في دمشق ولازم بعض فقهاؤها وعلماؤها منهم القاضي شهاب الدين الفرفور وولده القاضي ولي الدين. تقلد نظر المدرسة البادرانية بدمشق، كما كتب بالشهادتين والوكالة عن الناس. توفي بدمشق سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م) ودفن بتربة الشيخ ارسلان وحضر جنازته العديد من أعيان دمشق^(١٢٤).

٤٣- نعمة الصلتي، كان شيخاً فاضلاً محباً لطلب العلم وطلابه، كان ملازماً لعمل الوقت في زاوية جده عين الملك بسفح قاسيون، توفي سنة ٩٤٦ هـ (١٥٣٩ م)، وصف بالصلاح والعلم^(١٢٥).

د - في التصوف:

لم تكن منطقة شرقي الاردن بمنأى عن التيارات الفكرية الدينية التي شملت بلاد الشرق الادنى الاسلامي في عصر الدولة الايوبية وعصر دولة المماليك الاولى، من ذلك الطرق الصوفية التي انتشرت بكثرة بمصر والشام في هذه الفترة والمتصوفة هم الذين أعرضوا عن الدنيا وكرسوا حياتهم للعبادة^(١٢٦). وفي هذا العصر انتشرت الأبنية التي يقصدها الصوفية وعرفت أحياناً بالروابط أو الزوايا وأحياناً أخرى بالخوانق فوجد في مدينة الكرك الربط التي أعدت للفقراء والمساكين والمنقطعين لعبادة الله^(١٢٧). ومن المتصوفة الذين ينتمون الى هذه المنطقة نذكر:

١ - محمد بن علي بن جعفر الشمس العجلوني الصوفي، ويعرف بالبلاي (بكسر الموحدة ثم لا خفيفة). ولد ببلاد عجلون قبل سنة ٧٥٠ هـ. ثم رحل الى دمشق واشتغل بطلب العلم، ولازم أبا بكر الموصلي، فانتفع به وبغيره، وبرز في التصوف فحسنت عقيدة الناس فيه، ووصلت شهرته الى مصر،

(١٢٤) الفزى، الكواكب السائرة، ج ٢ ص ٨٠.

(١٢٥) الفزى، الكواكب السائرة، ج ٢ ص ٢٥٥.

(١٢٦) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ١٧١.

(١٢٧) ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٩ ص ١٧١.

ففي سنة ٧٩٠ هـ استقدمه سودون الشيوخوني نائب السلطنة بمصر، وولاه مشيخة سعيد السعداء، فدام بها نحو ثلاثين سنة. وقد اشتهر بالتواضع والبذل، وكان شديد الحياء كثير العبادة والتلاوة والذكر. وتؤثر عنه كرامات وخوارق، وذكر ابن حجر المسقلافي ان البلاي كان يوده كثيراً، ومن مصنفاته: مختصره لكتاب احياء علوم الدين الذي أجاد فيه وأبدع فأقبل الناس على تحصيله، كما صنف كتاب «السول في شيء من أحاديث الرسول»، واختصر الروضة، واختصر الشفاء، وعمل مختصراً بديعاً في الفروع، وقرض السيرة النبوية لابن ناهض وتوفي بالقاهرة في سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) (١٢٨).

٢ - ابراهيم بن عبد الله المعروف بابن الفار (بالفاء وتشديد الراء) الكركي. كان من الزهاد والعباد، سكن القاهرة، واشتهر فيها بحسن الاداب والورع والتقوى، توفي سنة ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م) (١٢٩).

٣ - محمد بن سلامة التوزي المغربي الكركي. وعرف بالكركي لطول اقامته بالكرك فقد قدم اليها واستوطنها، حيث اشتغل كثيراً بطلب العلم والتدريس. مهر في الاصول والمعقول والتصوف، وكان داعية الى مقالة شيخ المتصوفة ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) (١٢٤٠ م) (١٣٠). وكان ممن قدم المعونة للملك الظاهر برقوق عندما سجن في الكرك، وعند عودته للسلطنة طلبه

(١٢٨) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٨ ص ١٧٨ - السيوطي: حسن الحاضرة، ج ١ ص ٥٢٩.

(١٢٩) ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١ ص ٢٨٠.

(١٣٠) محيي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الأندلسي، الصوفي الفقيه الظاهري، ولد بمرسية سنة ٥٦٠ هـ، ثم انتقل الى أشبيلية سنة ٥٦٨ هـ فحفظ القرآن، وتفقه على شيوخها وفقهائها. وفي سنة ٥٩٨ هـ ارتحل الى المشرق، فدخل القاهرة وبغداد والموصل ومكة وأخيراً استقر في دمشق. وبقي فيها حتى توفي سنة ٦٣٨ هـ. كان ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقادات، له العديد من الاتباع والمريدين، صنف العديد من الكتب منها: الفتوح المكية، (أنظر: المقرئ: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٢. تحقيق احسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٨ م، ص ٢٥ - ٤٢ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٣٣٩).

فخلع عليه وبالغ في إكرامه، حتى أنه إذا أراد الاجتماع به أرسل إليه من مركوبه الفحل المطهم بالسرّج الذهب والكنبوش الزركش وكانت له منازعات مع الشيخ البلقيني وقد توفي بالقاهرة في سنة ٨٠٦ هـ (١٤٠٣ م) (١٣١).

٤ - عبد الله بن أبي عبد الله العرجاني (بضم المهملة وبعد الراء جيم) نسبة الى قرية عرجان. سكن دمشق، وكان من أتباع الشيخ أبي بكر الموصلي باشر أوقاف الجامع الاموي مدة وتوفي بالمدينة المنورة عند عودته من الحج في سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) (١٣٢).

٥ - أحمد بن هلال الشهاب الحسباني، ويعرف بابن هلال أصله من حسان ولكنه نشأ بدمشق ثم قدم الى حلب فقرأ على فقهاؤها. وارتحل بعد ذلك الى مصر، وأخذ التصوف فيها عن الشمس البلاي سالف الذكر. وقد تعمق في مذهب أهل الوحدة ودعا إليه وصار كثير الشطح، وكان أتباعه يبالغون في اطرائه، ويقولون هو نقطة الدائرة. وأخيراً عاد الى حلب وانقطع للعبادة، فتردد عليه الناس، وصار يدعي انه مطلع على الكائنات، وأنه يجتمع بالانبياء، وان الملائكة تخاطبه، وأنه عرج الى السماء، الى غير ذلك من الامور، فكثرت اتباعه، وخالفه نفر وقاموا عليه، فتعصب له بعض الاكابر، وبقي هكذا حتى توفي سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) (١٣٣).

٦ - عمر بن حاتم العجلوني الزاهد العابد القانت العارف العالم. خرج من بلده عجلون وقدم الى بلد الخليل، فنزل في زاوية الشيخ عمر المجرّد، وانعزل حتى حفظ القرآن. كان يحفظ الاحياء والقوت، ورسالة

(١٣١) المقرئبي: السلوك، ج ٣ ص ٩١٣ أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٢ ص ١٦٥ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ٢٥٥.

(١٣٢) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٥ ص ٢٩.

(١٣٣) السخاوي: المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٤١.

القشيري، وعوارف المعارف، ويقول: لا يصير الصوفي حتى يحفظ هذه الكتب الأربعة. عاد الى عجلون ثم توجه الى حلب وأقام بها، وأخذ في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعرف أنه صاحب كرامات ومكاشفات. وكان الشيخ عز الدين المقدسي يتأسف كثيراً على عدم لقيه ويقول: ما تأسفت على أحد ما تأسفت عليه. جاور في مكة، ثم خرج الى المدينة، فمرض في الطريق، ومات بيدر سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) (١٣٤).

٧ - محمد بن محمد بن هلال بن علي بن صفوان بن منصور القادري العامري الباعوني الأصل من بني عامر بقرية باعون القريبة من عجلون. استقر في القاهرة وحفظ القرآن وصلّى به في الجبالية، وقد لازم العديد من الفقهاء منهم البوصيري وابن حجر الصقلاني والسخاوي. جاور وأقام بالمدينة مدة، وزار بيت المقدس وأخيراً عاد الى القاهرة، عرف بالصلاح والخير، توفي سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م) (١٣٥).

٨ - الشيخ الصالح ابراهيم العجلوني الصوفي، أخذ العلم في دمشق عن أكابر الصوفية والفقهاء فيها، وكان يتكسب في العطر والبز بمجانوت له في السوقية. عرف بالتقوى والصلاح، توفي بدمشق سنة ٩١٧ هـ (١٥١١ م) (١٣٦).

٩ - عبد الغني العجلوني الاربدي الجمحي (بضم الجيم واسكان الميم وبالهاء المهملة نسبة الى قرية جمحي من قرى إربد) وصف بأنه كان من أولياء الله حسن الطريقة صحيح العقيدة، تردد الى دمشق عدة مرات، وكانت له منزلة خاصة لدى العلماء فيها، توفي ببلدته جمحي سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٦ م) (١٣٧).

(١٣٤) الحنبلي: الانس الجليل، ج ٢ ص ٥١٨.

(١٣٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠ ص ٢٥.

(١٣٦) الفزى، الكواكب السائرة، ج ١ ص ١١١.

(١٣٧) أبو الفلاح، شذرات الذهب، ج ٨ ص ٢٥٣.

تولى منصب القضاء في مصر وبلاد الشام جمهور كبير من فقهاء منطقة شرقي الاردن نذكر منهم:

١ - القاضي غلاء الدين علي بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم المقيري (نسبة الى قرية المقيير بضم الميم ثم قاف مفتوحة) (١٣٨) الكركي الشافعي. تولى كتابة السر بمدينة الكرك، وساعد الملك الظاهر برقوق عندما سجن بالكرك، فلما عاد برقوق الى السلطنة عرف له ذلك الصنيع، فاستقدمه إليه واكرمه وخلع عليه وولاه كتابة سر الديار المصرية، وولاه نظر المدرسة الظاهرية، والحناقاة الشيخونية وتوفي بالقاهرة سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩٢ م) (١٣٩).

٢ - القاضي أحمد بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن سالم المقيري، أخو غلاء الدين علي السالف الذكر. ولد بالكرك سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م)، واشتغل فيها بطلب العلم، فحفظ المنهاج، وجامع المختصرات، ثم اشتغل بالفقه، وقرأ على والده وغيره، وكان والده من تلاميذ السبكي وتولى قضاء الكرك ثم رحل القاضي أحمد الى دمشق والقاهرة والقدس طلباً للعلم، فسمع من فقائها الى أن استقر أخيراً بالكرك. حيث تولى قضاءها بعد موت والده في سنة ٧٦٣ هـ، فعظم قدره وأحبه أهالي الكرك وكانوا لا يفعلون شيئاً إلا بمشورته، فلما سجن الظاهر برقوق بالكرك قام هو وأخوه بمساعدته وتأييده. فلما تولى برقوق السلطنة استدعى القاضي أحمد من الكرك، وخرج لاستقباله ومعه الفقهاء والعلماء ورجال الدولة، فخلع عليه وأكرمه وقلده منصب قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية، وولاه أيضاً تدريس الفقه بالمدرسة الصلاحية المجاورة للشافعي، والحديث

(١٣٨) قرية صغيرة لا تزال موجودة لأن الى الشرق من الطفيلة، جنوبي الكرك.

(١٣٩) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٢ ص ١٣٢ - ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١

ص ٢٩٨، ٣٠٠ - السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٢٣٥.

بجامع ابن طولون. وقد ارتفع قدره في الدولة حتى خوطب (بالجناب العالي). وهو أول من كتب له بذلك من قضاة القضاة. ثم عزل من قضاء مصر وعين في تدريس الخانقاة الصلاحية ببيت المقدس، والخطابة بالمسجد الأقصى، وبقي هناك الى أن توفي فيها سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م). وقد وصف بالعبق والحمة، وفيه يقول السخاوي: «لم يتناول رشوة طول ولايته القضاء بالكرك والديار المصرية، ولا تعمد الحكم بشيء باطل» (١٤٠).

٣ - أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبدالله بن يحيى بن عبدالرحمن الباعوني الأصل الشافعي. ولد بقرية باعونة من قرى عجلون^(١٤١)، وكان والده حائكاً فيها ثم انتقل الى الناصرة فأقام فيها، حيث اشتغل بتجارة البز، وانتقل معه ابنه أحمد فنشأ فيها، وحفظ القرآن. ثم انتقل مع أخيه اسماعيل الصوفي الى صفد حيث تقلد أخوه نيابة القضاء، فحفظ عليه: المنهاجين الفرعي والاصلي، وألفية ابن مالك وغيرها. ثم قدم الى دمشق واتصل بفقائها، فأخذ عنهم الكثير من العلوم: كالفقه والنحو والحديث وأجازوا له. ثم عاد الى صفد وأقام فيها، وسمع به الظاهر برقوق، فولاه خطابة الجامع الاموي بدمشق. وفي سنة ٧٩٣ هـ (١٣٩١ م) ولاه السلطان منصب قاضي قضاة الشافعية بدمشق، فباشر فيها بعبق ومهابة، وتصميم مع نفوذ كلمة، وكان يكاتب السلطان بما يريد فيرجع الجواب بما يختاره. وقد قام بتدريس الفقه والتفسير والحديث بمدارس دمشق ومنها: الشامية الجوانية، والركنية وغيرها، ثم عزل عن القضاء لاختلافه مع

(١٤٠) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ٢١٤ - المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٧٤٤، ٧٤٤ - ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر، ج ١ ص ٩٢، ٩٣ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٢ ص ٢٦، ٢٧ - ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٣٠٥، ٣٠٦ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٦٠، ٦١ الحنبلي: الانس الجليل، ج ٢ ص ٤٥٤ - (١٤١) المقرئ: السلوك، ج ٤ ص ٢٧٧ - النعمي: العنوان في ضبط مواليذ ووفيات أهل الزمان، لوحة ١٠ «مخطوط».

السلطان برقوق. وفي سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) استقر في خطابة بيت المقدس، وفي سنة ٨١٢ هـ ولاء السلطان فرج بن برقوق قضاء دمشق مرة ثانية، وبقي فيها فترة ثم عزل. وأخيراً استقر في منصب قاضي القضاة الشافعية في الديار المصرية، فباشرها مدة ثم عزل، فعاد الى دمشق حيث توفي في سنة ٨١٦ هـ (١٤١٣ م) وهو عميد أسرة آل الباعوني المشهورة. كان خطيباً بليغاً، ظاهر الديانة، كثير البكاء، له نظم ونثر جيد، كتب بخطه الكثير من شعره:

ولما رأَت شيب رأسي بكت وقالت عسى غير هذا عسى
فقلت البياض لباس الملوك فان السواد لباس الاسى
فقالَت صدقت ولكنهُ قليل النفاق بسوق النساء^(١٤٢)

٤ - محمد بن عباس بن محمد بن حسين بن محمود بن عباس الصلتي. نشأ في حجر خاله البرهان وهيبة، ثم طلب العلم على فقهاء دمشق، وتولى القضاء في عدة أماكن منها: قضاء القدس وغزة وبلبك وحمص، ورحل الى القاهرة وسعى في قضاء المالكية بالديار المصرية فلم يتم أمره. ثم تولى قضاء الشافعية بدمشق عدة مرات ثم عزل، وتوفي بدمشق ٨٠٧ هـ (١٤٠٤ م)^(١٤٣).

٥ - سالم بن سعيد بن علوي الحسابي الشافعي. قدم القدس وهو ابن عشرين سنة فتفقه بها على بعض علمائها، ثم ارتحل الى دمشق، فتلقى علوم النحو والفقه على عدد من الفقهاء والعلماء: كالسبكي، والعلاء حجي وغيرهما.

(١٤٢) ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر، ج ١ ص ١٠٩ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٤ ص ١٢٤ - الخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٣ - والذيل على رفع الأصر، ص ١٠٥، ١٠٩ - الحنبلي: الانس الجليل، ج ٢ ص ٤٨٢ - ابن طولون: قضاة دمشق، ص ١٢٢، ١٣٢ - أبو الفلاح: شذرات الذهب، ج ٧ ص ١١٨، ١١٩.

(١٤٣) المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ١١٦٨ - الخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ٢٧٧ - ابن طولون: قضاة دمشق، ص ١٢٨.

ثم رحل الى القاهرة وأخذ الفقه على البلقيني، وأخيراً عاد الى دمشق فولي قضاء بصرى، ولم يزل ينتقل في النيابة بالبلاد الى أن مات سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) (١٤٤).

٦ - قاسم بن سعد بن محمد الحساباني الشافعي ويعرف بالسماقي. أخذ العلم على فقهاء دمشق، ثم تعانى بالشهادة والتوقيع، وناب في الحكم عن ابن حجي، وتولى قضاء حمص، وكان كثير الجرأة، متساهلاً في الأحكام، وتوفي سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) (١٤٥).

٧ - العلاء علي الكركي المالكي، ويعرف بابن المزوار، تفقه ببلده وتولى عدة مناصب منها الحسبة في نابلس وقضاء الكرك وكتابة سرها. وقد تولى قضاء غزة ثم قضاء بيت المقدس أكثر من مرة، توفي بالقاهرة سنة ٨٨٥ هـ (١٤٨٠ م) (١٤٦).

٨ - عبد القادر بن محمد بن جبريل الهيوبي المجلوني الشافعي، أخذ العلم ببلده وحفظ الحاوي وغيره، ثم رحل الى دمشق فأخذ العلم على فقهاءها. تميز بالفضيلة وناب في الحكم في عجلون ثم تولى قضاءها وتولى قضاء القدس مدة وعزل، فرحل الى القاهرة وناب في الحكم بها مدة ثم عاد الى بلده بطالا. توفي سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) (١٤٧).

٩ - تاج الدين عبد الوهاب بن القاضي برهان الدين ابراهيم ابن قاضي الصلت الشافعي، كان من أعيان شهود المدول في بيت المقدس، عظمه الحكام والقضاة وياشر تحمل الشهادة بالقدس مدة. ثم توجه الى مدينة الرملة فأقام بالمدرسة الخاصكية الى أن توفي سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) ودفن عند قبة الجاموس (١٤٨).

(١٤٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٣ ص ٢٤١.

(١٤٥) السخاوي: المصدر السابق، ج ٦ ص ١٨٠.

(١٤٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦ ص ٥٦.

(١٤٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤ ص ٢٨٨.

(١٤٨) الحنبلي، الانس الجليل، ج ٢ ص ٥٣١.

- بدر الدين محمد بن البرهان ابراهيم بن وهيبه الصلتي خال القاضي محمد بن عباس الصلتي السالف الذكر ومربيه، ناب في الحكم بنابلس ثم تولى قضاءها. تقلد منصب القضاء في بعلبك مدة ثم نقل الى دمشق واستناب في الحكم والخطابة فيها وأثناء إقامته بدمشق درس بالمدرسة الأكرزية ومشيخة الأسدية. ثم ولي قضاء طرابلس واستمر فيها نحو عشرين سنة، حدث بنابلس وبعلبك ودمشق وطرابلس. وصف بأنه أقدم من اشتغل بالقضاء، كان جيد السيرة في الأحكام توفي سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) له نظم جيد منه:

زار الحبيب بلا زعد تقدمه فلك الهنا يا مقلتي فتمتعي
سرحت طرفي في بهاء جماله وحفظت جوهر لفظه في مسمعي
وفرشت خدي في الثرى لقدمه وجعلت منزله حشاي وأضلعي
ونحرت نومي في الجفون قرى له وسألته وصلا بغير تمنع
فأجابني بالمنسع وهو مودّع أهلا به من زائر ومودّع^(١٤٩)

١١ - عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الله الزين الحسابي الحنفي، سكن دمشق وأخذ العلم على فقهاؤها، ثم استقر في قضاء الحنفية بدمشق وعزل. توفي سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩١ م)^(١٥٠).

١٢ - برهان الدين ابراهيم الحسيني الصلتي الشافعي، استقر في دمشق وولي نيابة القضاء فيها. توفي سنة ٩١٩ هـ (١٥١٣ م)^(١٥١).

(١٤٩) النيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج ١ ص ١٦٧، ١٦٨.

(١٥٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤ ص ٦١.

(١٥١) الغزى، الكواكب السائرة، ج ١ ص ١١١.

(٤)

الحركة الأدبية

بدأت الحركة الأدبية في شرقي الأردن منذ أن استقر السلطان الملك الناصر داود الأيوبي في الكرك مؤسساً إمارة الكرك الأيوبية. وأتيح للكرك بذلك أن تصبح قبلة الأدباء والعلماء، فأحاط نفسه بالمديد منهم أمثال: الأديب فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي الغفاري، المعروف بابن بصافة والنحوي الأديب ابراهيم بن علي بن اسحق بن علي الأموي القرشي^(١٥٢) وغيرهما كثير. وقد بارك الناصر داود الدراسات الأدبية والشعرية في الكرك، وكان «معتنياً بالكتب النفيسة، حصل منها جملة كثيرة ذهبت بعد وفاته، وكان يجيز الشعراء بالجوائز السنوية»^(١٥٣)، فقد أجاز الشاعر راجح الحلبي على إحدى قصائده أربعين ألف درهم، وامتدحه مرة وهو بنابلس، فأجازه بألف دينار مصرية^(١٥٤) ولم يكن ذلك بالأمر المستغرب من الناصر داود العالم الأديب الشاعر فهو القائل:

زار الحبيب وذيل الليل منسدل فانجباب عن وجهه داجي غياهبه
فقال لي صاحبي والضوء قد رفعت يداه من ليلنا مرخى جلابيه

(١٥٢) ابن سعيد: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص ٢٩٩ - اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ١٢٨، ١٣٢ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ص ١٨٤ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٧ ص ٥٩.

(١٥٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ١٤٥.

(١٥٤) اليونيني: المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٥.

أما ترى الضوء في ليل الهاق لقد جاء الزمان بضرب من عجائبه
فقلت يا عادلاً من نور طلعتَه أما ترى البدر يبدو في عقاربِه (١٥٥)

وهناك أيضاً موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القف، من نصارى الكرك وعميد أسرة آل القف، وكان صديقاً لابن أبي اصيبعة، كما كان أديباً جيد الحفظ للشاعر متمكناً في علم التاريخ وأخبار الأول، متميزاً في اللغة العربية وفنونها الأدبية وعلى معرفة جيدة بكل أصولها وفروعها، اشتهر بالخط الجيد الممتاز حتى قيل فيه «وله الخط المنسوب الذي هو نزهة الأبصار ولا يلحقه كاتب في سائر الأقطار والأمصار» (١٥٦) وقد عمل كاتباً بصرخد في ديوان البر، ثم انتقل الى دمشق واشتغل في ديوان إمارتها.

وبرز في هذا المجال أيضاً: ابراهيم ومحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج الباعوني شقيقا قاضي القضاة أحمد بن ناصر الباعوني سالف الذكر. أما ابراهيم فقد برع في النظم والنثر بالإضافة الى كفاية في العلوم الدينية ومن مؤلفاته: مختصره لكتاب «الصحاح للجوهري» وله «ديوان شعر» من نظمه و«ديوان خطب من إنشائه» و«الفيث الهاتن في وصف العذار الفاتن». وفي هذا الكتاب الأخير يقول السخاوي: «أتى فيه بمقاطع جميلة رائقة، ومعان فائقة، اشتمل على نحو مائة وخمسين مقطوعاً أودع كلا منها معنى غريباً غير الآخر». وقد اشتهر أمر هذا العالم الأديب حتى أصبح بحق شيخ الأدب في البلاد الشامية بغير منازع اذ جمع بين الاقتدار على النظم الجيد والبراعة في فن الانشاء والتراسل والنثر، ومن شعره:

ألم تراني قد خلقت كما ترى بأخلاق احرار الورى أمخلق
وإني صبار شكور وحامد وإني إذا أملت لا أتملق
وإن عرضت لي حاجة من حوائجي فإني بغير الله لا أتعلق
نظرت الى الدنيا ونعمة آها فما هي إلا كالشور تحلق

(١٥٥) اليونيني: المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٩.

(١٥٦) ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء، ج ٢ ص ١٧٣. وأنظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤

وشاهدت هامات لم بسيوفها وقد أصبحت ملولة تتفلق
وله أيضاً:

سل الله ربك ما عنده ولا تسل الناس ما عندهم
ولا تتبغى من سواه الفنى وكن عبده ولا تكن عبدهم (١٥٧)

وتدرج ابراهيم الباعوني في عدد من الوظائف بدمشق، منها خطابة الجامع
الأموي، ومشيخة الخانقاة الباسطية، وتوفي بها في سنة ٨٧٠ هـ (١٤٦٥ م) (١٥٨).

أما أخوه محمد بن أحمد الباعوني فقد ولد بدمشق كأخيه ابراهيم، نشأ بها
فحفظ القرآن والمنهاج، ودرس مع أخيه على علمائها وفقهائها. وصنف عدداً من
المؤلفات منها كتاب: «منحة اللبيب في سيرة الحبيب» الذي نظم فيه السيرة
النبوية بأكثر من ألف بيت من الشعر وكتاب «تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك
والخلفاء» وكتاب «ينابيع الأحزان» الذي ألفه بعد وفاة ابن له. تقلد عدة
وظائف بدمشق، وخطب بالجامع الأموي - ومن روائع شعره قوله في رثاء ولده
محمد:

أمحمداً إن كان قد عز اللقاء ومضت مسرات الحياة بأسرها
فلأبكينك ما حييت وإن أمت فلتبكينك أعظمي في قبرها

وتوفي بدمشق سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) (١٥٩).

ومن أبرز شعراء عجلون في عصر دولة المماليك الأولى الشاعر الأديب محمود
ابن طي العجلوني توفي سنة ٧٣٤ هـ (١٣٣٣ م) وقد امتاز بركة أشعاره الوصفية
والقدرة على التأثير في النفس، ومن شعره:

بالناظر الفتان الوسنان ذي الدعج وما نجد الذي نهوى من الضرج

(١٥٧) السيوطي: نظم العيان، ص ١٣ - ١٥.

(١٥٨) أبو الحسن: المنهل الصافي، ج ١ ص ٢٦ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ٢٦.

(١٥٩) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١١٤.

قم يوماً نديم فما في الوقت من حرج انظر الى حسن زهر الروضة البهج
واسمع ترنم هذا الطائر الهزج^(١٦٠)

ومن شعراء الكرك نذكر الشاعر أحمد الشهاب الكاسي الكركي (ت ٨٢٥ هـ)
(١٤٢٢ م)، والذي تولى منصب كاتب سر الكرك، ثم التوقيع بالخليل وقد
وصفه السخاوي بأنه « كان شاعراً جيداً له نظم كثير »^(١٦١).

ومن اشتهر بالشعر في عصر دولة المهاليك الثانية نذكر: عائشة بنت يوسف بن
أحمد بن ناصر المعروفة بالباعونية، نشأت في دمشق حيث تلقت العلم على علمائها
وفقائها، ثم رحلت الى القاهرة، فأخذت العلم على كبار العلماء فيها ونالت حظاً
وافراً منه وأجيزت بالافتاء والتدريس.

وصفت بأنها (الشيخة الصالحة الأريية العالمة العاملة) لها عدة مصنفات نذكر
منها: الفتح الحنفي، والملاح الشريفة والآثار المنيفة، ودر الغائض في بحر
المعجزات والخصائص وهو قصيدة رائية، والاشارات الحفية في المنازل العلية
وهي أرجوزة شعرية اختصرت فيها منازل السائرين للهروي، وأرجوزة لخصت
فيها (القول البديع في الصلاة على الحبيب للسخاوي).

ومن شعرها:

نزه الطرف في دمشق ففيها
هي في الأرض جنة فتأمل
كم سما في ربوعها كل قصر
وتناغيك بينها صارخات
كلها روضة وماء زلال
كلما تشتهي وما تحتار
كيف تجري من تحتها الأنهار
أشرفت من وجوهها الأقطار
خرجت عند نطقها الأوتار
وقصور مشيدة وديار

كانت لها منزلة خاصة لدى السلاطين المهاليك، وتوفيت سنة ٩٢٢ هـ
(١٥١٦ م)^(١٦٢).

(١٦٠) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥ ص ٩٤.

(١٦١) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٢٥٨.

(١٦٢) أبو الفلاح، شذرات الذهب، ج ٨ ص ١١١ - ١١٣.

وعلاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن موسى بن محمد، الشافعي الدمشقي، ولد بالشوبك سنة ٨٥٧ هـ، ونشأ في دمشق وأخذ العلم على علمائها، كان مؤذناً بالجامع الأموي. وصف بأنه كان فاضلاً بارعاً شاعراً له ديوان شعر لم يشتهر، من شعره:

أمر يطول ومدة متقاصره وبصائر عميت وعين باصره
فإلى متى يا نفس وبجك صابره لرب الرحيل الى ديار الآخرة
فاجمل إلهي خير عمري آخره
فالعيش في الدنيا كلذة حالم وسواك يا مولاي ليس بدائم
وإليك مرجعنا بأمر جازم فلئن رحمت فأنت أكرم راحم
وبحار جودك يا إلهي زاهره
يا رب إن الدهر أبلى جدتي وعصيت في جهل الشباب وجدتي
فإذا تضرمت ما بقي من مدتي آنس مبيتي في القبور ووحدتي
وارحم عظامي حين تبقى ناخره
ان كنت ترحم من مضت أعوامه في لهوه حتى نمت آثامه
والعفو منك رجاءه ومرامه فأنا المسكين الذي أيامه
ولت بأوزار غدت متواتره
فبوجهك الباقي وعز جلاله ومحمد سر الوجود وآله
رفقاً بمن أنت العليم بحاله وتولاه باللطف عند مآله
يا مالك الدنيا ورب الآخرة

اشتغل علاء الدين بالتجارة في مدينة دمشق وتوفي فيها سنة ٩٣٧ هـ (١٥٣٠ م) (١٦٣).

(١٦٣) أبو الفلاح، شذرات الذهب، ج ٨ ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٥)

العلوم العقلية

العلوم العقلية إطار ضخم يضم ألواناً من المعرفة التطبيقية وتشتمل على علم الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والفلسفة والهندسة. وكانت هذه العلوم في العصور الوسطى ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، فكثيراً ما كان العلماء يجمعون في معارفهم الموسوعة بين الطب والصيدلة والفلسفة والعلوم الدينية في آن واحد، وكانت الكرك مركزاً هاماً للدراسات العقلية في بلاد الشام في العصر الأيوبي منذ أن تولى الناصر داود إمارتها وبعد أن حاربها السلطان الملك الأشرف صاحب دمشق^(١٦٤). وأول من أسندت إليه الرئاسة في الكرك في مجال العلوم الطبية العالم الأجل شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي (ت ٦٥٢ هـ) بتشجيع من الناصر داود نفسه، فقد ذكر ابن العبري: «أنه كان يتردد الى شمس الدين الخسروشاهي يقرأ عليه كتاب عيون الحكمة للشيخ أبي علي بن سيناء، وكان إذا وصل الى رأس الهلة التي بها منزل الخسروشاهي أوماً الى من معه من الحشم والمهاليك ليقفوا مكانهم ويترجل ويأخذ كتابه تحت إبطه ملتفاً بمنديل ويجيء الى باب الحكيم ويقرعه فيفتح له ويدخل ويقرأ ويسأل عما خطر له، ثم يقوم ولم يمكن الشيخ من القيام»^(١٦٥). وقد انقطع إليه الخسروشاهي تلميذ الرازي، فوصله

Recueil des historiens des croisades. H. Orientaux, vol. 4, P. 192.

(١٦٤)

أحمد أحمد بدوي: مأمون بن أيوب، ص ٩٠.

(١٦٥) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٥٤.

الناصر بأموال جمة، وكذلك كل من «اتمنى إليه استفاد من ماله ومن علمه فكانوا معه كما قيل: يأخذ من ماله ومن أدبه» (١٦٦).

وفي هذا المجال أعني العلوم الطبية نبغ في المنطقة موضوع الدراسة شخصيات كان لها أبعاد الأثر في الازدهار الحضاري الذي أصابته البلاد في عصر دولة المهاليك الأولى وفيما يلي عرض لأبرز هذه الشخصيات:

١ - الحكيم أبو الفرج بن يعقوب بن اسحق بن القف: من نصارى الكرك. وابن الأديب الكاتب يعقوب بن اسحق السالف الذكر. ولد بالكرك سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م)، فنشأ فيها وتلقى العلوم على رجالها، وكان أبوه صديقاً لابن أبي اصيبعة الطبيب المشهور، فدفعه إليه ليأخذ العلم على يديه، فقرأ عليه حفظاً مسائل حنين، والفضول ومقدمة المعرفة لأبقراط، وقرأ عليه في العلاج من كتب أبي بكر الرازي ما عرف به أقسام الأسقام وعلاجها، وقد أظهر أبو الفرج نجابة من صغره. وأخذ العلم في دمشق على فحول حكائها وأطبائها نذكر منهم: الشيخ شمس الدين عبد الحميد الحسروشاهي، كما قرأ كتاب اقليدس على مؤيد الدين العرضي، وقرأ أيضاً في صناعة الطب على الحكيم نجم الدين بن المنفاخ، وموفق الدين يعقوب السامري. ولما استكمل تحصيله في العلوم الطبية خدم في قلعة عجلون، وأقام بها عدة سنين ثم عاد الى دمشق وخدم في قلعتها، ودرّس الطب في دمشق فأخذ عنه كثير من الطلاب وتنسب إليه مؤلفات عديدة منها: «كتاب الشافي في الطب» في أربعة مجلدات، و«شرح الكلبيات من كتاب القانون لابن سينا» في ستة مجلدات، و«شرح الفصول لأبقراط» في مجلدين كما صنف «مقالة في حفظ الصحة» وألف «كتاب جامع الغرض» في مجلد واحد و«حواشي على ثالث القانون»، و«شرح الاشارات» مسودة لم تتم. و«المباحث المغربية» لم تتم. ثم «كتاب العمدة في صناعة الجراح» ويتضمن عشرين مقالة، وهو كتاب علم وعمل، يذكر

(١٦٦) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ١٤٨.

فيه تشريح الأعضاء، والأورام وأنواعها، والكسور، والجروح، وجميع ما يحتاج إليه الجراحي: وفي مقدمة هذا الكتاب يقول: «وبعد فقد شكنا إليّ بعض جراحية زماننا قلة اهتمام أرباب هذا الفن بأمر هذه الصناعة، وإن واحداً منهم لم يعرف سوى تركيب بعض المراهم، وإضافة مفرداتها بعضها إلى بعض، وأنه لو سأله سائل ما هذا المرض الذي تعالجه وما سببه، ولم تداويه بهذه المداواة، وما قوة كل واحد من مفرداتها، وما الفائدة في تركيب هذه المفردات، ولم لا تستعمل هي بمفردها، لم يكن عنده ما يجيبه عن ذلك سوى أنه يقول: رأيت معلمي وهو يستعملها في مثل هذه الصورة فاستعملها... وهذا خطأ زائد، فلا بد للمعالج من معرفة ما يعالجه»^(١٦٧) وتوفي ابن القف في دمشق سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)^(١٦٨). فبكاه طلابه وتلاميذه وافتقدوا فيه العالم الحكيم وأوحدي زمانه، رثاه سيف الدين أبو بكر المنجم بأبيات نذكر منها:

يا مأتما قد أتى بالويل والحرب رميت ركن الحجى والمجد بالعطب
أيتمت طلاب علم الطب قاطبة وعوضوا عنك بالأفعال في التعب
حق علينا بأن نفيديك أنفسنا لو كان ذاك لبادرناك في الطلب
أبعد درسك يا ابن القف ينفعنا أقوال قوم عن التحقيق في حجب
أأطمع الآن في درس ومدرسة إني إذا لخؤون غير ذي حسب
لهني على كهف علم كان يجمعنا ذوى وأضحى رهين الحتف في الترب^(١٦٩)

٢ - الحكيم الأجل سديد الدين أبو منصور بن يعقوب بن اسحق بن القف، من نصارى الكرك، وابن الحكيم العظيم ابي الفرج بن يعقوب بن القف السالف الذكر. أخذ علم الطب على أبيه كما أخذه على غيره من العلماء نذكر منهم الامام شمس الدين الخسروشاهي، حيث قرأ عليه بالكرك

(١٦٧) ابن القف: العمدة في الجراحة، مطبعة دائرة المعارف الثانية، حيدر أباد، الهند، ١٣٥٦ هـ.

ج ١ ص ٢.

(١٦٨) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج ٢ ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(١٦٩) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ٣١٣.

كثيراً من العلوم الحكيمية. وقد وصف بأنه من أعيان العلماء، متميز في صناعة الطب وعملها، متمن لفصولها. استأثر به الملك الناصر داود، وقام في صحبته بالكرك، وكان موضع ثقته مكيناً عنده، معتمداً عليه في صناعة الطب. وفي آخر أيامه قدم دمشق وأقام فيها الى أن توفي (١٧٠).

٣ - علم الدين توما بن ابراهيم الطبيب الشوبكي: كان عارفاً بعلوم الطب متمكناً في صنمته حتى صنف فيه، فله «اختصار مسائل حنين». وقد اختص به السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأصبح من أطبائه المقربين وتوفي بالقاهرة سنة ٧٢٤ هـ (١٣٢٤ م) (١٧١).

٤ - جمال الدين يوسف الطبيب الشوبكي: عرف بمهارته في الطب، وقد زاول مهنته في القاهرة حيث توفي سنة ٧٧٢ هـ (١٣٧٠ م) (١٧٢).

وفي مجال علم الكيمياء نبغ عدد من كبار العلماء منهم يوسف بن سليمان الكركي، الذي ذاع صيته في بلاد الشام، وادعى أنه توصل الى علم الكيمياء، وهو الاكسير الذي يوضع قليله على النحاس فيصير ذهباً، وعلى الرصاص فضة (١٧٣). فاتصل بنائب صند فأتلف له مالا كثيراً فأمر باعتقاله ثم أفرج عنه. وعندئذ قصد الأمير تنكز نائب دمشق ولما لم يستطع اثبات صدق تجاربه هم بقتله. إلا أن أمره وصل الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة، فأرسل يستدعيه على البريد، فاجتمع به وخلع عليه، وأجرى له راتباً وأفرد له مكاناً، وسلمه الى الأمير سيف الدين بكتمر الساقى، فنزل بداره. ثم استدعى الآلات، وأحضر رئيس دار الضرب وعدداً من الأمراء والصاغة وأجرى التجربة في حضرة السلطان، فأحضر بوتقة ملأها بالنحاس والتصدير والفضة، ثم وضعها على النار حتى ذاب الجميع، ثم ألقى عليها شيئاً من الزئبق، وحركها على النار، ثم

(١٧٠) ابن أبي أصيمة: عيون الأنباء، ج ٢ ص ٢١٦.

(١٧١) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٦٣.

(١٧٢) المقرئزي: السلوك، ج ٣ ص ١٩٤.

(١٧٣) المحي: خلاصة الأثر، ج ١ ص ٢١٤.

أفرغها أمامهم فإذا هي سبيكة ذهب كأجود ما يكون زنتها ألف مثقال^(١٧٤). فلم يشك السلطان في صدقه وأعجب به، فخلع عليه خلعة سنية. فاشتهر أمره وصار غالب حاشية الناصر يتقربون إليه ويخدمونه، وحصل منهم مالاً كثيراً. ثم طلب من السلطان فضة مصفاة، وذهباً افلوريا وزئبقاً، فطلب السلطان الزئبق من القاهرة ومصر والاسكندرية، واستنفذ جميع ما عند الناس من الزئبق، وأخذ كمية من الذهب ثم أحضر للسلطان ألف دينار، وادعى أنها من صنعته، فأنعم عليه بها وخلع عليه ثانية. وأتاه عدة من الناس يسألونه في أخذ أموالهم، طمعا في أن يفيدهم الصنعة أو يفتنهم منها. ولما شعر أن أمره سينكشف، طلب من السلطان السفر الى الكرك لاحضار حشائش خاصة يستعملها في صناعته. فأذن له وأرسل معه من يحفظه، وكتب الى نائب غزة والكرك بإكرامه وتسهيل مهمته، وعند عودته اتضح كذبه فهرب في رمضان سنة ٧٣١ هـ واختفى. فأرسل السلطان الى جميع النواب والولاة بالبحث عنه، فألقي القبض عليه في اخميم بصعيد مصر، وأحضر الى القاهرة فأمر السلطان بضربه ضرباً شديداً، ثم رسم بتسميره. فمات في نهاية ذي الحجة سنة ٧٣١ هـ (١٣٣١ م) (١٧٥).



(١٧٤) النويري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ١٠٥ «مخطوط» - المقرئبي: السلوك، ج ٢ ص ٣٢١.
(١٧٥) النويري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ١٠٥، ١٠٦ «مخطوط» - المقرئبي: السلوك، ج ٢ ص ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٤ - ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٥ ص ٢٣١.

الفصل السادس

الأثار الباقية في المنطقة

١ - الأثار الدينية:

المسجد الجامع بمجلون .

٢ - الأثار المدنية:

أ - الحمامات .

ب - الخانات .

١ - خان العقبة (قلعة العقبة) .

٢ - خان الحسا .

٣ - خان القطرانة .

٤ - خان قياد (ضبعة) .

٣ - الأثار الحربية:

١ - قلعة الشوبك .

٢ - قلعة الكرك .

٣ - قلعة عجلون .

(١)

الآثار الدينية

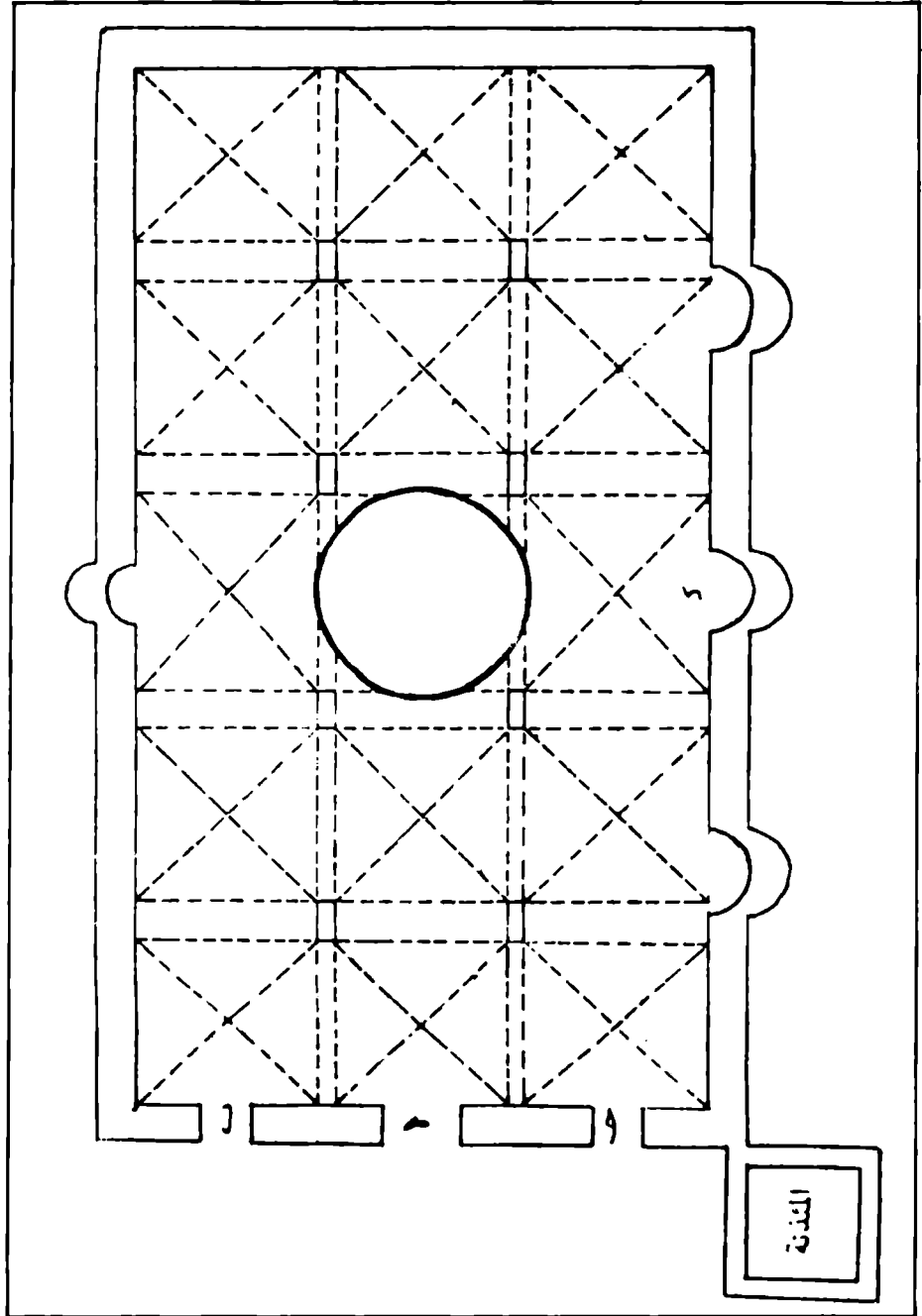
من ألاف المنشآت التي زخرت بها منطقة شرقي الأردن في عصر دولة المماليك لم يتبق إلا آثار ضئيلة بعضها ديني والبعض مدني، والبعض الآخر حربي، وفيما يلي عرض لأهم الآثار الباقية.
المسجد الجامع بعجلون:

كانت مدينة عجلون تحت حكم السلطان الأيوبي الملك الناصر داود ضمن إمارة الكرك الأيوبية، وظلت كذلك حتى أواخر سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٦ م) حيث أتى سيف الدين علي بن قلعج صاحب قلعتها الى دمشق، بعد أن شق عصا الطاعة على الناصر داود، وأعلن دخوله في طاعة الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، فسلم القلعة لنوابه أعني نواب الصالح مع ما كانت تشتمل عليه من الذخائر والأموال^(١). وعندئذ رتب الملك الصالح بقلعة عجلون الأمير علاء الدين ايدكين بن عبد الله البندقدار الصالح، فاستقر بها ومعه مماليكه وفي جملتهم المملوك بيبرس الذي أصبح سلطاناً فيما بعد^(٢)، فأقام هذا في عجلون مع سيده وأتيح له أن يتعرف على المدينة وعلى أهلها. وعندما استقرت عجلون في يد الملك الصالح نجم الدين أيوب، أمر في سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) ببناء مسجدها

(١) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٤٩٩ - ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج ٣ ص ٨٩، النويري: نهاية الارب، ج ٢٧ لوحة ٨٠ «مخطوط».

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ٢٦٢.

رسم تخطيطي للمسجد الجامع في مدينة عجلون عن أرشيف قسم الآثار الإسلامية
بوزارة الأوقاف الأردنية



الجامع، كما تدل على ذلك اللوحة التأسيسية الموجودة فوق أحد أبواب بيت الصلاة ولم يكن للمسجد مئذنة في ذلك العهد. وهذا الجامع هو أحد جامعين أقيما في عجلون تشير المصادر الى أن الثاني أقيم على يد الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الحسامي نائب دمشق^(٣) (ت ٧٤١هـ)، وإن كان هذا الجامع لم يصل إلينا أي أثر منه.

وعندما تمكن الملك الظاهر بيبرس من الاستيلاء على السلطنة، ودانت له مصر وبلاد الشام، لم ينس مدينة عجلون التي نعم بالاقامة فيها حيناً من الوقت في صحبة أستاذه. ولذلك لم يتردد في أن يترك فيها بصماته تعبيراً عن حبه لأهلها فأصدر أمره في سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٣م) ببناء صومعة الى مسجدها الجامع وما زالت اللوحة التأسيسية المثبتة على جدار الصومعة تسجل تاريخ الشروع في البناء.

وفي عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون اجتاحت مدينة عجلون في ٢٨ ذو القعدة سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٨م) سيل جارف، وهدم أجزاء كبيرة من أسواق المدينة وقياسرها، وأتلف منشآت عديدة بداخل المدينة وخارجها، ولم يسلم جامع عجلون من هذا السيل فقد تسبب في هدم الرواق القبلي والباب الشرقي للجامع^(٤). كما جرف في طريقه طهارة الجامع، وهدم «وقف الجامع على ما فيه من الأمتعة والبضائع»^(٥) واقتحم السيل بيت الصلاة، حاملاً معه الطين والأخشاب، حتى بلغ ارتفاع الماء داخل الجامع الى القناديل المعلقة به برسم الاضياء ليلاً^(٦). ولذلك بادر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بإعادة بناء

(٣) وقد عرف هذا الأمير ببناء الأوقاف العديدة في بلاد الشام منها: مارستان بصفد وجامع بنابلس وعجلون وجامع بدمشق، ودار حديث بالقدس ودمشق، ومدرسة وحاتقة بالقدس، ورباط وسوق موقوف على المسجد الأقصى، وقيسارية في مدينة عجلون وقفها على بيارستانه بصفد (النوري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩٠ «مخطوط» ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤ ص ١٨٧ أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٩ ص ١٥٨).

(٤) النوري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩٠ «مخطوط».

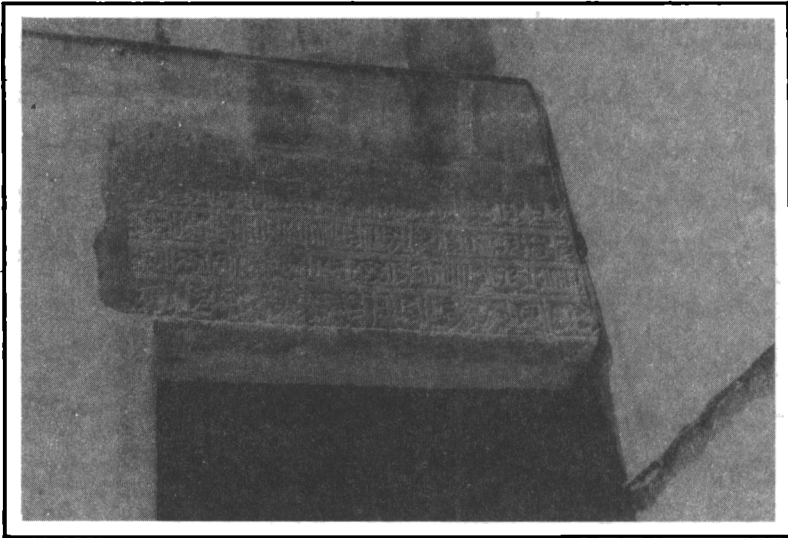
(٥) النوري: نهاية الارب، ج ٣١ لوحة ٩١ «مخطوط».

(٦) أنظر وصف هذا السيل في اللاحق.

المدخل الشرقي للجامع ورواقه القبلي والطهارة وأثبت ذلك على لوحة تأسيسية
نشاهدها اليوم في صحن الجامع تحمل تاريخ سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣١ م).

وجامع عجلون يقع في منتصف المدينة الحالية تقريباً على يسار الصاعد الى
قلعة عجلون. ويعتبر من أقدم المساجد الجامعة الباقية في الأردن اذ يشمل
بنيانه على عناصر معمارية يرجع تاريخها الى عصر الدولتين الأيوبية والملوكية.
والجامع بناء اسلامي لا أثر فيه للتأثيرات المسيحية، مما يدل على أنه بني بناء
جديداً، وأنه لم يبن لا داخل نطاق كنيسة ولا على أنقاض كنيسة قديمة كما أن
تخطيط الجامع يتبع النظام القديم للمساجد الجامعة، فيشتمل على بيت للصلاة
وصحن مستطيل يدور حوله ثلاثة مجنبات الى جهاته الشرقية والشالية والجنوبية
وقد تعرضت المئذنة الشرقية والجنوبية والميضأة للهدم عقب سيل سنة ٧٢٨ هـ ثم
أعاد الناصر محمد بنيان ما وهى من بنيته بما في ذلك المدخل الشرقي للجامع
والظاهر ان هذا المدخل تعرض حديثاً هو والمئذنة الشرقية للهدم وأقيم مكانها
بناء حديث يشتمل على عدد من المخازن التجارية، يعلوها مكاتب لدائرة
حكومية. ولا شك أن واجهة المسجد كانت على نسق الواجهات مدخل مهيب،
يعلوه عقد يتألف من سنجات حجرية متعاشقة يتناوب فيها اللونان الأبيض
والأسود، على شكل زخرفي جميل وباب خشبي تكويه صفائح من النحاس المحرم
بنقوش نباتية وهندسية بلغت الغاية في الاتقان وكانت هذه المداخل بما تحتويه
من زخارف ونقوش بلغت حداً كبيراً من الجمال والكمال متحفاً للفن الاسلامي،
وكان الاهتمام بها كبيراً باعتبارها مقدمات لبيوت الصلاة^(٧). وقد أشرف على
بناء المدخل والرواقين والطهارة قاضي عجلون تاج الدين محمد الاخنائي وما
زالت اللوحة الانشائية التي سجلت عليها أعمال الترميم وتاريخ الشروع فيه مقامة
اليوم على مجموعة من الحجارة مثبتة في صحن المسجد بطريقة عشوائية بعد أن
انتزعت من موضعها الأصلي على المدخل، ونص الكتابة التي قرأتها كما يلي:

(٧) ستانلي لينول: سيرة القاهرة، ص ١٩٩ - عبد العزيز سالم: القيم الجاهلية في فن العمارة
الاسلامية، ص ١٦ - أحمد أحمد يوسف: تاريخ الطرز، ص ٥٤ - كمال الدين سامح: العمارة
الاسلامية، ص ٧٨.



نقش يمثل اللوحة التأسيسية لبناء جامع عجلون في عهد السلطان الصالح نجم الدين
أيوب سنة ٦٤٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فمسي أولئك أن
يكونوا من المهتدين جدد هذا الباب المبارك في أيام قاضي القضاة
علم الدين الاخنائي بالشام المحروسة بأمر مولانا القاضي تاج الدين
محمد الاخنائي الحاكم بمجولون سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة من الهجرة
النبوية المحمدية^(٨) .

وعندما يدلف المرء من صحن الجامع الى بيت الصلاة يلاحظ أنه روعي في
بنيان مسطح بيت الصلاة أن يتلاءم بنيته مع طبيعة المناخ فمجولون تقع في منطقة
جبلية باردة ولذلك كان بيت الصلاة على نحو أقرب الى الانفلاق . ويمكن
الدخول إليه من ثلاثة أبواب تفتتح في الجدار الشرقي وقد حدد المداخل في
معظم المساجد بثلاثة لأن هذا العدد كان يتفاهل به الشاميون ويتباركون به^(٩) .
ويؤدي كل باب منها الى احدى البلاطات الثلاث الممتدة عرضاً من الشرق الى
الغرب بجذاء جدار القبلة ويعتبر الباب الأوسط المدخل الرئيسي لبيت الصلاة
ويعلوه عقد متجاوز على شكل حذوة الفرس ويرتفع هذا المدخل عن أرضية
بيت الصلاة ، فلا بد من ارتقاء بمض الدرجات للوصول الى الداخل . والبابان
الآخران يقعان الى شمال هذا المدخل والى جنوبه وكلاهما على شكل مستطيل
يعلوه عتب مستقيم (أو اسكفة مستقيمة) . أما الباب الشمالي فيبلغ ارتفاعه ٣٩٠
سم وعرضه ١١٥ سم . ويحمل فوق اسكفته المستقيمة نقشاً كتابياً يمثل لوحة تأسيس
بيت الصلاة ، قرأت ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة . ولم يخش إلا الله فمسي
أولئك أن يكونوا من المهتدين . هذا ما أشأ وأعمر العبد الفقير إلى

(٨) وانظر النص أيضاً :

Combe, Sauvaget, wiet,

Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe, vol. 15, P. 12.

(٩) توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ القاهرة: ص ٢٣٧ .

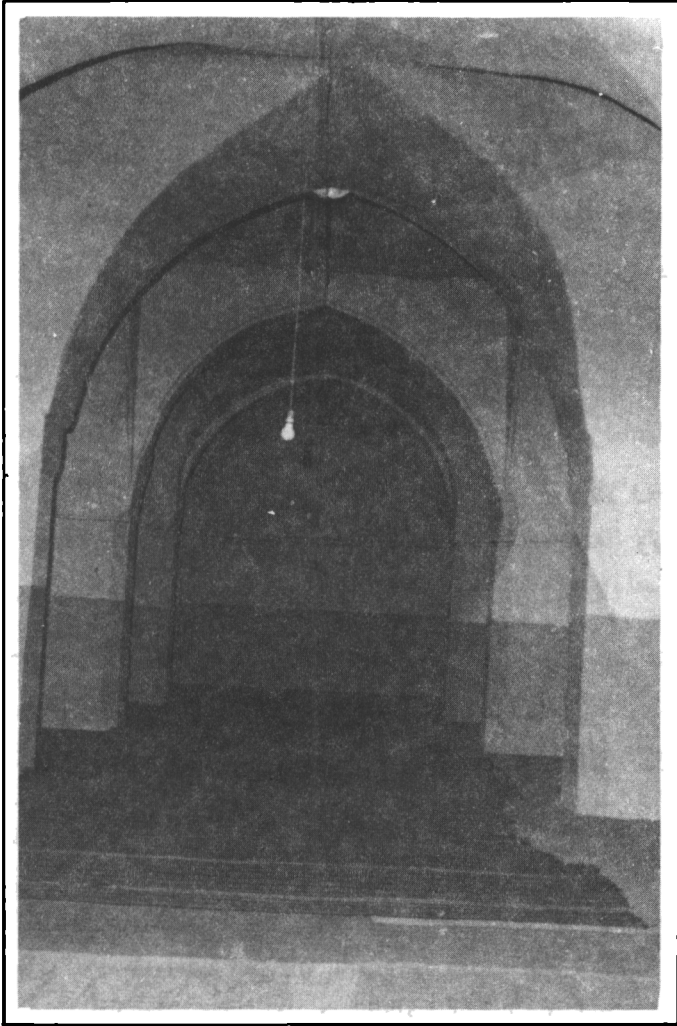
رحمته الراجي عفوه وغفرانه عمر بن دعماش بن يوسف الحميدي
الملك الصالح النجمي، في أيام مولانا السلطان الملك الصالح أبو
المكارم نجم الدين والدنيا أيوب بن خليل أمير المؤمنين، جمع الله له
خير الدنيا والآخرة، وذلك في المشر الأخير من شهر جمادى الآخرة
المبارك لسنة خمس وأربعين وستائة أثابه الله تعالى .

وبيت الصلاة مستطيل الشكل يبلغ طوله من الداخل ٢٧,٩ متراً وعرضه
١٤,٩ متراً، ويفتح من جدار القبلة نافذتان، الأولى في أعلى الأستوان القائم
شرقي أستوان المهراب، والثانية في أعلى الأستوان الأخير غربي المنبر. تنقسم
البلاطات المرصية الثلاثة^(١٠) في بيت الصلاة الى خمسة عشر أستواناً، وتعلو
هذه الأستوانين قبوات متعارضة. ويفصل البلاطات فيما بينها صفوف من الدعائم
المربعة الضخمة عددها ثمانية، طول ضلع الواحدة ٨٠ سم، وارتفاعها نحو مترين
أقيمت صفوفاً موازية لجدار القبلة، تنبت منها عقود مدبية، ويستند العقد
الأخير في كل الجهات الأربع على دعيمة ملتصقة بالجدار نفسه، ويرتفع سقف
المسجد فوق هذه الدعائم.

أما قبة المهراب فتصدر بلاطة المهراب وتعلو البلاط الأوسط عند منتصفه .
بحيث يجنحها أستوانان من الشرق وأستوانان من الغرب. وترتكز خوذة القبة
على مقرنصات^(١١) قائمة في أركان الدعائم الضخمة الأربعة التي تكون قاعدة

(١٠) البلاطة: عبارة عن الساحة المحصورة بين صفين من العقود، أو بين صف من العقود والحائط
(ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص ٨٣). وتوزيع البلاطات على هذا النحو في جامع عجلون
يائل توزيعه في جامع دمشق.

(١١) المقرنصات: مفرداها وأغلب الظن أنها مأخوذة من الكلمة العربية (مقرنص) أي جالس
القرنصاء أو (المقرنص)، ويطلق على هذه الظاهرة الزخرفية في اللغات الأوروبية كلمة
Stalactite. وتعتبر زخارف المقرنصات أخص مظاهر الجمال في الفن الاسلامي، وقد ظهرت
المقرنصات لأول مرة في فارس في العصر الساساني على شكل جوفة مقوسة تحتل أحد أركان
القاعدة المربعة للقبة. وكان دورها يقتصر على تحويل القاعدة المربعة الى مشنبة ثم الى عنق
داثري تقوم عليه خوذة القبة. ثم طور الإسلام هذه المقرنصات، فتعدت منحنياتها وخطوطها،
فتنوعت أشكالها واتخذت صوراً زخرفية بديمة تجذب إليها النظر وتضمر النفس بلذة روحية
(زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص ١٥٢ - محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الاسلامي)



منظر لإحدى بلاطات بيت الصلاة في جامع عجلون والدعائم التي يقوم عليها

القبة وتفتح في عنق القبة وأعني بها دائرة المقرنصات أربع نوافذ صغيرة ينفذ الضوء من خلالها. ومن الجدير بالذكر أننا نلاحظ حول رقبة القبة بقايا نقوش كتابية وبعض الزخارف النباتية تتكون من أنصاف مراوح نجيلية وفروع نباتية وصرر وردية، ولكنها طمست تحت طبقة الطلاء الأبيض الحديث، كما نلاحظ أيضاً آثار النقوش الكتابية على جدار القبلة. والجامع بوضعه الحالي عاقل من الزخرفة إذ أن زخارفه الأصلية المطموسة تحت طبقة الطلاء الحديث لا تكاد تبدو من خلال هذا الطلاء وهو أمر مؤسف حقاً. والقبة من الخارج لا تبرز كثيراً لقصر عنقها وقلة ارتفاعها، وهي في ذلك تحالف نظيراتها الرشيقة التي ترجع إلى العصر المملوكي. والظاهر أن هذه القبة تمثل النماذج الأولى للقباب الإسلامية التي تطورت في عصر دولة المماليك، وأصبحت تتسم بالرشاقة والتناسق بالإضافة إلى كسوتها الزخرفية الأنيقة سواء في الداخل أم في الخارج^(١٢).

أما المحراب فيتوسط جدار القبلة في مواجهة قبة المحراب، وهو محراب مجوف تبلغ طول فتحته ٣ م وعرضه ١٦٠ سم، ويحف به عند واجهته عمودان صغيران يملو كل منهما تاج تزينه زخارف هندسية بسيطة الشكل. ومن المعروف أن التيجان الإسلامية كانت بسيطة في الدولة الفاطمية، ولكنها اكتظت بالزخرفة والتنميق في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية. ومن هذه التيجان نماذج قيمة تشاهدها في محراب قبة الصالح نجم الدين أيوب بالقاهرة^(١٣)، وهذا السلطان نفسه هو الذي أمر ببناء مسجد عجلون موضوع البحث. وينتصب إلى يمين المحراب منبر من البناء يتكون من ثمان درجات والظاهر أنه حديث البناء. وتشغل البلاطة الشمالية من بيت الصلاة ثلاث خلوات على شكل غرف صغيرة متوسط اتساعها ٢,٢٥ × ٢ متراً.

ص ١٨٤ - عبد العزيز سالم: القيم الجاهلية في فن العمارة الإسلامية، ص ١٧، ١٨ - ارنتس كونل: الفنون الإسلامية، ص ١١٠).

(١٢) عن القباب الإسلامية وتطورها وأنواعها أنظر: زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ص ١٥٣-١٥٤.

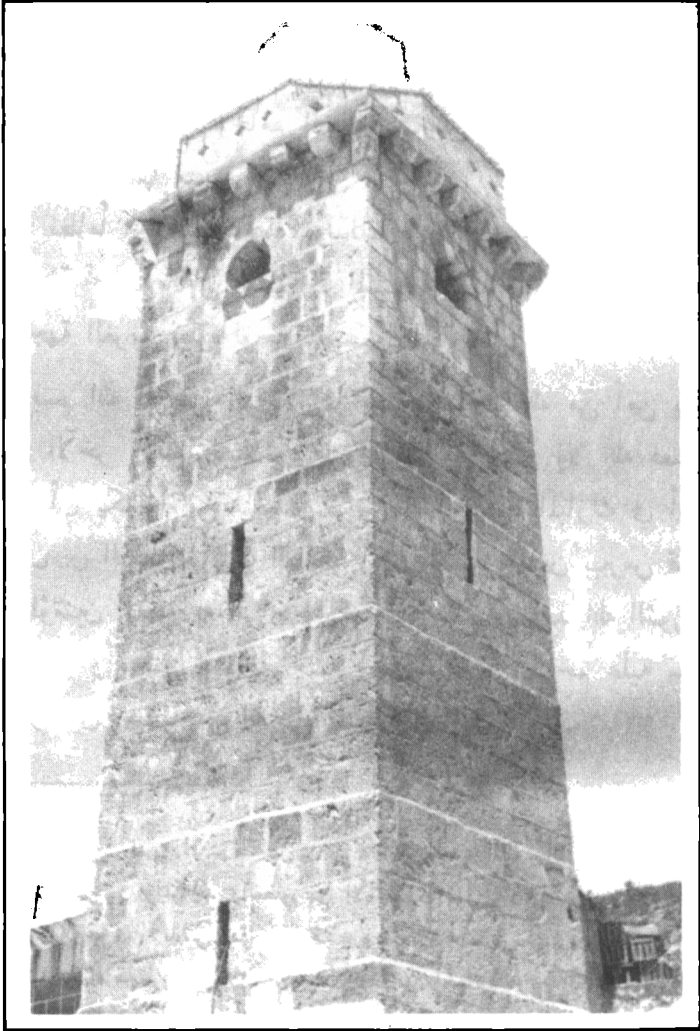
(١٣) حسن عبد الوهاب: التاريخ الآثار، ص ٩٥، وأنظر: توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة، ص ٢٣٦.

أما صحن الجامع فمستطيل الشكل تحف به ثلاث مجنبات، تعرضت الشرقية والجنوبية للهدم في سنة ٧٢٨هـ ثم أعيد بناؤها. ويوجد فيما تبقى من المحبنة الشمالية ثلاث غرف يبلغ طول الغربية منها ٥,٩ م وعرضها ٣,٥ م، والوسطى طولها حوالي ٤ م وعرضها ٣ م، أما الشرقية فطولها ٣ م وعرضها ٢ م. وأمام هذه الغرف الثلاث ساحة مكشوفة للفضاء طولها ١٢ م وعرضها ٨ م، وهذه الساحة مرتفعة عن بقية صحن المسجد. وأرى أن هذه الغرف ربما استعملت للتدريس أو لإقامة قومة الجامع. وتقع مiazza الجامع الى يسار الداخل في الركن الجنوبي الشرقي من الصحن، والظاهر أنها حديثة العهد، اذ المعتاد في الجوامع أن يتوسط الصحن نافورة أو فوارة تعلوها قبة، وفي اعتقادي أن أعمال التجديدات الحديثة في الجامع أزلت هذه النافورة. أما بقية المسطح المكشوف المتبقي من صحن الجامع في مواجهة بيت الصلاة فيبلغ طوله ١٥,٣ م وعرضه ٩,٤ م.

وتنتصب الصومعة في الركن الشمالي الشرقي من واجهة بيت الصلاة فوق زاوية الجدار وبالقرب من الباب الشمالي، وقد أقيمت هذه الصومعة بعد بناء الجامع بسبع عشرة سنة، أمر ببنائها السلطان الملك الظاهر بيبرس تكريماً لأهالي مدينة عجلون، الذين أحجم منذ أن أقام فيها وهو مجرد مملوك صغير مع أستاذه في سنة ٦٤٣هـ. والمئارة مبنية من الحجر الأحمر المشهر، مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها ٤,٥ م ترتفع رشيقة الى عنان السماء، وتعتبر أقدم مئذنة موجودة في منطقة شرقي الأردن. ومن المعروف أن هذه الصومعة لا تختلف في شكلها المربع عن الأسلوب العام الشائع في صوامع الشام المربعة التي اتخذت هذا الطابع منذ العصر الأموي^(١٤)، وأصبحت الطابع العام لمآذن الشام^(١٥)، ومنها انتقل هذا النظام الى مصر والمغرب والأندلس، وما زالت صوامع المغرب والأندلس تحتفظ

(١٤) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨٣ - زكي محمد حسن: فنون الاسلام، ص ١٤٤ - عبد العزيز سالم: المآذن المصرية وتطورها، القاهرة ١٩٥٩ م، والمهارة الاسلامية في الأندلس وتطورها، بحث بمجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول يونيو ١٩٧٧ م. - جورج مارسيه: الفن الاسلامي، ص ٣٩ - حسن عبد الوهاب: التاريخ والآثار، ص ٨٨.

(١٥) حسن عبد الوهاب: التاريخ والآثار، ص ١٠٢.



مئذنة جامع عجلون من بناء الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ

بهذا الشكل المربع^(١٦). وإذا كانت صوامع المغرب والأندلس ظلت تحتفظ طوال العصر الاسلامي بهذا الطابع فإن مآذن مصر وبعض مآذن الشام خضعت لعوامل التطور التي طرأت على نظام المئذنة في عصر دولة المماليك الأولى، فتحوّلت القاعدة المربعة في الطابق الثاني الى قاعدة مثمّنة وامتّعت الى جوسق قائم على مقرنصات أو دلايات تعلوه المبخرة أو الطاقية، ويتمثل ذلك بصورة واضحة في مئذنة المدارس الصالحية، وجامع الظاهر بيبرس في القاهرة^(١٧)، وفي المآذن المملوكية التي تزخر بها مدينة القاهرة^(١٨). وهكذا يتبين لنا أن صومعة جامع عجلون تتبع نظاماً اسلامياً خالصاً، ولذلك فإنني أقرر أن عناصر الجامع بيت الصلاة والمئذنة تخلو تماماً من التأثيرات المسيحية. وللمئذنة باب صغير مستطيل الشكل من جهة الغرب يعلوه لوحة تأسيسية عليها نقش كتابي قرأت ما نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى
أولئك أن يكونوا من المهتدين. أنشأ هذا البناء المبارك في أيام
السلطان بن السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس قسيم
أمير المؤمنين المغفور له الراجي رحمة ربه سليم بن عبد الله الشوري
تغمده الله وأسكنه مجبوحة جنّته ورحم الله من ترحم عليه سنة
اثنتين وستين وستائة من الهجرة النبوية »^(١٩).

(١٦) زكي محمد حسن: فنون الاسلام، ص ١٤٥ - عبد العزيز سالم: القيم الجمالية في فن العمارة الاسلامية، ص ١٦ والمساجد والقصور في الأندلس (اقرأ) ١٩٥٨ م، ص ٣٠، ٦٨، وتاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف بيروت، ١٩٦٢، ص ٤٠١، ٣١٠، محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الاسلامي، ص ٣٩ - توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة، ص ٢٥١ - كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ج ١ ص ٣٣٨.

(١٧) أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، ج ٢ ص ٦٩ - ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص ١٣٥ - كمال الدين سامح: العمارة الاسلامية، ص ١٩٠، ١٩١، محمود أحمد: بحث في تاريخ العمارة الاسلامية بمصر، ص ٧١.

(١٨) عبد العزيز سالم: القاهرة مدينة المآذن، مجلة المجلة، ١٩٥٨ م.

(١٩) وأنظر النص أيضاً في:

ويدور بالصومعة من الداخل درج ينتهي إلى شرفة بارزة عن بناء المئذنة ترتكز على كوابيل حجرية تقوم مقام المقرنصات، وأعتقد أن هذه الشرفة كانت مصنوعة من الخشب ليدور حولها المؤذن، وينفتح في جدار المئذنة من أعلى أربع نوافذ معقودة بعقود منكسرة، وينفتح في وسط المئذنة طاقات طولية ضيقة تشبه منافذ السهام مهمتها ادخال النور إلى الدرج. وأعتقد أن المئذنة كانت تنتهي بمخوذة أو مبخرة، إلا أن هذه المخوذة هدمت حديثاً، وأقيم عوضاً عنها زيادة اسطوانية الشكل، أكسبت المئذنة رشاقة وجمالاً فوق جمالها التاريخي.



(٢)

الآثار المدنية

أ - الحمامات:

— الحمامات من أهم المؤسسات الاجتماعية في الاسلام، ومن المعروف أن تعدد الحمامات في المدن الاسلامية كان الظاهرة الواضحة في العمران المدني الاسلامي. والواقع أن مكانة الحمام في العمارة الاسلامية تتبع مباشرة مكانة الدار، فعادة الاستحمام من العادات المتأصلة في الاسلام وذلك لأن الاسلام يحث على الطهارة والنظافة^(٢٠). وقد روعي في تخطيط الحمامات وجود ثلاث قاعات: القاعة الباردة وتسمى المسلخ، ثم القاعة الدافئة وتسمى البيت الأول، ثم القاعة الساخنة وتسمى بيت الحرارة وهو ما أشار إليه ابن بسام بقوله: «البيت الأول مبرد، والثاني مسخن مرتفع والثالث مسخن مجفف»^(٢١). والقصد من هذا التنظيم أو التدرج في درجة الحرارة ألا يتعرض المرء للمرض إذا ما انتقل فجأة من الجو البارد الى الساخن أو بالعكس. وكانت القاعات تسخن بواسطة أنابيب الماء الحار المارة تحت أرضيتها، أما أنابيب الماء الحار والبارد التي تزود الأحواض، فكانت تجري أيضاً في جدران تلك الحمامات وتحت أرضيتها ومن أقدم أمثلة الحمامات الاسلامية حمام (قصير عمره) في الأردن، ويرجع تاريخه الى عهد الوليد بن عبد الملك^(٢٢).

(٢٠) عبد العزيز سالم: تاريخ الاسكندرية وحضارتها، ص ٤٩٨.

(٢١) ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٦٧.

(٢٢) زكي محمد حسن: القصور الأموية في بادية الأردن: بحث في مجلة الكتاب، المجلد الأول: الجزء

وقد انتشرت الحمامات في معظم المدن المصرية والشامية في عصر المماليك، فقد زاد عدد حمامات دمشق من ٧٥ حماماً في سنة ٥٧٠ هـ الى ٨٥ حماماً في القرن السابع الهجري، أما في القاهرة فبلغ عددها سنة ٦٨٥ هـ ثمانين حماماً^(٢٣). وقد اعتنت السلطات المملوكية بتنظيمها وترتيبها وترخيمها وتبليط أرضيتها، وتزيينها بالزخارف كما كانت تحتوي على مقاصير حارة. ومن المعروف أن مهمات المحتسب الاشراف على هذه الحمامات ومراقبة ما يجري فيها تجنباً لهتك الحرمان وحماية للفضيلة والأخلاق، ومنعاً من انتشار الأمراض وانتقالها بين الأفراد^(٢٤)، هذا وقد خصصت حمامات للرجال وأخرى للنساء. وكان يسهر على راحة عملاء الحمامات ويقوم بخدمتهم عمال منهم: الحمامي أو المدلك وهو الذي يحك أجسام عملائه بنوع من الحجر، وقيم^(٢٥) وحارس لحراسة الثياب وبلان (أي حلاق للحلق الشعر)، وزبال ووقاد يهتم بتسخين الماء بواسطة القدور النحاسية المعدة لذلك، والحفاظة على أنابيب الماء ومجاري المياه، وسقاء يجلب الماء للحمام^(٢٦).

هذه هي التقاليد المتبعة بوجه عام في الحمامات الاسلامية، ولم تكن مدن شرقي الأردن تخرج على هذه التقاليد المتبعة، فكثير فيها وجود الحمامات. وتشير المصادر الى وجود حمام في مدينة الكرك، فابن حجر الصقلاني يقول، في ذي القعدة من سنة ٨١٣ هـ (١٤١١ م) «توجه شيخ الى الحمام بالكرك ومعه قانباي

= الثاني عدد ديسمبر ١٩٤٥ م كمال الدين سامح: العارة الاسلامية، ص ٢١.

Creswell, Early Muslim architecture, vol. 1, PP. 253 - 273, PP. 299 - 301.

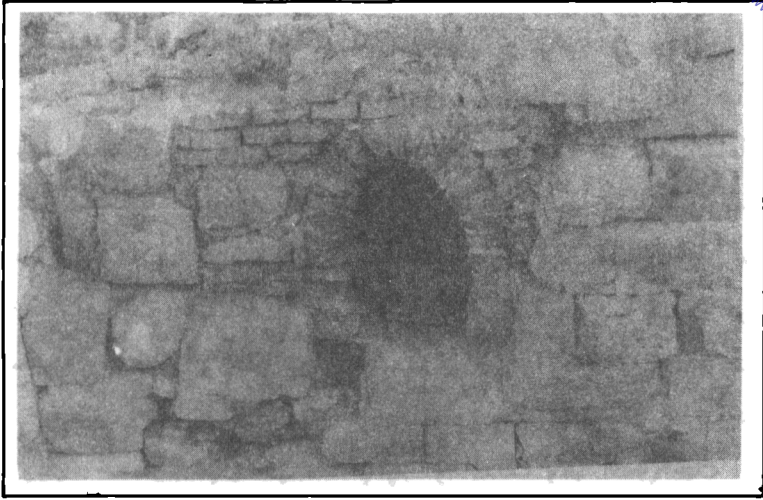
Martin alinagro. Luis caballero. juan zozaya, Antonia alinagro: Qusayr «Amra», Residencia Y Banos Omeyas, madrid, 1975.

(٢٣) ابن عساكر وابن عبد الهادي: حمامات دمشق، نصوص نشرها صلاح الدين المنجد، بيروت، ١٩٤٧ م، ص ٣.

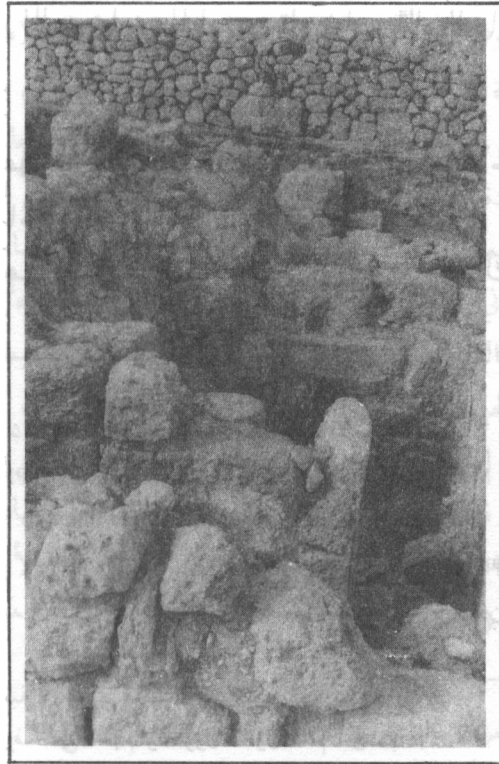
(٢٤) ابن بام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٦٧ - ٧٠، ٨٦ - ٨٧.

(٢٥) القيم: هو الذي يشرف على الحمام والمسؤول الأول أمام المحتسب.

(٢٦) ابن بام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٨٧ - القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ج ١ ص ٥٠، ١٤٥ - آدم متز: الحضارة الاسلامية، ج ٢ ص ٢١٩.



منظر لموقد حمام حسان من العصر المملوكي



إحدى الأنابيب الفخارية لنقل المياه في حمام حسان

الحمدي وسودون وطائفة يسيرة، فبادر أحمد بن أبي العباسي الحاجب بالكرك وأراد الفكك بهم ومعه جمع كثير، فاقترحوا الحمام فسبقهم بعض بمالك شيخ، فأعلمه فنهض وفي وسطه مئزر وفي يده طاسة الحمام، فقاتلهم وأخرجهم من الحمام «(٢٧)»، كما ذكرت وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان عن وجود حمام بوادي الكرك. أما في حسان، فقد تمكنت دائرة الآثار العامة الأردنية سنة ١٩٧٣ م من اكتشاف حمام مملوكي في حفريات مدينة حسان (٢٨). وقد زرت الموقع وشاهدت بقايا هذا الحمام وتعرفت على موقد معقود بالآجر الأحمر يعلوه تجويف مخصص لقدرة النحاس المعدة لتسخين الماء، وبقايا أنابيب فخارية لنقل الماء الحار والبارد، ثم بقايا أسس قاعة كبيرة في وسطها حوض محفور في الصخر، والظاهر أنها كانت بيت السخن، بسبب قربها من الموقد، ثم هناك بعض الجدران بسيطة في بنائها تمثل بعض الغرف والقاعات ما زالت قائمة حتى الآن. أما في مدينة عجلون فتشير المصادر إلى حمامين، الأول هو (الحمام السلطاني)، والثاني (الحمام الصالحى المعروف بأبى موسى)، وقد تعرض هذان الحمامان للهدم من جراء السيل المهول الذي اجتاح مدينة عجلون سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٨ م) (٢٩). وظلت مدينة عمان تحتفظ بآثار حمام يقع إلى الشمال من مسجد الجامع وقد شاهد الرحالة كوندرا هذا الحمام في نهاية القرن التاسع عشر، وذكر أنه ينهض على مساحة من الأرض تبلغ ٤٠ قدماً من الشرق إلى الغرب و٥٠ قدماً من الشمال إلى الجنوب وأنه كان يحتوي على ثماني غرف صغيرة أعدت للاستحمام ذات عقود مدببة كما ذكر أن هذا الحمام كان يزود بالمياه عن طريق قناة مقامة فوق قنطرة تصله بالسييل من جهته الشمالية (٣٠).

ونظام الحمام وطريقة بنائه ووصفه مسجل في وثيقة وقف السلطان الأشرف

(٢٧) ابن حجر: أنباء الغمر، ج ٢ ص ٤٥٦. وأنظر: المقرئ: السلوك، ج ٤ ص ١٦١، ١٦٢ -

العيني: السيف المهند، ص ٢٥٧.

(٢٨) Annual of the department of antiquities, Jordan, 1974, PP. 155-156.

(٢٩) النوري: نهاية الأرب، ج ٣١ لوحة ٩٠، ٩١ «مخطوط».

(٣٠) Conder, The Survey of eastern Palestine, P. 59.

شعبان ، ومن هذا الوصف يتبين لنا أن حمام الكرك كان يشتمل على مسلخ يقوم على أربعة عقود حجرية بجانب بسراويل اثنا عشر، وعليه قبة معقود بالطوب الآجر، وبالمسلخ ايوانان: شرقي وغربي معقود كلاهما بالحجر والطين. وفي كل منهما مقصورتان معقودتان بالحجر والطين، ويتوسط المسلخ فسقية مخصصة للماء البارد، ويفتح من المسلخ باب يؤدي الى بيت السخن عبر دهليز خاص. أما (بيت البارد) فيقع على يمين الدهليز المؤدي من المسلخ الى بيت السخن، ويشتمل على قبة وحوض كبير. ومن الدهليز المذكور يمكن الدخول الى (بيت الوسطاني) ويشتمل على قبة وحوض وخلوة تقع من جهة القبلة وتشتمل على قبة وحوضين. ومن بيت البارد يمكن الدخول الى (بيت السخن)، ويتكون من صدر مشمن تعلوه قبة كبيرة مضلعة ستة عشرية، ومزود بأربعة أحواض وبمقصورتين قبلية وشالية، كل مقصورة تشتمل على قبة وحوضين.

أما الموقد فيقع في حائط بيت السخن الشرقي وهو قبة معقودة بالطين والحجر وعليه قدران من النحاس لتسخين الماء أحدها كبير والثاني صغير وتشغل الدهليز الواقع بين البيت الوسطاني وبيت السخن ميضأة مقببة، أما أرضية الحمام فجميعها مبلطة بحجر ماء خاص ويقع الباب الرئيسي للحمام في الجهة الشمالية، ويتزود الحمام بالماء من بركة تعلو باب الحمام، طولها ثمانية أذرع بذراع العمل، ثبتت بالشد والطين والحجر^(٣١). وكان الماء يصل إليها من بركة مربعة الشكل تشغل جانباً من البستان الذي بني فيه هذا الحمام ويبلغ طول ضلعها ١٤ ذراعاً بذراع العمل، وعمقها أربعة أذرع ويتجمع بها الماء من العين الموجودة في البستان المذكور والمعروفة باسم (محيص). وقد بني تحت البركة قبو من جهة الغرب معقود بالطين والحجر يعرف (بالطاحونة) وكانت تدار من مياه البركة، ولكنها أبطلت فيما بعد^(٣٢).

(٣١) وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان بدار الوثائق القومية بالقاهرة رقم ٤٩.

(٣٢) أنظر نص وثيقة وقف البستان والحمام بوادي الكرك في الملاحق.

ب - الخانات:

تعتبر الخانات الأردنية من المنشآت الهامة التي واكبت حركة التجارة المملوكية ما بين الجنوب العربي ومصر وبلاد الشام، وكانت لهذا السبب تقام على امتداد الطريق المؤدية من مصر الى شمالي بلاد الشام، وعبر منطقة شرقي الأردن، خدمة لحركة القوافل التجارية العابرة ولتيسير الانتقال بين أنحاء البلاد. ويسمى ابن بطوطة فنادق، وهو الاصطلاح الذي كان سائداً في بلاد المغرب والأندلس، ويقابل في معناه الخان المشرقي. ويذكر ابن بطوطة أنه «بكل منزلة منها فندق وهم يسمونه الخان، وينزل المسافرون بدوابهم، وبخارج كل خان ساقية للسبيل، وحنوت يشتري منها المسافر ما يحتاجه لنفسه ودابته» (٣٣). ولم يكن بناء الخانات وقفاً على السلاطين والأمراء، وإنما كان يتولى بناءها أيضاً التجار والأعيان والأثرياء، وكانوا يوقفون عليها الأوقاف الكثيرة للانفاق عليها، كما أن بعضها كان يوزع الخبز والطعام مجاناً، ووجد في بعضها من يتولى اصلاح نعال المشاة من النزلاء (٣٤). وازدادت حركة انشاء الخانات بعد أن استتب الأمن وتطهرت الدروب والطرق في منطقة شرقي الأردن من قطاع الطرق واللصوص بفضل رجال الدرك من البدو والأعراب مما كان له أعظم الأثر في انتظام حركة المرور بهذه الدروب، واطلاق حرية التنقل في شبكة الطرق اللؤدية الى مصر أو الحجاز أو الشام. وكانت هذه الخانات تعرف عند الأوروبيين باسم (فنادق مبيت القوافل) Caravanserais، وهي أماكن مخصصة لمبيت التجار وقوافلهم (٣٥). وقد انتشرت هذه الخانات في الأردن خدمة لقوافل التجار القادمة من الجزيرة العربية والبحر الأحمر وبالعكس، ولحركة التنقل بين

(٣٣) ابن بطوطة: الرحلة، ج ١ ص ٣١.

(٣٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ٥٥٤.

(٣٥) نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ٢٩٤.

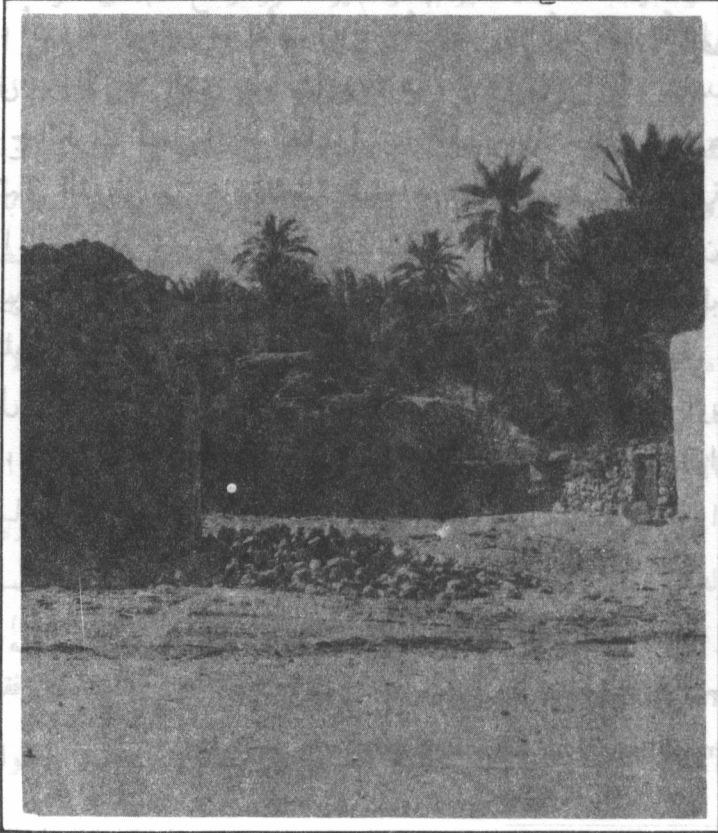
مصر والحجاز، وبلاد الشام. ومن بين الخانات التي أنشئت في شرقي الأردن في العصر المملوكي الأول والثاني ما يلي:

١ - خان العقبة (قلعة عقبة):

العقبة بندر الأردن على ساحل البحر الأحمر، أطلق عليها قديماً (أيلة) إلا أن هذه التسمية أبطلت في العصور الوسطى، وبدلت عند مؤرخي العرب (بالعقبة)^(٣٦)، وسمي الخليج الذي تقوم المدينة عند رأسه بـ«خليج العقبة». وقد اختلف الباحثون المحدثون في نسبة خان العقبة وتاريخ بنائه، فمعظمهم ينسبه الى السلطان المملوكي قانصوه الغوري السلطان قبل الأخير من سلاطين دولة المماليك الثانية (٩٠٦ - ٩٢٢ هـ) (١٥٠١ - ١٥١٦ م) استناداً الى نص كتابي نقش في مدخل الخان. ولكن هذا الاجماع التقريبي يتعارض مع الحقيقة التاريخية في أن بناء هذا الخان يرجع الى تاريخ أقدم بكثير من العهد الذي ينسبونه إليه. فنحن لا نشك إطلاقاً في أن الخان مملوكي الإنشاء، ولكنني أرجح من إنشاء السلطان الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) (١٢٦٠ - ١٢٧٧ م)، فمن المعروف أن بيبرس ومن خلفه من سلاطين المماليك اهتموا ببناء الأبراج في جميع أنحاء بلاد الشام، وكانت هذه الأبراج عبارة عن قلاع صغيرة استهدف منها تدعيم الدفاع عن الساحل. ومن أمثلة هذه الأبراج مجموعة الأبراج المنفصلة التي بنيت في عصر دولة المماليك الأولى على ساحل الميناء بطرابلس الحديثة ومنها برج السباع وبرج السراي وبرج رأس النهر^(٣٧).

(٣٦) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩ لوحة ٤٦٨ «مخطوط» - ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٦ ص ٥٦٧ - ابن حبيب: درة الأسلاك، ج ٣ لوحة ٣٩، ٧٩ «مخطوط» - ابن خلدون: العبر، ج ٥ ص ٤٢٢ - ابن دقاق: الجواهر الثمين، لوحة ١٤٤ «مخطوط» - مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٣٥، ١٣٦، ١٤٨ - المقرئ: السلوك، ج ٢ ص ٨٢٥، ٨٢٧، ٨٣٥ - العيني: عقد الجمان، ج ٢٢ ص ١٠٤، ١٠٥، ٢٢٤، ج ١١ ص ٧٣، ١٤٨ - السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ١١٩، ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ١ ص ١٠.

(٣٧) عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي، ص ٤٤٠ - ٤٤٩.



منظر لأحد الأركان من خان العقبة

وهكذا كان برج العقبة يقوم بوظيفة مزدوجة، فهو خان ينزل فيه التجار والمسافرون، وهو في نفس الوقت برج حصين يقوم بحراسته حامية من عسكر المالك لحماية التجار والحجاج ما بين مصر والديار المقدسة، بالإضافة الى تأمين قوافل التجارة القادمة الى ميناء العقبة. ومن هنا جاءت تسمية بقية الخانات الأردنية (بالقلاع). وما يؤكد صحة هذا الرأي أن الظاهر بيبرس كان من مادته عند تشييده لأي بناء، أن يسجل رنكه على واجهة أي بناء ينتهي من إنشائه، والمعروف أن رنك بيبرس هو الأسد، وقد رأينا صورة الأسد منقوشاً على جسر دائمة على نهر الأردن الذي بناه سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٣ م) (٣٨)، كما شاهد، على أحد أبراج الكرك المسمى (برج الظاهر). ومن الجدير بالملاحظة أننا شاهد على البرج الشمالي الشرقي من خان العقبة حجراً مربعاً مزينا بنقوش مروحية، وفي أعلى هذا الحجر المربع رسم لأسدين متقابلين (٣٩)، يمثلان رنك السلطان الملك الظاهر بيبرس. ولكي يكون حكمنا سليماً أيضاً، فقد ورد ذكر لهذا البرج في القرن الثامن الهجري، فأبو الفداء أشار إليه عند تعرضه لذكر العقبة: «وهي على ساحل بحر القلزم وعليها طريق حجاج مصر، وهي في زماننا برج وبه وال من مصر، وليس بها مزدرع، وكان لها قلعة في البحر فأبطلت ونقل الوالي الى البرج الساحل» (٤٠). ومن الأدلة القوية التي أستند إليها مبالغة مني في التأكيد

(٣٨) ابراهيم طرخان: دولة المماليك الجراكسة، ص ٣٢٥.

Muir. The Mameluke or Slave dynsty of Egypt, P. 21.

Quatremère, Histoire des Sultans Mamlouks. vol. 2, P. 15.

... (٣٩)

(٤٠) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٨٧. وانظر المهدي: خلاصة الاثر، ج ١ ص ٩. ويقصد بالقلعة تلك القائمة في جزيرة (جرى أو فرعون) داخل البحر. وتقع عند رأس الخليج على ثمانية أميال بحرية من مدينة العقبة. وهي جزيرة صغيرة يحيطها نحو ألف متر، مؤلفة من أكتين صغيرتين بينها فرجة ضيقة وبينها وبين سيناء ٢٥٠ متراً. وعلى قمتي الاكمتين خرائب القلعة القديمة، وعرفت عند البدو بالقلعة أو القليعة أو القرية، وكان يحيط بها سور منيع - وقد اعاد الصليبيون بناءها سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م) إلا أن صلاح الدين انتزعها منهم في سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) ورتب فيها جنوداً وحامية لتحمي حركة الملاحة في الخليج. وبقيت كذلك حتى =

بأن هذا الخان كان قائماً بالفعل في عصر دولة المماليك الأولى، نص تاريخي للمقريزي عثرت عليه أشار فيه الى هذا الخان فقد ذكر أن السلطان الأشرف شعبان توجه للحج في سنة ٧٧٨ هـ (١٣٧٦ م)، وكان الأمراء المماليك قد تأمروا عليه في العقبة، فهرب الى القاهرة فألقوا القبض عليه وخنقوه ونصبوا ابنه السلطان الملك المنصور علي مكانه، كذلك يذكر المقريزي فيما يتعلق بالأمراء الذين تخلفوا بالعقبة، أن الأمير بهادر أمير آخور وضع « بعض الزاد والعلف بخان العقبة وانتهب المماليك من الأثقال ما قدرت عليه، ورحل الأمراء والمماليك ومعهم الحمل ومن بقي من الحجاج عائدتين الى القاهرة »^(٤١). هذا النص الصريح لا يدع مجالاً للشك في وجود خان العقبة في عهد دولة المماليك الأولى، وهذا النص يؤكد أنه كان قائماً في هذا التاريخ مما يقطع يقيناً بأنه أقيم قبل ذلك كما يؤكد الرنك أنه من بناء بيبرس، ودور قانصوه الغوري يقتصر على أنه تولى ترميمه وتجديد بنائه وتدعيمه فحسب، وذلك عندما دعت الحاجة الى مثل هذه التحصينات على البحر الأحمر، للوقوف في وجه أطماع الأساطيل البرتغالية التي كانت تسعى الى السيطرة على تجارة المشرق عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر، وفي نفس الوقت حماية لقوافل الحجاج من هجمات الأعراب^(٤٢).

ويصف ابن أياس هذا الخان بأنه (قصر عظيم أعد لقباض المكوس)، ويعبر عن ذلك بقوله: « وكانت بها قصر يسكن فيه قباض المكوس بسبب مراكب التجار الذين ترد هناك من الهند واليمن والصين وغير ذلك من البلاد »^(٤٣). وهذا يفسر سبب قرب الخان من البحر فهو لا يبعد عنه سوى خمسين متراً فقط.

يقوم خان العقبة على رأس خليج العقبة على بضع مئات من الخطوات عن

= ألفت في القرن الثامن الهجري، ولا تزال آثار هذه الجزيرة باقية للآن (أنظر: نوم شقير: تاريخ سيناء، ص ١٦، ١٧.

Kammerer, Petra et la Nabatene, P. 353.

(٤١) المقريزي: السلوك، ج ٣ ص ٢٨٥.

(٤٢) ابن الشماخ: عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الإقامة والأسفار، ج ١ لوحة ٨٢ « مخطوط ».

(٤٣) ابن أياس: نسق الأزهار في عجيب الأقطار، لوحة ٨٧ « مخطوط ».

البحر ويفصله عنه بستان نخل. والخان أو القلعة مربعة الشكل، مبنية من حجارة ملساء بيضاء وسوداء على التعاقب. ويرتكز على كل ركن منها برج أسطواني، ولها مدخل رائع يتوسط الجانب الشمالي وعلى جانبيها برجان مستديران وزود المدخل بقنطرة ويفضي المدخل الى ساحة القلعة الداخلية عن طريق دهليز ضخم معقود بالقبوات. وهذا الدهليز مربع الشكل تقريباً طوله ٧ أمتار وعرضه ٦ أمتار^(٤٤). وعن يمين الداخل ويساره ديوانان مبنيان بالحجر قد نقش عليها على مسافة خمسة أقدام من الأرض كتابة عربية نصها:

أمر بإنشاء هذه القلعة المباركة السعيدة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين.

وعلى يسار الداخل يوجد تكملة للنقش نصه ما يلي:

محيي العدل في العالمين السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري أعز الله أنصاره بمحمد وآله وكان... هذه القلعة المباركة ذات لأمير خاير بك العلوي (العلائي) المعماري... بتاريخ (سنة) عشر (وتسمائة)^(٤٥).

وسنة التاريخ غير واضحة في النقش، مما دعا بعض الباحثين الى احتمال قراءتها (سنة عشرين وتسعمائة أو عشر وتسعمائة)^(٤٦) وأرجح أنها سنة عشر وتسعمائة، استنادا الى ما ذكره ابن الشماخ الذي توجه للحج من القاهرة سنة

(٤٤) نعم شقير: تاريخ سينا، ص ١٩٤ - عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج ٢ ص ٢٠٥.

Musil, The northern Hegaz, P. 85

Roberts, The Holy Land, vol. 3, P. 40.

(٤٥) وانظر النقش أيضاً في:

Gli dden, (H.),

The Mamluk origin of the Fortified khan at Al Aqabah, Jordan, Archaeologic orientalia in memoriam Ernest Herzfeld, New York, 1952, P. 117

Gli dden, op. cit, P. 118.

(٤٦)

٩١١ هـ (١٥٠٥ م) فهو يقول: « وفي يوم السبت سلخ شوال وصلنا الى العقبة... فنزلنا تجاه الخان الذي بناه صاحب مصر، وهو خان عظيم وبه جند من الأتراك مرصودون»^(٤٧). فالخان موجود اذن سنة ٩١١ هـ، فالتاريخ الصحيح لأعمال قانصوه النوري في الخان هو في رأي سنة ٩١٠ هـ.

ويؤدي الدهليز الذي نقشت فيه اللوحة التاريخية الى ساحة واسعة مربعة الشكل، هي صحن الخان تحف بها بوائك تدور بالصحن من سائر الجهات وتنتهي بغرف عقدت أبوابها بعقود مدبية وقد خصصت هذه الغرف فيما يبدو ثكنات للجند أو مخازن للمهمات والذخائر الخاصة بالتجار والحجاج. وفي الجهة الجنوبية من الساحة يوجد بئر عميقة عذبة المياه، وكانت تزود الخان ومن فيه بالمياه. والقلعة (الخان) مكونة من طابقين، إلا أن معظم هذا الطابق متهدم الآن، بالاضافة الى أن أسوار القلعة الشمالية والشرقية نصف خربة.

٢ - خان الحما:

يقع خان الحما في وادي الحما^(٤٨) الى الجنوب الشرقي من الكرك وعلى بعد ستة كيلومترات غربي قرية الحما الحالية. وعلى الطريق الصحراوي المتجه من عمان الى العقبة. وقد اختلف الباحثون في تحديد تاريخ إنشاء هذا الخان، ولكن أحد الرحالة تمكن من العثور أوائل هذا القرن على لوحة حجرية بداخل الخان تحمل نقشاً كتابياً نصه:

يا حننه الله معبد
ملك يسمى المصطفى
بنهات للتقوى وشيد
سلطاننا من نسل أحمد
دار منورة ومقعد^(٤٩)

(٤٧) ابن الشعاع: عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الإقامة والأسفار، ج ١، لوحة ٨٢ «مخطوط».
(٤٨) الحما: بالفتح والقصر موضع بالشام بقرب الكرك أظنه واد (البغدادي: مرصد الاطلاع، ج ١ ص ٣٠٢).

Brunnow, Provincia Arabia, vol. 2, P. 18.

(٤٩)

Musil, Arabia Petraea, vol. 1, P. 85.

واستناداً الى هذا النقش اعتقد بعض الباحثين (ونشرات دائرة الآثار العامة الأردنية) أن هذا الخان من بناء السلطان العثماني مصطفى الثالث (١١٧١ - ١١٨٨ هـ) (١٧٥٨ - ١٧٧٤ م). إلا أنني أخالف هذا الرأي، وأعتقد اعتقاداً قاطعاً أن هذا الخان مملوكي الأصل وليس من بناء العثمانيين.

فأول إشارة وصلت إلينا عن هذا الخان نقلها إلينا ابن شاهين الظاهري في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) في معرض حديثه عن المكوس التي كانت تدفعها القوافل البرية المتجهة الى دمشق عبر جسر الحسا. وتفصيل ذلك أن حركة التجارة نشطت نشاطاً ملحوظاً في عصر دولة المماليك، وأصبحت مسالك الأردن تشهد حركة دائبة لهذه القوافل الحاملة لتجارة الصين والهند والجنوب العربي قاصدة دمشق والساحل الشامي. وكانت الدولة قد أعدت مراكز جمركية لتحصيل المكوس على هذه القوافل البرية المارة عبر الأردن، فالمتجهة الى مصر كانت تدفع المكوس في (بويب العقبة) أما المتجهة الى دمشق فكانت تدفع المكوس في (جسر الحسا)^(٥٠). ولا نشك في أن الخان المذكور كانت له وظيفة مزدوجة، فبينما كان منزلاً للمسافرين والتجار، كان مقراً لموظفي الديوان، ونستدل على ذلك من النص الذي أورده ابن طولون ذكر فيه أن نائب دمشق كان يخرج لاستقبال الحجاج ومعه المؤن والطعام لمساعدتهم وحمايتهم من الأعراب. وكان يقيم في الحسا. ويشير ابن طولون الى أن النائب خرج في سنة ٩١٠ هـ لاستقبال الحجاج «وحصل للوفد بذلك فرح عظيم وأن النائب أقام بالحسا الى أن وصل الوفد»^(٥١). ونخرج من هذا النص بأن النائب كان يقيم في الحسا والمقصود بالحسا الخان القائم بالقرب من الجسر، وعلى هذا النحو يمكن الاستنتاج بأن الخان والجسر كانا قائمين قبل قدوم العثمانيين. أما عمل العثمانيين في هذه الحالة وحسباً ورد في النص الشعري فيقتصر على أعمال الترميم والصيانة والتقوية بالجند، حماية لقوافل الحجاج وتأميناً لحركة التنقل بين الشام والحجاز

(٥٠) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص ١٠٨ - صبحي لبيب: التجارة الكارمية، المجلة التاريخية،

عدد ١٩٥٢ م ص ٣٦ - نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص ٢٧٩.

(٥١) ابن طولون: مفاتيح الخلان، ج ١ ص ٢٧٧ وانظر صفحة ٢٩١.

من هجمات الأعراب^(٥٢). ولما كان النص الشعري المذكور يشير الى تأسيس معبد ، فإنني أعتقد أن المقصود بذلك المسجد الصغير الذي ما زال قائماً في الطابق الثاني من الحان.

ويقع خان الحسا وسط وادٍ يجري من الشرق إلى الغرب تسيل فيه المياه شتاءً وتجف في الصيف. ويقوم الحان على الجانب الجنوبي من الوادي محكماً بذلك السيطرة على حركة المرور عبر جسر الحسا الذي بني فوق الوادي الى الشمال الغربي من الحان، وعلى بعد عدة أمتار فقط، وهو نفس الجسر الذي أشارت إليه المصادر العربية ووصفته (بجسر الحسا)، وعند هذا الجسر كانت القوافل التجارية المحملة ببضائع الشرق تدفع المكوس المفروضة على تجارتها في حين كان الموظفون يقيمون في الحان. ويتكون الجسر من ثلاث قناطر، اثنتان كبيرتان، والثالثة صغيرة. ويبلغ اتساع تجويف عقد القنطرة الكبرى من أدنى العقد ١١ متراً. ويمتد على الجسر طريق معبد مرصوف بحجارة من الصوان والبازلت يتجه شمالاً وجنوباً، يبلغ عرضه ١٢ متراً. والظاهر أن هذه الحجارة استقطعت من منطقة مجاورة، إذ أن الوادي يخلو من هذين النوعين من الأحجار وهو مجرد وادٍ رملي تجتاحه السيول شتاءً لتصب في البحر الميت ويرى بعضهم أن هذا الطريق قريب الشبه بالطرق الرومانية القديمة^(٥٣). وإن كنت أميل الى الاعتقاد بأنها إسلامية وملوكية بالذات مهدت ووضعت خدمة لقطر التجارة التي تعبر عليه، وتجنباً للسيول زمن الشتاء.

أما الحان فبناء مربع الشكل تقريباً من طابقين يبلغ طوله من الشمال الى

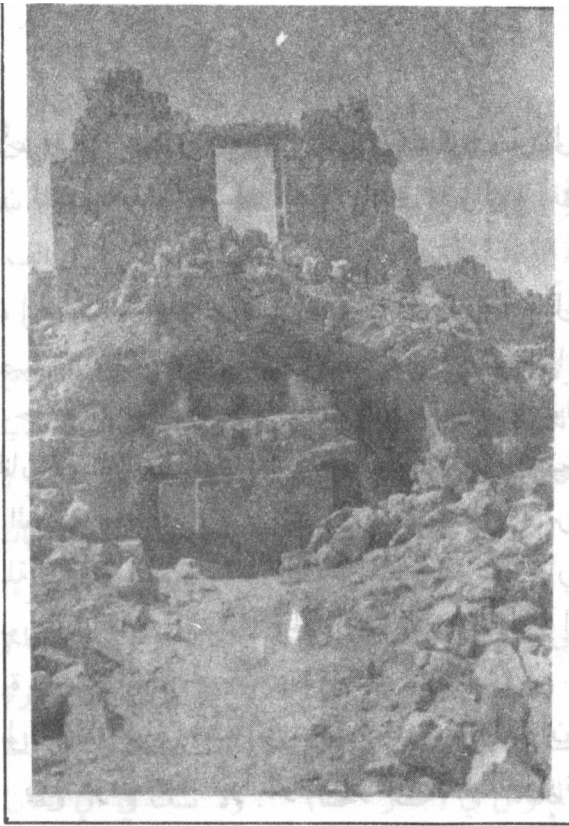
(٥٢) رسم السلطان العثماني مراد بن سليم خان العقبة سنة ٩٩٦ هـ (١٥٨٨ م) واثبت ذلك على نقش في مقدمة الحان هذا نصه: «مولانا السلطان الملك الأشرف مراد بن سليم خان عن نصر جدد هذه القلعة» ولوحة أخرى نصها «مولانا السلطان مراد بن سليم عن نصره جدد هذه القلعة سنة ٩٩٦ هـ». (نعوم شقير: تاريخ سيناء، ص ١٩٥، عبد الرحمن زكي: الجيش المصري، ج ٢ ص ٢٠٥).

Brunnow, Provincia Arabia, vol. 2. P. 17.

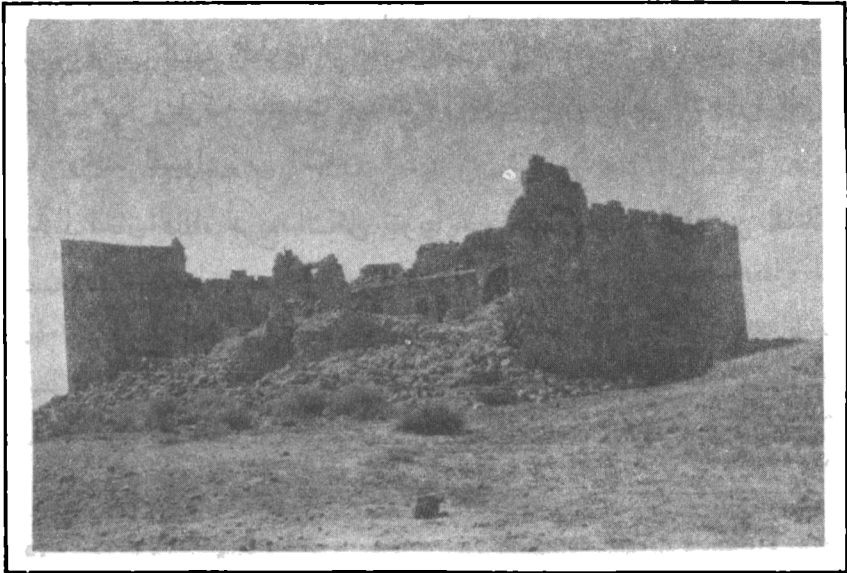
(٥٣)

Jaussen, & Savignac

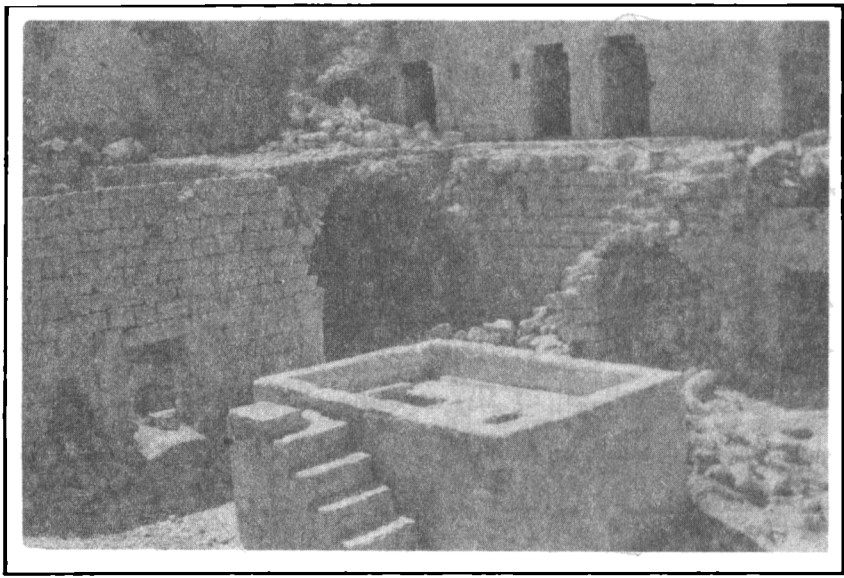
Mission archeologique en Arabia. vol. 1, P. 31.



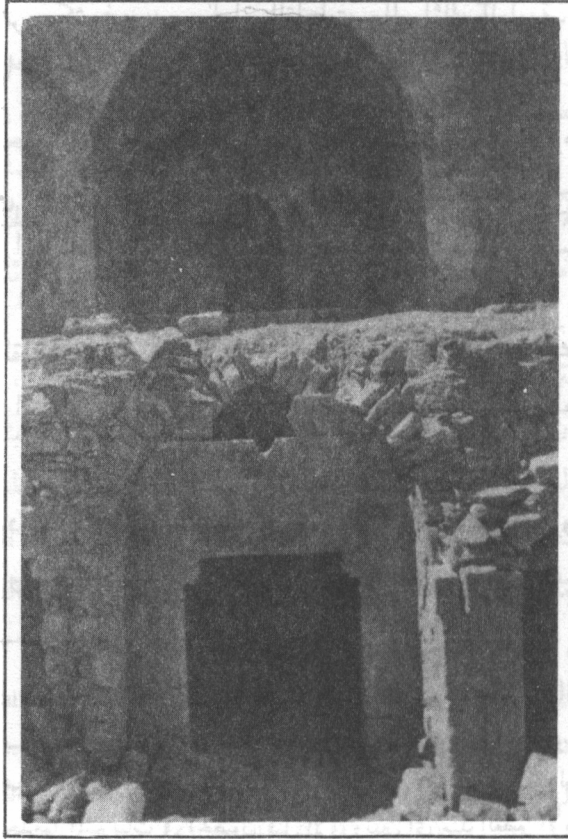
مدخل خان الحسا ويلاحظ القبو المتهدم



منظر عام لخان الحسا الواجهة الشمالية



منظر لصحن الخان والبثر في وسطه



منظر لمسجد خان الحما ويلاحظ في أسفله بوابة لاحدى بوائك الخان

الجوِّب ٢٣ متراً، ومن الغرب الى الشرق ٢٢ متراً، أما ارتفاع جدرانها من الخارج فيصل الى ١٠ أمتار تقريباً. والمدخل قائم في الجهة الشمالية. ويتألف من بوابة كبيرة مبنية من الحجر الأبيض الصلب المنحوت، وتفضي البوابة الى المدخل، وهو دهليز مستطيل تعلوه قبوة نصف اسطوانية طولها اربعة أمتار. وهذا المدخل ينتهي الى صحن الخان الداخلي. وهو فناء فسيح مربع الشكل يدور حوله الحواصل والبوائك والقاعات والغرف التي أعدت لحزن البضائع وإقامة المسافرين أو المقيمين من المسؤولين والموظفين على طابقين. وبعض أبواب هذه الغرف مستطيل وبعضها الآخر مربع الشكل، وجميعها ممتبة بأعتاب مسطحة. ويمكن الصعود الى الطابق العلوي عن طريق درجين متقابلين في صدر الفناء مينة أو يسرة تتوسطها مصطبة تنهض الى مستوى الطابق الثاني. ويتقدم الطابق العلوي ممر مكشوف يدور أمام القاعات والبوائك العلوية، أما البوائك والقاعات فأبوابها واسعة معقودة بأقواس مديبة.

ويتوسط صحن الخان جب ترتفع فوهته عن مستوى سطح الأرض بنحو سبع درجات، وعمق هذا الجب تسعة أمتار تقريباً، وبداخله درج منحوت في الصخر، ينتهي الى القاع. والخان مزود بمسجد صغير يشغل جانباً من الطابق العلوي في الجهة المواجهة للبوابة الرئيسية تماماً، ويتكون من قاعة صغيرة سقفها قبوة مديبة، والقاعة مربعة الشكل ٩م^٢، ويتوسط جدار القبلة محراب صغير. وأعتقد أن هذا المسجد هو المشار إليه في اللوحة المنسوبة للسلطان العثماني مصطفى الثالث (المعبد).

والخان مزود بشرفتين بارزتين أو مشربيتين^(٥٤) من الحجر، زودت كل منها بفتحات أمامية وجانبية، الأولى بنيت في الجدار الغربي للخان بحيث تطل على

(٥٤) المشربيات: Machicolis، المشربيات في العمارة هي شرفات بارزة عن سم السور ترتكز على دعائم، وكوابيل، وبين كل دعائتين فتحة معقولة بباب مستور يمكن أن تصوب السهام منه الى رؤوس المهاجمين. كما يمكن صب الزيت أو الماء المغلي على رؤوسهم ان حاولوا نقب الأسوار. والعرب استخدموا المشربيات في الحصون قبل الأوروبيين أي منذ العصر الأموي (عبد الرحمن زكي: العمارة العسكرية في العصور الوسطى، ص ١١٠).

الطريق المعبد، والثانية في الجدار الجنوبي، والظاهر أن الأولى أعدت كي تراقب الطريق المرصوف الذي يمر بجانب الخان من الشمال الى الجنوب فوق الجسر، والأخرى لتراقب القادمين عبر هذا الطريق من الجنوب. والخان مجرد من الأبراج والمزاغل باستثناء هاتين الشرفتين، ومع ذلك فهناك منافذ السهام الصغيرة موزعة في مختلف الجدران. والخان في حالته الحالية متهدم في معظم أجزائه لا سيما الواجهة الشمالية التي تحتوي على المدخل فقد تهدمت تماما. والى الشرق من الخان، وعلى بعد خمسين متراً تقريباً توجد بركة كبيرة أقرب ما تكون للصحاريج أو المواجل^(٥٥)، أعدت لجمع المياه شتاء وحفظه لري القوافل المارة وسقاية المسافرين. وبالقرب من هذه البركة جبانة صغيرة خاصة بالخان.

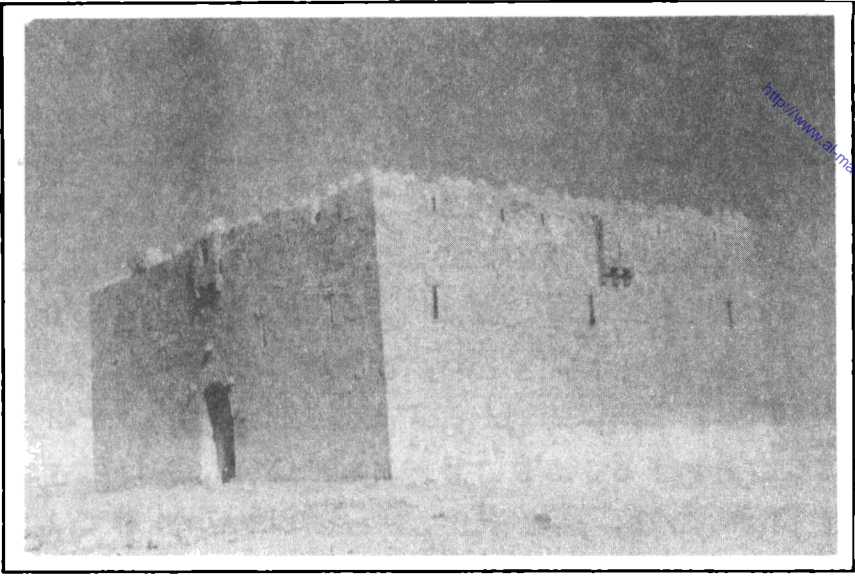
٣ - خان القطرانة:

يقع خان القطرانة الى الشمال من خان الحسا، على بعد بضعة أمتار من الطريق الصحراوي الذي يربط عمان بالعقبة، وعلى بعد ٩٠ كم جنوبي مدينة عمان. وكما اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ إنشاء خان الحسا اختلفوا كذلك في تاريخ إنشاء هذا الخان والمصر الذي أنشئ فيه، فذهب الجمهور الأعظم منهم الى اعتباره من العصر العثماني وحدث نشرات دائرة الآثار العامة بالأردن حذوهم واعتبرته بناء عثمانيا الى حد أن الادارة العامة للآثار تعاونت مع الحكومة التركية في إجراء أعمال الترميم اللازمة لهذا الأثر، وما زالت تصدر مدخل الخان لوحة تشير الى أن أعمال الترميم الحديثة قامت بتعاون مع الحكومة التركية. ولكنني أخالف هذا الرأي وأؤكد أن خان القطرانة خان مملوكي الانشاء استناداً الى بعض الحقائق والأسانيد، أولها أن بعض الرحالة أشاروا الى أن الأسلوب المعماري للخان يشبه نظيره في خان الحسا سالف الذكر^(٥٦). والحقيقة الثانية نص تاريخي يثبت أن هذا الخان كان قائماً في سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م). ففي هذا العام وعند عودة الركب الشامي من الحج، أقام الحجاج في الحسا،

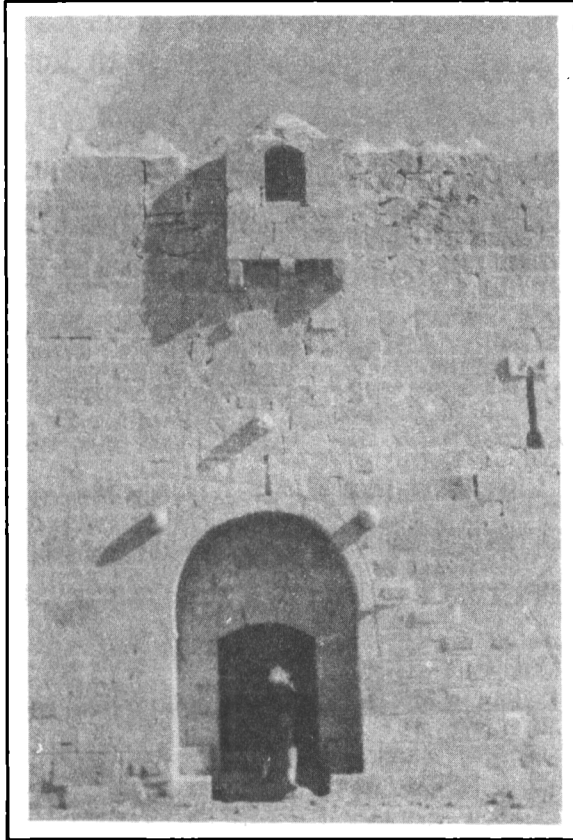
(٥٥) المواجل جمع ماجل، وهو حوض مستدير كان يتخذ خزانا للمياه عند الضرورة، وتكثر المواجل في تونس والقيروان (عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج ٢ ص ٤٥٨، ٤٥٩).

Brunnow, Provincia Arabia, vol. 2, P. 18

(٥٦)



منظر عام لخان القطرانة



منظر لمدخل خان القطرانة الرئيسي

حيث استراحوا بعض الوقت، وكان بصحبة هؤلاء الرحالة الحلبي ابن الشماع الذي يذكر أن أمير الركب رحل « بالناس بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة، ثم نزل قبيل الغروب الوصول الى خان القطراني وذلك نصف الجبال بسبب الجوع والله أعلم، ثم رحل الثلث الأخير وصلنا طلوع الشمس الى خان القطراني وغالبه عامر»^(٥٧)، هذا النص يشير الى وجود خان القطرانة في سنة ٩٢٦ هـ، وانه كان آنذاك في حالة من التهدم وانه كان في معظمه عامر مع أنني أعتقد أن الخراب كان منسوباً على معظمه، وبدليل أن الحجاج لم يقيموا فيه بل تابعوا سيرهم الى الأمام ولكن قد يقول قائل إن هذا التاريخ يصادف وجود الحكم العثماني لبلاد الشام ومصر ومن هنا يمكن نسبه إليهم. ولكن المصادر التاريخية تؤكد أن العثمانيين لم يتمكنوا سيطرتهم على بلاد الشام ومصر إلا بعد أن تم لهم القبض على طومان باي آخر سلاطين المماليك في ربيع أول سنة ٩٢٣ هـ (ابريل نيسان) (١٥١٧م)، فأعلن عندئذ بدمشق أن الملك المظفر سليم خان قد ملك^(٥٨). ومع ذلك فإن القبائل العربية في منطقة شرقي الأردن لم تقبل الأحكام الجدد بسهولة. فعانت فساداً في تلك الربوع منذ أواخر عصر دولة المماليك الثانية، وتفاقم أمرهم واستفحلت فتنهم في أوائل الفتح العثماني، ولهذا السبب أبطل السفر الى الحج عن طريق الأردن، وأصبح الحاج الشامي يسلك الطريق المصري والغزاوي^(٥٩). وفي سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠م) أعيد السير في الطريق الأردني ويعبر ابن طولون عن ذلك بقوله: «نودي بدمشق بالحاج بالتوجه عن طريق الدرب الشامي، وسار الركب وفيه الكثير من الحجاج الحلبيين والحمويين، والأروام، ولم نر من سبعين سنة أعظم من هذا»^(٦٠). وقد سافر مع هذا الركب الرحالة الحلبي ابن الشماع الذي شاهد خان القطرانة عند عودته، ووصفه بأن معظمه عامر. ومن هنا فإننا نقرر أن هذا الخان هو خان مملوكي

(٥٧) ابن الشماع: عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الإقامة والأسفار، ج ٢ لوحة ٣٤ «مخطوط».

(٥٨) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ٢ ص ٦٠.

(٥٩) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ٢ ص ٦٦.

(٦٠) ابن طولون: مفاكهة الخلان، ج ٢ ص ١٢١.

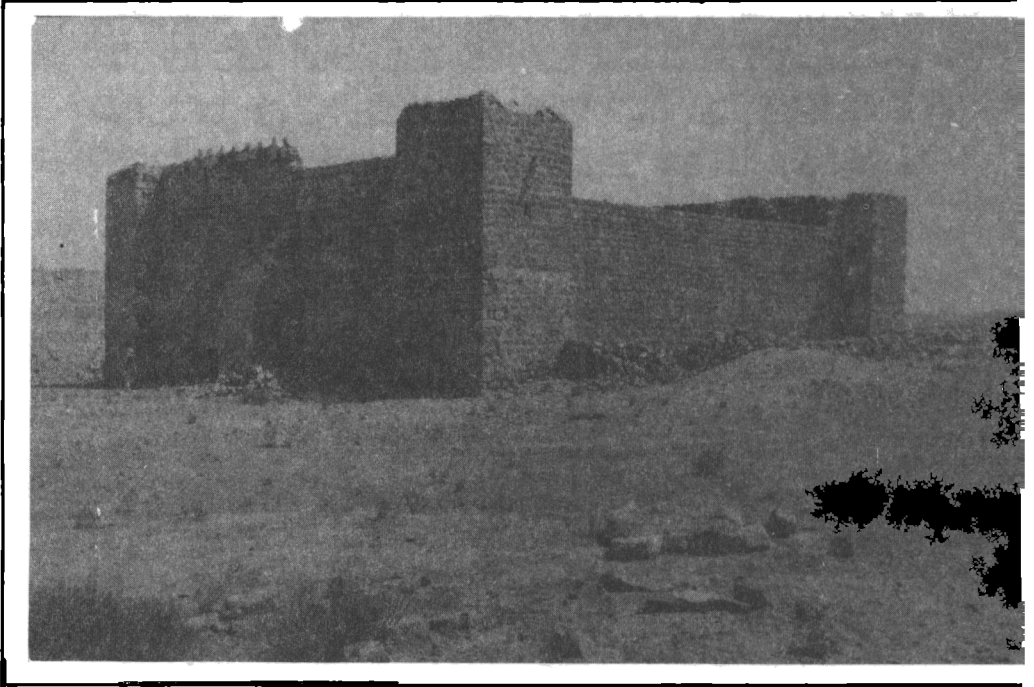
أنشئ خدمة للقوافل التجارية والمسافرين، مثله خان العقبة وخان الحسا، أما العثمانيون فقد رموه فيما بعد وشحنوه بالساكر حفاظاً على سلامة الحجاج وتأميناً لاستمرار المواصلات بين الشام والحجاز، وضماناً لوجود الاستقرار في تلك الربوع.

والخان بناء مستطيل الشكل يشكل مساحته قدرها ٢٢×١٧م^٢ تقريباً، بنيت جدرانه من الحجر المصقول الذي استخدم فيه بلاط من الطين والكلس، وهي طريقة شاعت في الأردن في عصر دولة المماليك^(٦١). ويقع مدخله الرئيسي في الواجهة الشرقية منه، وترتفع البوابة حوالي ثلاثة أمتار ويعلو فتحة الباب عقد نصف دائري، وتزدان البوابة بحلية معمارية مكونة من ثلاثة تنوءات حجرية. ويعلو البوابة شرفة بارزة قائمة على ثلاثة كوابيل حجرية، تطل على الطريق المار أمام الخان، وقد أعدت هذه المشربية لمراقبة النزلاء ولتمكين الدفاع عن المدخل. ويؤدي المدخل الى دهليز صغير قبواته متعارضة ينتهي بفناء مستطيل هو صحن الخان، ويدور حوله في الطابقين الأرضي والعلوي حواصل وغرف وقاعات سقف بعضها بقبوات نصف أسطوانية، وبعضها الآخر بقبوات متعارضة. وفي جانب من الصحن درج يصعد الى الطابق العلوي، ويعلو جدران الطابق العلوي ممشى سور له ساتر يقف وراءه الحراس للمراقبة وتمكين الدفاع عن الخان. ونستدل من مظهر البناء إجمالاً على أن معظم الطابق العلوي والواجهة القبلية للخان قد تعرضت حديثاً لأعمال الإصلاح والترميم. وتتوزع في جدران الخان منافذ صغيرة للسهام على النحو الذي نشاهده في خان الحسا، كما يتوسط الصحن جب يستقي منه نزلاء الخان. وإلى الجهة الشرقية من الخان بركتان (ماجلان) أحدهما كبيرة والأخرى صغيرة، وتتجمع فيها مياه الأمطار، والظاهر أنها أعدت لخدمة المسافرين والحجاج أو لسقيا الدواب.

٤ - خان قياد (ضبعة):

يقع بين عمان وخان القطرانة الى الشرق من الطريق الصحراوي الحالي،

(٦١) وثيقة وقف السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩ بدار الوثائق القومية بالقاهرة.



منظر عام لخان قياد (ضبعة) ومدخله الرئيسي

وعلى مسيرة يوم من القطرانة^(٦٢). وينسب بعض المؤرخين هذا الخان كالثان في الخانين السابقين للعثمانيين. غير أني أعارض أيضاً هذا القول وأرجح أن الخان بناء مملوكي شأنه شأن خاني الحسا والقطرانة، استناداً الى نص تاريخي يشير الى أنه كان قائماً في سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) وقد أتى عليه الخراب وعامل القدم به، ولضعف السلطة المركزية وعبث البدو والعربان في المناطق المصاحبة للبادية. والنص التاريخي الذي استند إليه لابن الشماخ الحلبي كذلك، فقد مر بخان القطرانة بعد عودته من الحج، ثم يقول: «فاستمرنا في السير الى أن نزلنا عند خان قياد بكسر القاف وبالياء المثناة تحت بعدها ألف ثم دال مهملة، وهو خان خراب، قبل غروب الشمس بنحو ساعة»^(٦٣). هذا النص يثبت صراحة وجهة النظر التي ذهبنا إليها، كما يبين لنا الاسم الحقيقي لهذا الخان وهو (خان قياد).

والخان بناء مربع الشكل يشبه في طريقة بنائه شقيقه في القطرانة والحسا، إلا أنه يختلف عنها في أن أركانه الأربعة قد زودت بأبراج صغيرة مربعة، فتحت في جدرانها منافذ للسهام. وقد استخدم في بناء خان قياد (ضبعة) الحجر المصقول كما استعمل الطين والكلس ملاطاً لتثبيتها. ومدخل الخان يشبه مدخل خان القطرانة، فالبوابة الخارجية تفضي الى ردهة مربعة عقدها مدبب، وتؤدي الى صحن الخان وقد كسي بلوحات حجرية، ويتوسط الصحن جب يستقي منه نزلاء الخان ويدور بالصحن بوائك تطل عليها حواصل وغرف معدة لحزن البضائع وخدمة المسافرين ويعلو أبواب الغرف أعتاب مسطحة كالثان في قلعة الحسا، وعقود البوائك مدببة، ويمكن الصعود الى الطابق الثاني عن طريق درج يقع على يمين الداخل الى الصحن. وهذا الطابق العلوي لا يعدو مراً مكشوفاً يطوف بدائرة البناء، تحميه من خلفه جدران الخان التي فتحت فيها منافذ

(٦٢) وقبع أطلق على هذا الخان أيضاً اسم خان البلقاء أو قلعة البلقاء، انظر:

Brunnow, Provincia Arabia vol. 2, P. 76

Grant, The Syrian desert, P. 224.

(٦٣) ابن الشماخ: عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الإقامة والأسفار، ج ٢، لوحة ٣٤ «مخطوط».

للسهام. ومن الجدير بالملاحظة أن حافة المر العلوي المطل على الصحن مزودة بميازيب مائلة الى الصحن، والظاهر أن مياه الأمطار المتجمعة في هذا المر كانت تصب في البئر الموجودة داخل الفناء الداخلي.

وللخان مسجد صغير يماثل مسجد خان الحسا، وقد عثر على نقش كتابي في داخل هذا الخان يشير الى أن مجدد هذا المسجد هو اسماعيل باشا أمير الحاج في عصر الدولة العثمانية^(٦٤).

وبالإضافة الى هذه الخانات يشير الرحالة كوندر الى أنه شاهد بعين خائناً كبير المساحة في نهاية القرن التاسع عشر وسط السوق الواقع ما بين المسجد الجامع والحمام الروماني^(٦٥)، ولكن لم يتبق من هذا الخان أي أثر في الوقت الحاضر. أما الكرك فقد زودها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بخان للسبيل، عهد بينائه الى الأمير سنجر الجاولي سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م)^(٦٦)، والظاهر أن هذا الخان لقي نفس مصير خان عمان.

(٦٤) وتطالع في النقش النص التالي:

انما يعمر مساجد الله من أمن بالله واليوم الآخر. وأقام الصلاة وآتى الزكوة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين جدد هذا المكان المبارك صاحب الخيرات أمير الحاج الوزير (؟) عثمان باشا (... في ذي الحجة) سنة ١١٨٠ (أنظر:

Brunnow, Provincia Arabia, vol. 2, P. 76.

Conder, The survey of eastern Palestine. P. 59. (٦٥)

(٦٦) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٢٦٦.

(٣)

الآثار الحربية

١ - قلعة الشوبك:

— تقع قلعة الشوبك جنوبي منطقة الأردن بين الكرك وأطلال مدينة البتراء ، وتبعد ٢١٤ كم جنوبي مدينة عمان . وتربض هذه القلعة في أحضان جبال الشراة على ارتفاع ١٣٣٠ م فوق مستوى سطح البحر ، وتقوم القلعة على قمة جبل سامق الارتفاع تحيط به الأودية من جهاته الأربع ، ويشبه وضعه في هذه الحالة جزيرة عائمة وسط محيط من الأودية السحيقة .

— والقلعة قديمة البناء يرجع تاريخ إنشائها الى عصر الأنباط ، ولكنها خربت في العصر الروماني وظلت كذلك طوال الحكم البيزنطي لمنطقة شرقي الأردن ، ثم تجدد بناؤها في فترة الصراع الحربي بين الساسانيين والبيزنطيين ، وهو صراع استمر حتى الفتوح العربية الاسلامية . ويذكر ياقوت: « أن يقودور الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ م الى بلاد ربيعة من طيء وهو باق في الشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى ، ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بغرب وادي موسى فمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر الى مصر من الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن » (٦٧) .

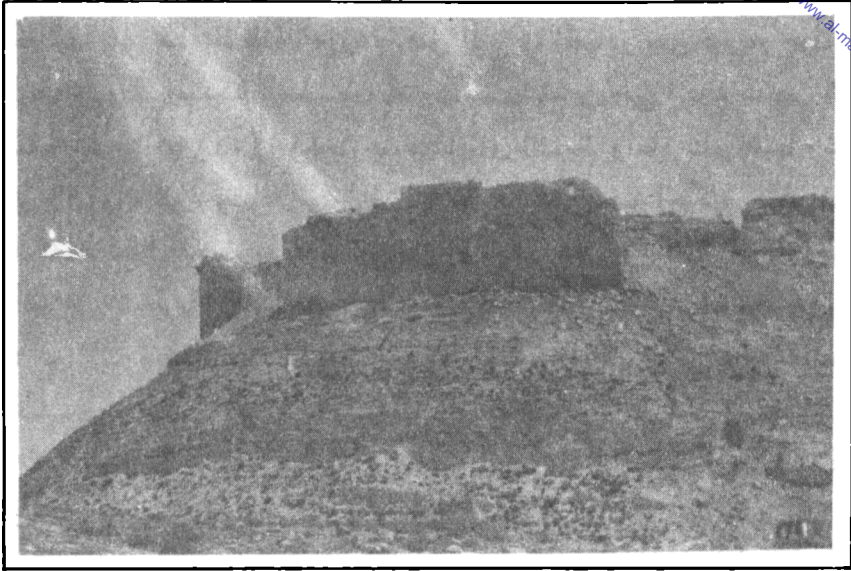
وأعتقد أن القلعة ظلت تؤدي وظيفتها الحربية في تلك الأصقاع في فترة الحكم الاسلامي ، سواء في العصر الأموي أو العصر العباسي ، أو خلال السيطرة

(٦٧) ياقوت: معجم البلدان، ج ٣ ص ٣٣٢ .

الفاطمية على هذه المنطقة، وإن لم يصل إلينا في المصادر نص صريح حول هذا الموضوع. ولكن لم يكد الصليبيون يحتلون بيت المقدس حتى اندفع بلدين الأول سنة ٥٠٩ هـ (١١١٥ م) نحو الجنوب فوصل الى الشوبك وأعاد بناء قلعتها وشحنها بالرجال والمقاتلين وسماها مونتريال Mont Roail بهدف إحكام سيطرته على حركة الاتصال بين مصر والشام عبر دروب الأردن. ومراقبة حركة الجيوش والقوافل التجارية ما بين مصر والشام وبلاد الرافدين والجزيرة العربية والبحر الأحمر^(٦٨). وبقيت هذه القلعة العملاقة تؤدي دورها خلال مرحلة الصراع الصليبي الأيوبي الى أن استسلمت لقوات صلاح الدين في سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م)، بعد حصار طويل دام سنتين تقريباً. عندئذ دخلت في فلك الحكم الأيوبي، فاهتم بها الأيوبيون وأولاهها الملك المعظم عيسى جل اهتمامه فعمرها وأزاد في تحصيناتها وجدد فيها الكثير. ثم دخلت في فلك إمارة الكرك الأيوبية بزعامة الملك الناصر داود سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م)، ولكنها أصبحت مثار نزاع بينه وبين السلطان الملك الكامل محمد صاحب مصر، الذي طالب بأن تكون حصنه الحصين. وانتهى النزاع بينهما بعد أن ارتضى الناصر داود أن يقدمها الى عمه تحقيقاً لرغبته، وعندئذ اهتم الملك الكامل محمد بمحصن الشوبك لأنه أصبح خزائنه وملجأ يلوذ به عند الحاجة، فجدد فيه وزاد في عمارته، ثم دخلت الشوبك في حكم الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، فاهتم كثيراً بالقلعة وعهد ولايتها الى الأمير آيبك عبد الله عز الدين أيدمر الحلبي، والأمير علم الدين سنجر الحصني، والأمير عز الدين آيبك الزرادي وغيرهم^(٦٩). وقد اهتم هذا الوالي بالقلعة، وزاد في عمارتها، ونستدل على ذلك من نقش كتابي من ستة سطور على حجر مهشم، شاهدته ملقى في إحدى قاعات القلعة هذا نصه:

(٦٨) يقول المقرئزي: «وأخذ بقدوين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسة وكان قد خرب من تقادم السنين» (الخطط، ج ١ ص ٣٦٦). ويقول مؤلف تاريخ سلاطين المماليك: «قصده بقدوين صاحب القدس في سنة تسع وخمسة وهو يومئذ حصن خراب من تقادم السنين، فعمره ورتب أصحابه فيه وملك تلك الأعمال» (مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص ٢٤٢).

(٦٩) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣ ص ١٣١.



منظر خارجي لأحد الأبراج النصف دائرية في قلعة الشوبك



المدخل الرئيسي لقلعة الشوبك ويلاحظ النقوش الاسلامية على الاسكفة المستقيمة:

- (١)السلطاني الملكي الصالحي
- (٢) الشهيد الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب خلد الله
- (٣)
- (٤) وذلكالأمير الأجل الكبير عز الدين
- (٥) ابن عبد الله المعروف بالاسكندرا في الملكي الصالحي ال
- (٦)وذلك في شهر ستائة وأربعين

ثم انتقلت القلعة بعد ذلك الى حكم الملك المغيث عمر صاحب الكرك، إلا أن السلطان عز الدين آييك التركماني لم يلبث أن انتزعها من المغيث عمر، فجدد بدوره في عمارتها، ونستدل على ذلك من نقش كتابي وجدته مثبتاً في أحد الجدران في غير مكانه الأصلي، والنقش من ستة سطور نصها:

- (١) بسم الله الرحمن الرحيم عمر هذا
- (٢) المكان المبارك في أمر مولانا السلطان
- (٣) الملك ابن آييك
- (٤) ابن محمد خلد الله ملكه وأمه وأنفذ
- (٥) أحكامه وذلك بإشارة المجلس السامي
- (٦) جمال الدين قطز في شهر سنة احدى وخسين وستائة .

ومنذ ذلك الحين حظيت قلعة الشوبك بجانب كبير من اهتمام سلاطين دولة المماليك الأولى وعلى الأخص في زمن السلطان الملك الظاهر بيبرس، استنادا الى نقش كتابي يحمل عبارة مبتورة من ثلاث قطع موزعة حجارتها في أمكنة مختلفة من أبراج القلعة، ومن مجموع هذه النقوش نقرأ التالي:

« ... الجاهد المنصور ركن الدنيا والدين بيبرس بن عبد الله قسيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه و.... » (٧٠).

Combe, Sauvaget, wiet,

(٧٠)

Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe, vol. 12, P. 224.

Brunnow. Provincia Arabia, vol. 1. P. 119.

إلا أن أسوأ ما تعرضت له القلعة من أضرار حدث في سلطنة الأشرف خليل ابن قلاوون، ففي سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٣ م)، أمر بهدم قلعة الشوبك، وتوجه الأمير عز الدين آييك الحموي الأفرم نائب دمشق لانجاز هذه المهمة، فهدمها وأخربها كلها باستثناء (القلعة)^(٧١). وظلت القلعة مهدمة الى أن تولى السلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين، فأعاد بناءها، وندب لهذا العمل الأمير علاء الدين قبرص المنصوري، الذي أسند مهمة التنفيذ الى محمد بن عبد الحميد المهندس. وقد خلد حسام الدين لاجين أعماله بنقوش كتابية بخط النسخ الكبير مثبتة على معظم الأبراج التي أعيد بناؤها وتجديدها. والظاهر أن الأبراج التي تعرضت للهدم في عهد الملك الأشرف خليل هي التي تقع في الجهتين الشرقية والشمالية. أما (القلعة)، وهو البرج الكبير المستطيل الشكل الواقع في أقصى الطرف الجنوبي الغربي، وهو أكبر أبراج القلعة فلم يكن قد تهدم^(٧٢) كما أسلفنا القول. وقد سجلت أعمال الترميم والتجديد على لوحة مثبتة على البرج المربع الواقع الى يمين الداخل الى القلعة نقشت بخط النسخ الكبير الجميل ونطالع فيه ما يلي:

« الله جل جلاله . بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله إن الدين عند الله الإسلام، أمر بإنشاء هذه القلعة وتجديدها مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور العالم العادل المجاهد المؤيد المظفر حسام الدنيا والدين المنصور أبو الفتح لاجين خلد الله ملكه وأدام أيامه وذلك في سنة سبع وتسعين وستائة وذلك في مباشرة الأمير علاء الدين قبرص المنصوري رحمه الله محمد بن عبد الحميد المهندس »^(٧٣).

(٧١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٣٣٢ - ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٨ ص ١٥٦ - مفضل بن أبي الفضائل: النهج السديد، ج ٢ ص ٣٩٦ - ٣٩٧ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ١٦.

(٧٢) يقول تومسون: منذ سنة ١٢٠٠ م بنيت قلاع كبيرة وكان أهم عناصرها برج الطليعة وهي في العادة أكبر الأبراج في القلعة (أنظر:

Thompson, History of the middle ages, P. 260.

Brunnow, Provincia Arabia, vol. 1, P. 119.

(٧٣) وأنظر النص أيضاً في:

أما البرج نصف الدائري الواقع في الجهة الشمالية من القلعة والمواجه لعين
العنصر فعليه النقش التالي:

« لا إله إلا الله محمد رسول الله إن الدين عند الله الاسلام، أمر
بإنشاء هذه القلعة وتجديدها مولانا السلطان الملك المنصور العالم
العادل المجاهد المؤيد المنصور حسام الدين والدنيا لاجين... سعادته
وأيد نصره ذلك في سنة سبع وتسعين وستائة » (٧٤).

وقرأت أيضاً في أحد الأبراج العلوية نقشاً هذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذه القلعة وتجديدها
مولانا السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وذلك في مباشرة
الأمير الكبير علاء الدين المنصوري قبرص سنة سبع وتسعين
وستائة » (٧٥).

كذلك سجلت أعمال الترميم على واجهة كبيرة لأحد الأبراج المربعة هذا
نصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذه القلعة وتجديدها
السلطان الملك المنصور.... » (٧٦).

ثم تعرضت القلعة للهدم والتخريب بفعل الزلازل التي اجتاحت البلاد
وهدمت أجزاء منها ولكن سلاطين دولة المماليك الأولى والثانية كانوا يسارعون
إلى إصلاح ما يتهدم، وظلت كذلك إلى أن أقدم إبراهيم باشا في سنة ١٨٤٠ م
على نسفها بالديناميت هي وبقية القلاع الأردنية وذلك عند احتلاله لبلاد الشام.
ولهذا السبب تعذر على الباحثين تبين تخطيطها الأصلي أو حتى معرفة طبقاتها،
فهي من الداخل كومة من الأنقاض، وواجهتها الشرقية والجنوبية مهدمة تماماً،

(٧٤) وأنظر نص النقش كذلك في Brunnow, op. cit. vol. 1, P. 119.

(٧٥) وانظر أيضاً: Brunnow, op. cit. vol. 1, P. 118.

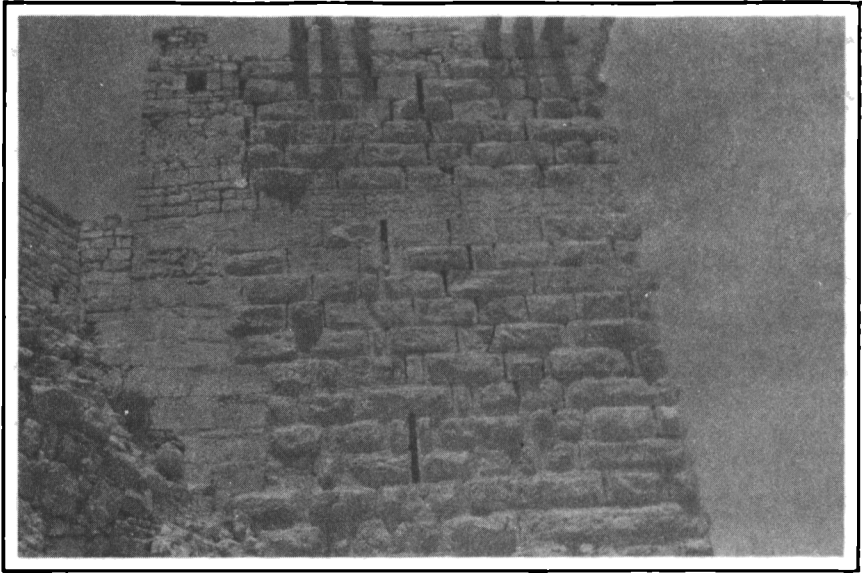
(٧٦) وأنظر نص هذه النقوش أيضاً في دائرة الآثار العامة الأردنية - قسم التسجيل عمان.
والنصوص المثبتة لديهم اعتمدت من كتاب برونوف، وليس عن طريق زيارة ميدانية للقلعة.

ولم يبق إلا الواجهة الشمالية والغربية، التي وصلت إلينا في حالة سيئة ولكنها على أي حال أفضل مما لو كانت قد تهدمت تماماً، ومع ذلك فبعضها تعرض للهدم وأعيد بناؤه بدليل أن الحجارة التي تحمل النقوش في بعض الأبراج صفت بطريقة عشوائية، فلم يراع بانيتها تتابع النص الكتابي وتسلسله.

قلعة الشوبك كما أسلفت تنهض على قمة جبل يملو بقية الجبال المحيطة، وتتخذ شكل مستطيل، بنيت من الحجر الأبيض الجيري بطريقة فظة، ومع ذلك نجد فيها بعض الحجارة المصقولة في أجزاء متفرقة. وليس من سبيل للوصول الى القلعة إلا من طريق حلزوني صاعد يدور حولها، يبدأ في الجهة الغربية ثم يدور الى الشمالية فالشرقية حيث يقع المدخل الرئيسي، وهو باب واسع مستطيل الشكل ينتهي من أعلى بعقب أفقي نقشت عليه زخارف قوامها رسوم دائرية وشجرة النخيل، وهذا المدخل يشبه أبواب المساجد الاسلامية المملوكية^(٧٧). ويحيط بالقلعة سور ضخم يتخلله أبراج نصف أسطوانية ومربعة، ويلاحظ في هذه الأبراج وجود منافذ للسهم تبدو من الخارج ضيقة ولكنها تتسع في الداخل بحيث تشكل ما يقرب من الغرف، وفتحات المنافذ اكثر ارتفاعا من أرضية الغرفة ويمكن الصعود إليها عن طريق مصطبة. وتشغل الأبراج من الداخل قاعات مربعة يمكن الدخول إليها عن طريق أبواب يملو بعضها أعتاب مستقيمة ذات سنجات حجرية متعاشقة، وبعضها أعتاب من كتلة حجرية واحدة. ونلاحظ أن السنجات المتعاشقة في بعض الأعتاب تتخذ زوايا متداخلة مبالغ في احكام التمشيق بينها. ولما كانت الجهة الغربية في القلعة تشكل أكثر أجزاء القلعة تعرضاً للخطر، ذلك لأن الطريق المؤدي للحصن يمتد من الجهة الغربية ثم يتجه شمالا ويدور بشكل حلزوني حتى يصل الى الجهة الشرقية من الحصن حيث يقع المدخل الرئيسي، ولهذا ازدادت العناية بهذا الجزء وتركز فيه الدفاع، وزودت أسواره بالعديد من البدنات لتقويتها. ومبالغة في زيادة مناعة برج (القلعة)، كسي منحدر الجبل الذي تقوم عليه القلعة من الخارج برصيف من الحجر الأملس يميل جداره الى الخارج على النحو الذي نراه في قلعة

Brunnow, op. cit. vol. I, P. 116.

(٧٧)



أحد الأبراج المربعة في قلعة الشوبك ويلاحظ أن النقوش أعيد بناء حجارتها بطريقة عشوائية



احدى النقوش بخط النسخ الجميل بقلعة الشوبك

الكوك (٧٨). والمفزي من هذا الرصيف المائل أدنى الأسوار وضع عراقيل أمام الغزاة، وفي نفس الوقت إتاحة الفرصة للمدافعين قذف الأحجار على هذه القواعد المنحدرة لتنعكس على الأعداء.

ويحيط بالقلعة وديان خضر وعيون تتدفق منها الماء، ففي الجهة الشمالية منها وفي قاع الوادي تقع عين العنصر، وإلى الشرق منها في مواجهة الباب الرئيسي تقع عين العاصي، وإلى الغرب منها تقع عين الحشمان. ثم هناك عين الرغاية في مواجهة الزاوية الجنوبية الشرقية للقلعة، أما عين مغاسم فتقع جنوبي القلعة، أما جبانة القلعة فقد خصص لها سفح الجبل الشرقي منها.

والقلعة من الداخل مهدمة تماماً، فلم يبق منها إلا أطلال دارة. ونميل الى الاعتقاد بأنها كانت تتكون من عدة طبقات، قد تكون طابقين وقد تكون ثلاث، إلا أن التدمير الذي أصابها يحول دون التحقق من تحديد العدد على وجه الدقة. وكانت تشتمل على مسجد ما زال ماثلاً حتى الآن في الجهة الشمالية الشرقية ويشغل قاعة مستطيلة الشكل طولها ١٣ م وعرضها ٥ م. أما الجب الذي يستقي منه المدافعون عن القلعة فيقع الى الشرق من المسجد، ويلاحظ وجود آثار معصرة زيت لعصر الزيتون الجلوب من الأشجار المنتشرة حول الموقع. وفي الطابق العلوي من القلعة بقايا حمام معالمة غير واضحة، ولم يتبق منه إلا أنابيب الفخار التي كانت تحمل إليه المياه. وفي الجهة الجنوبية من القلعة قاعة كبيرة يطلق عليها اسم الكنيسة، وبداخل هذه القاعة دهليز ضيق يهبط الى باطن الأرض ويبلغ عمقه تحت مستوى سطح الموقع ١٧٨ درجة، وينتهي هذا الدهليز بقاعة، ويمتد أنها الخزانة حيث كان السلاطين يخزنون أموالهم وذخائرهم. إلا أن الشيء الملفت للنظر حقاً البئر العميقة الموجودة في الجهة الجنوبية الغربية من القلعة، ويمكن النزول إليها في ممر مظلم عن طريق درج لولبي منحوت في الصخر طوله ٣٦٥ درجة، وينتهي هذا الدرج بكهف به نبع ماء يصب في بركين مستطيلتين، مساحتها أربعة أمتار مربعة، احداها جافة في الوقت الحاضر.

كانت هذه البئر تزود القلعة بالماء في أوقات الحصار، ويفسر ذلك السبب في صمودها الطويل للحصار فقد رأينا أنها لم تستلم لصالح الدين الأيوبي إلا بعد حصار دام سنتين. والظاهر أن هذا النبع، هو من ينبع عين مغاس الموجودة في الجهة الجنوبية من القلعة، ولبعد هذه العين وصعوبة جلب الماء منها، فقد استمض في أوقات السلم بالآبار والصحاريح التي حضرت بالقلعة وتزود بمياه الأمطار بواسطة أنابيب فخارية مع سطح القلعة، وما زالت بعض هذه الأنابيب باقية للآن.

وأياً ما كان الأمر فإن المظهر المعماري العام للقلعة يتميز باختلاف ألوان المواد المستخدمة، باختلاف الأيدي العاملة التي جددت ورمت ببناء القلعة عبر حقب التاريخ، ويمكن أن نفاضل بينها أو نميزها بجلاء بفضل الاختلاف الواضح في نوع الحجر وطريقة البناء فالعناصر المعمارية في الفترة الإسلامية تبدو أكثر تميقاً من حيث صفوف البناء أو ترتيب مداميك الحجر وهو ما نلاحظه بكثرة في القلعة سواء في الداخل أو في الأبراج التي هدمت وأعيد بناؤها، حتى أننا نستطيع أن نجزم الآن بأن القلعة بظهرها الحالي هي قلعة إسلامية في كل منشأتها. اللهم إلا الأسس الأولى التي أقيمت عليها فهي في المقام الأول نبطية وفارسية ثم صليبية.

٢ - قلعة الكرك:

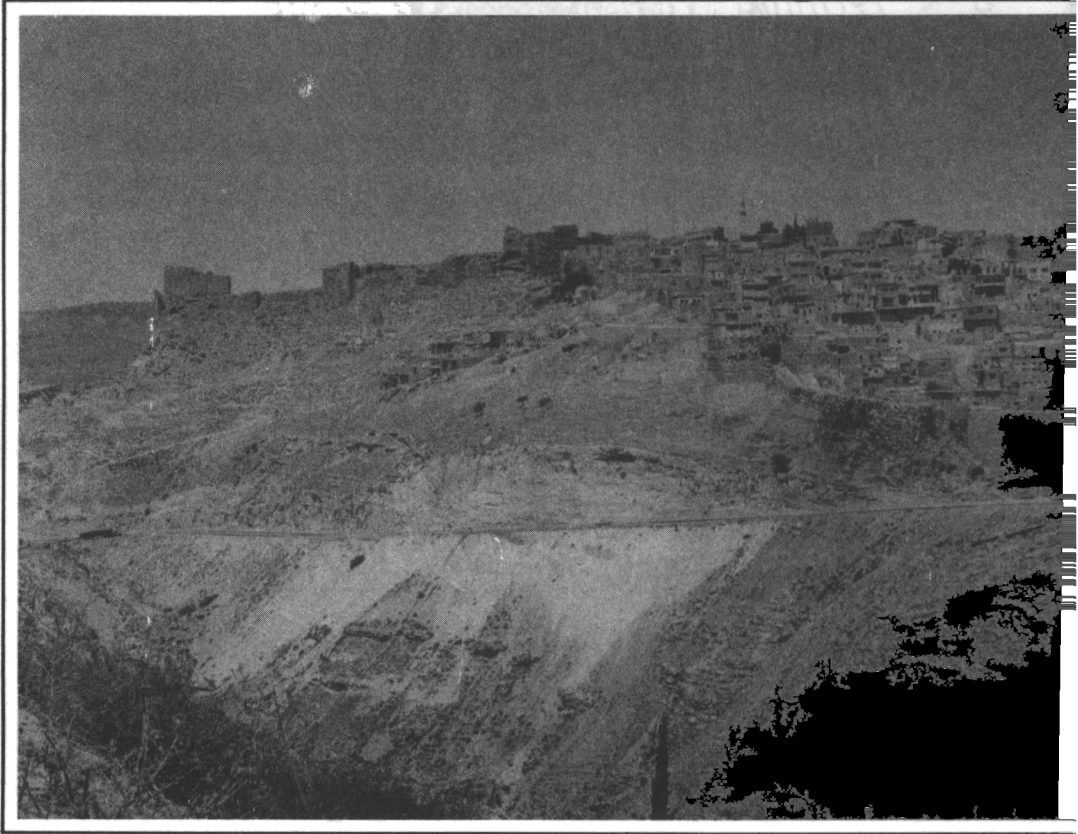
ترتفع قلعة الكرك وبشموخ عند الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت، على بعد ١٢١ كم جنوبي مدينة عمان ويبلغ ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر نحو ٣١٠٠ قدم، فقد بنيت على قمة جبل مرتفع يشكل مهازراً حصيناً، تحيط به أجراف طبيعية سحيقة من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية. أما الجهة الشمالية فقد أحاط بها خندق صناعي قطع في الصخر الصلد^(٧٩) يبلغ عمقه ٦٠

(٧٩) ابن الأثير، الكامل، ج ١١ ص ٥٠٦ - ابن شداد: الاعلاق الخطيرة، ج ٣ ص ٦٩ ابن خلدون: المعبر، ج ٥ ص ٣٠٢.

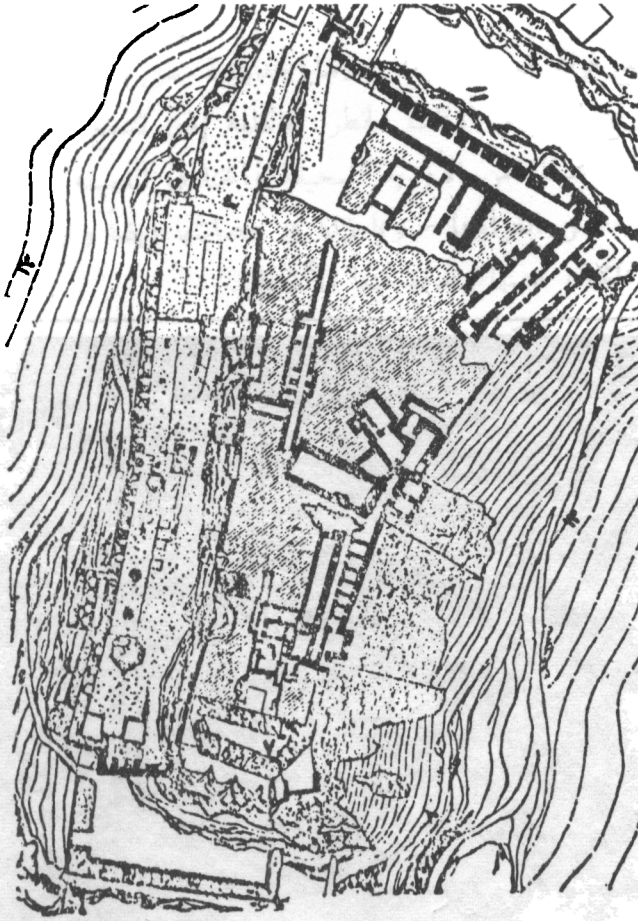
ذراعاً، ووضع فوقه جسر متحرك بسلاسل حديدية، على عادة القلاع في العصور الوسطى، يرفع ليلاً وفي أوقات الخطر. فالقلعة إذن تتمتع بموقع استراتيجي حصين، وسط محيط من الأودية السحيقة والخنادق العميقة، فاستحقت عن جدار لقب (حصن الغراب) - وما زاد في حصاتها أيضاً وقوف المدينة عند أقدامها من الشمال تحميها وتدفع عنها الأخطار.

١٠٠ - وقلعة الكرك قديمة للغاية يعود تاريخ إنشائها الى عهد المؤابيين ٨٦٠ ق.م. وقد استخدمها الأنباط فيما بعد بدليل وجود تماثيل نبطية منقوش في الأسس الأولى بالقلعة. وظلت في العصر البيزنطي درعاً واقياً للأردن حيث أشارت إليها خريطة مادبا الليفسائية بين مجموعة قلاع هذه المنطقة^(٨٠). وفي الفتوحات الاسلامية طرقتها جيوش المسلمين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح فاستسلمت له^(٨١). وأعتقد أن القلعة ظلت في العصر الاسلامي تؤدي دورها الدفاعي في هذه المنطقة، فالمسلمون لم يهملوا القلاع القديمة، وإنما عملوا على تقويتها والاضافة إليها بالزيادة والبنيان، ونستدل على ذلك من اهتمامهم بقلعة عمان، فقد بقيت تؤدي وظيفتها هي الأخرى في فترة الحكم الأموي والعباسي والفاطمي^(٨٢). وقد وصل إلينا نص تاريخي يؤكد وجهة نظرنا هذه ويثبت أن قلعة الكرك كانت تستخدم حصناً في العصر الفاطمي وبالذات في فترة الصراع بين الفاطميين ومفرج بن دغفل بن الجراح أمير عرب بلاد الشام ووالي الرملة^(٨٣). فلقد أرسل الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) جيشاً بقيادة بلكين التركي لمحاربة ابن الجراح، فهرب الأخير الى أنطاكية مستجيراً بصاحبها^(٨٤). وكان

(٨٠) Smail, Crusading warfare, P. 219.
(٨١) الأزدي: فتوح الشام. ص ٢٣ - يوسف درويش غوانمة: بحث مدينة عمان الأردنية في التاريخ الاسلامي الوسيط. في ندوة الحضارة الاسلامية بجامعة الاسكندرية أكتوبر ١٩٧٦ م، ص ٩.
(٨٢) يوسف درويش غوانمة: بحث مدينة عمان الأردنية في التاريخ الاسلامي الوسيط. ندوة الحضارة الاسلامية بجامعة الاسكندرية أكتوبر ١٩٧٦ م، ص ٩.
(٨٣) تمكن مفرج بن دغفل في سنة ٣٦٩ هـ من السيطرة على فلسطين وامتد سلطانه الى طبرية واستبد بالبلاد وجار في الأحكام (المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج ٢ ص ٢٥).
(٨٤) ابن آبيك: كثر الدرر، ج ٦ ص ٢٠٥ - المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج ١ ص ٢٥٦.



منظر عام لقلعة الكرك تكتنفها المدينة الحديثة



رسم تخطيطي لقلعة الكرك من كتاب مويلر

- ١ - البوابة الرئيسية للقلعة وجسرها الخشي.
- ٢ - الاجزاء السفلى من القلعة.
- ٣ - البوابة المؤدية للأجزاء السفلى.
- ٤ - المجران الخارجية للقلعة السفلى.
- ٥ - البرج الشمالي الشرقي.
- ٦ - القصر والقاعات المعدة للسكنى.
- ٧ - القلعة (برج الظاهر بيبرس).
- ٨ - احد المنحدرات المرصوف بالحجارة الملاء لعرقلة عملية ارتقاء الأسوار.
- ٩ - احد الأبواب السرية للقلعة.
- ١٠ - البركة وبجانبها باب النصر.
- ١١ - الخندق الأمامي.
- ١٢ - الخندق الخلفي.
- ١٣ - اجراف سحيقة من الشرق والغرب.

بالتكين قد وصل بقواته الى دمشق، فلما علم بهرب ابن الجراح «رجع عن دمشق الى حصن كان له في أيام هفتكين نحو جبال الشراة يقال له الكرك فأخذه وقتل من كان به وكتب بذلك الى مصر، فورد الجواب أن انزل على دمشق واجتهد في أمر قسام» (٨٥). يؤكد هذا النص اذن أن قلعة الكرك كانت موجودة زمن الفاطميين أي قبل قدوم الصليبيين الى بلاد الشام. أما الرواية التي ذكرها ابن شداد في الأعلاق الخطيرة، ونقلها عنه القلقشندي، وذكر فيها أن حصن الكرك كان ديراً للنصارى، وأن الرهبان حصنوه وسوروه وزادوه حتى أصبح حصناً هذه الرواية ضعيفة لأنه لم ينقلها عن نص تاريخي ثابت، بل من أناس يثق بهم، فهو يقول: «أخبرني ثقة أعتمد عليه» (٨٦). ولذا فإنني أستبعد رواية ابن شداد وأخذ بالنص التاريخي الذي جاء به ابن آبيك وأشرت إليه فيما سبق ونستخلص من ذلك أن حصن الكرك كان قائماً عندما أقبل الصليبيون الى الشام، ولكنهم زادوا فيه وأضافوا إليه وكان ذلك في سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م)، وقد تولى هذا الأمر باين ساتي الملك فولك، ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية.

وأصبحت قلعة الكرك من أهم قلاع الصليبيين في بلاد الشام وقد لعبت دوراً هاماً في فترة الصراع الصليبي في بلادنا، وأحكمت هي وقلعة الشوبك سيطرتها على كل المسالك والدروب في منطقة شرقي الأردن كما تحكمت في حركة التجارة وقوافلها القادمة من مصر والجزيرة العربية والبحر الأحمر الى بلاد الشام والعراق وبالعكس.

وبعد معركة حطين تعرضت قلعة الكرك لحصار شديد أحكمته عليها قوات

(٨٥) ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٦ ص ٢٠٦.

وقام هذا من بطن من العرب يقال لهم الحارثيون من قرى الشام. نشأ بدمشق وترقى فيها حتى تمكن من السيطرة عليها سنة ٣٦٩ هـ فحاربه العزيز وأرسل إليه جيشاً بقيادة بلتكين، فحاصره وألقى القبض عليه في الحرم سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٣ م) فأرسله الى مصر فعفا عنه الخليفة الفاطمي (المقريري: اتعاظ الحنفا، ج ١ ص ٢٥٨). وكان هفتكين قد استولى على دمشق في سنة ٣٦٤ هـ فعفا عنه العزيز وبقي في مصر حتى توفي سنة ٣٧٣ هـ واتهم العزيز يعقوب بن كلس بسمه (المقريري: اتعاظ الحنفا، ج ١ ص ٢٦٢. وانظر: ابن آبيك: كنز الدرر، ج ٦ ص ١٨٧).

(٨٦) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ٣ ص ٦٩.

صلاح الدين حتى استسلمت لهم سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م)، بعد ما يقرب من عام ونصف عام تقريباً. فدخلت في فلك الحكم الأيوبي واستمرت قلعة الكرك تؤدي دورها في المنطقة طوال العصرين الأيوبي والمملوكي.

وقلعة الكرك بناء ضخيم مستطيل الشكل يبلغ طولها من الجهة الشرقية ٢٢٠ م ومن الجهة الغربية ٢٤٠ م، أما الواجهة الجنوبية فيبلغ طولها ٨٥ م والشالية التي يفتح فيها المدخل الرئيسي للقلعة فطولها ١٣٥ م. وقد بنيت القلعة من الحجر الصلد بطريقة فظة غير متناسقة، ولكن البناء يبدو مع ذلك قوياً متماسكاً. وتحيط الأبراج المربعة الضخمة بالقلعة وتشكل قطاعاً هاماً من النظام الدفاعي، وتشتمل الأسوار على عدد من البدنات للتقوية، كما رصفت أجزاء المنحدر العميق خارج الأسوار بالحجارة الصلبة الملساء لترقل عملية ارتقاء الأسوار أو الوصول إليها^(٨٧). وكانت القلعة تحتوي على جناحين أحدهما علوي والآخر سفلي، فالعلوي يقع من الشرق والسفلي من الشمال الى الجنوب، ويتقاسمان مهمة الدفاع عنها^(٨٨). أما (القلعة) أو برج الطليعة وهو أكبر أبراج القلعة وأكثرها ضخامة فيقع في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من مستطيل القلعة ويبلغ ارتفاعه ٣٦ م - والبرج الكبير عادة هو الملجأ الأخير للمدافعين يلجؤون إليه في النهاية - وقد بني على قمة المنحدر المكسو بكتل الحجارة، وجدد بناؤه في عهد السلطان الظاهر بيبرس ولا زال يحمل اسمه للآن فيسمى (برج الظاهر)، ونستدل على ذلك من نقش كتابي مثبت في أعلاه هذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم... السلطان الملك الظاهر السيد الأجل
الكبير العالم العادل المجاهد المرابط المؤيد المظفر ركن الدنيا والدين
سلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين قاتل الكفرة
والمشركين ناصر الحق مغيث الخلق ملك البحرين صاحب القبلتين
خادم الحرمين الشريفين محيي الخلافة المعظمة ظل الله في الأرض

Smail, Crusading warfare, P. 221.

(٨٧)

Oman, History of the art of war, vol. 2. P. 31.

(٨٨)

Smail, op. cit. P. 220.

قسم أمير المؤمنين بيبرس بن عبد الله الصالحي أعز الله
سلطانه، (٨٩).

أما الواجهة الأمامية للقلعة فكان يحميها الخندق المنحوت في الصخر،
وتتصل بالمدينة بواسطة جسر خشبي يرفع عند الحاجة. ويدعم هذا الخندق
برجان كبيران قائمان على طرف نتوء بارز وينفتح المدخل الرئيسي للقلعة في
هذه الواجهة أدنى البرج الغربي البارز. ولم يكن هذا المدخل يفضي رأساً إلى
ساحة القلعة، وإنما كان يتعامد مع ممر آخر بحيث يشكل عقبة أمام المهاجمين يمكن
وضع كمانين ورائها ويؤدي المدخل إلى دهليز طويل مسقوف، تسيطر عليه فتحات
السهم في الحاجزين الجانبيين لهذا الممر ثم ينثنى الدهليز على شكل زاوية قائمة ثم
يتعامد مرة ثانية لينتهي بصحن القلعة وقد زود هذا الممر ببابين متباعدين زيادة
في الحيلة وتمكيناً لمتطلبات الأمن والدفاع^(٩٠). وللقلعة باب آخر من جهة
الجنوب يسمى (باب النصر)، ولا شك أن جسراً آخر كان يربطه بالجهة الجنوبية
عبر ذلك المنحدر^(٩١)، وهناك أبواب سرية نقتب في جهات متعددة من السور.

أما الجهة الشرقية من السور فقد زودت بأربعة أبراج مربعة قائمة الزوايا
يرتكز عليها السور، والمسافة التي تفصلها فيما بينها تتراوح ما بين ٢٥ و ٥٥ ياردة
أما بروزها عن سمت السور فيتراوح ما بين ١٠ و ٢٣ قدماً^(٩٢). وتكثر منافذ
السهم على امتداد الأسوار والأبراج، ويمتد بأعلى الأسوار والأبراج من
الداخل ممشى يتحرك عليه المدافعون عن القلعة ويحتمون وراء الدراوي.

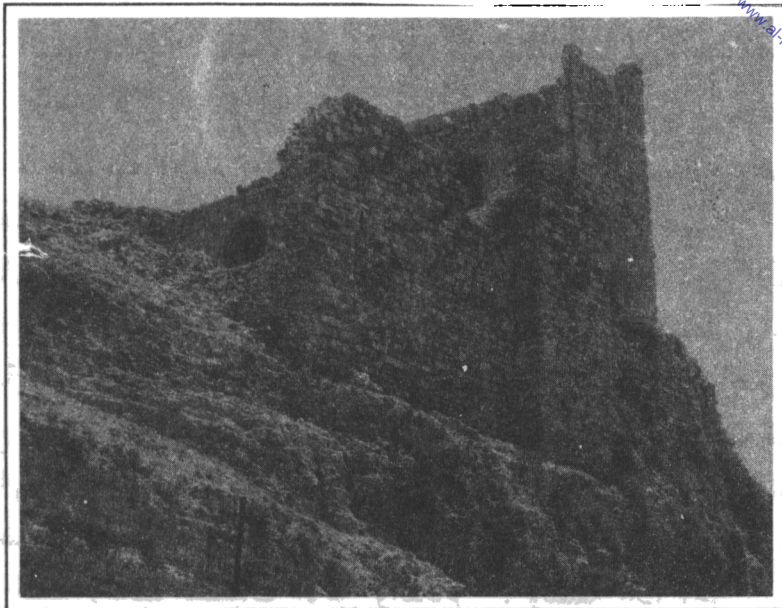
Combe. Sauvage, wiet, op. cit. vol. 12, P. 222 (٨٩)

(٩٠) هذا الأسلوب من المداخل المنحنية أخذه الغرب من الشرق، وأول ما استعمله العرب في مدينة
بغداد. ومن فوائده أنه لا يمكن العدو الذي يصل إلى الباب من أن يرى الفناء الداخلي. أو
يصوب سهامه إلى من فيه (عبد الرحمن زكي: العمارة العسكرية في العصور الوسطى، ص ١١١).
كذلك فإن هذا الأسلوب شاع استخدامه في الأندلس والمغرب بحكم الصراع المتواصل بين
المسيحية والإسلام. وطبق في معظم الأبواب الموحدة وهذا النوع من الأبواب يسمى عادة
(الأبواب ذات المرافق) (عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج ٢ ص ٨٦١).

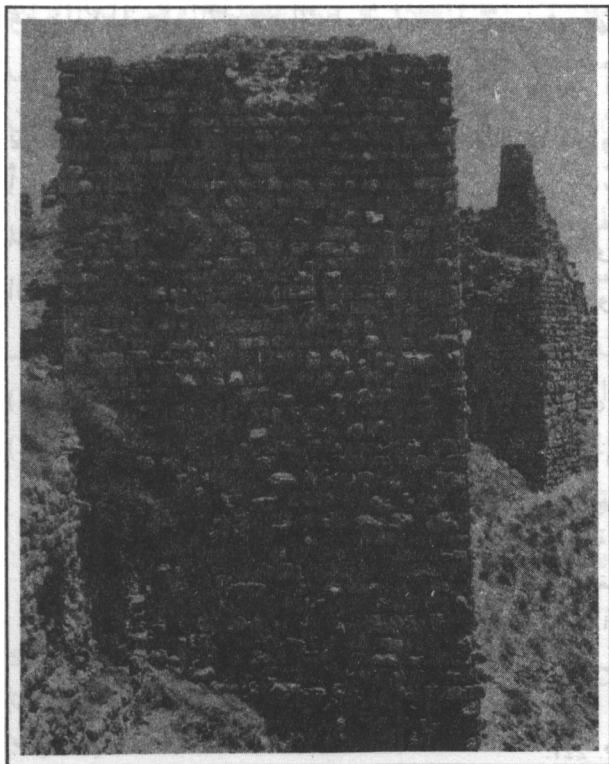
(٩١) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والمصور، ص ١٣٨.

Smail, Crusading warfare, P. 221.

(٩٢)



منظر لأحد أبراج قلعة الكرك على سن جبل سامق



أحد الأبراج المربعة
في قلعة الكرك

وتتوزع في داخل القلعة مبان عديدة وقاعات وغرف لسكنى الجند، واصطبلات الخيل بلغت من الاتساع حداً يجعلها تتسع لعدة آلاف من المقاتلين، وبعض هذه الأبنية يتألف من خمسة طوابق، تربطها فيما بينها ممرات مزودة بنوافذ للتهوية والانارة، وأخرى أعدت لاطلاق السهام. وبما لا شك فيه أن قلعة الكرك جمعت بين الموقع الاستراتيجي الحصين والاستحكامات الدفاعية القوية، وتمثل في الأسوار الشاهقة والأبراج العالية والخندق العميق. وقد هيأها ذلك كله لأن تصبح من أقوى الحصون وأمنها في المنطقة، وهذا هو السر في صمودها أمام الحصار الطويل في عهد صلاح الدين وفي عهد السلطان الناصر أحمد بن قلاوون.

ظلت الكرك في قبضة الصليبيين مدة لا تزيد عن ست وأربعين سنة، في حين تملكها المسلمون مئات السنين، سواء في فترة الحكم الأيوبي أو في عصر دولة المماليك، فأضافوا عليها إضافات معمارية عديدة، وطمسوا باصلاحاتهم وما أجروه عليها من إضافات وتعديلات المعالم الصليبية فيها، مما يجعلنا نقرر بحق: أنها قلعة إسلامية خالصة.

ثم تعرضت الكرك لعدد من الزلازل أطاحت ببعض تحصيناتها، وألحقت أضراراً جسيمة بمنشآتها، ففي عهد المعظم عيسى سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) أصابها زلزلة عظيمة، هدمت عدداً من دور مدينة الكرك، ودفنت جماعات كثيرة من سكانها تحت الأنقاض. أما القلعة فقد تهدم بعض أبراجها، وإن كانت المصادر العربية لا تشير الى عدد هذه الأبراج، فالمقريزي يقول: «وسقط عدة من أبراج قلعتها»^(٩٣). فأعاد المعظم عيسى بناء هذه الأبراج وأعادها الى ما كانت عليه. وفي عهد الملك المغيث عمر أصيبت الكرك بزلزلة عنيفة سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) تسببت في انهيار بعض الأبنية والأبراج^(٩٤)، فبادر الملك المغيث عمر الى إصلاح ما تهدم فيها.

(٩٣) المقريزي: السلوك، ج ١ ص ١٧٥. وانظر، أبو شامة: تراجم رجال القرنين، ص ٧٨ - ابن

كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٦٢.

(٩٤) القلقندي: مآثر الاناقة، ج ٢ ص ١١٤.

وأولى السلطان الظاهر بيبرس قلعة الكرك ومدينتها اهتمامه الخاص فهو الذي أقام البرج الكبير بالقلعة، وقد أشرت إليه سابقاً. وهناك برج آخر في سور المدينة من بنائه يحمل نقشاً كتابياً وصورة الأسد رنك بيبرس نفسه هذا نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم... السلطان الملك الظاهر السيد الأجل الكبير العالم العادل الجاهد المرابط المؤيد المظفر المنصور ركن الدنيا والدين وسلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين ناصر الحق مفيت الخلق ملك البحرين صاحب القبلة خادماً الحرمين الشريفين محيي الخلافة المعظمة ظل الله في الأرض قسم أمير المؤمنين بيبرس بن عبد الله الصالحى أعز الله أنصاره » (٩٥).

وقد جدد الظاهر بيبرس أيضاً بناء برجين في القلعة كانا صغيري الحجم ولعلها متصدعين فهدمها وزاد في حجمها (٩٦)، وفي سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ م)، وقع برج من أبراجها فحضر الظاهر بنفسه من القاهرة، وقام فيها مدة يشرف بنفسه على بناء البرج، ولما كمل بناؤه توجه منها الى دمشق (٩٧).

وفي سنة ٦٩٢ هـ (١٢٩٣ م) تعرضت بلاد الشام لأمطار غزيرة، وسيول جارفة أعقبها زلزال عنيف مركزه الكرك فترتب على ذلك هدم ثلاثة أبراج من القلعة، وعدد كبير من أبنية القلعة ودور المدينة، فندب السلطان الأشرف خليل ابن قلاوون الأمير علاء الدين ايدغدي الشجاعي لترميم تلك الأبراج، وما تهدم في المدينة من أبنية ودور (٩٨). وفي سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) أصابت زلزلة عنيفة

Combe, Sauvaget, wiet, op. cit. vol. 12, P. 223

(٩٥)

ولم يتمكن بيركهارت من قراءة النقش، بل شاهد صورة الأسد بوضوح (انظر: رحلات

بيركهارت، ص ١٠٤ -

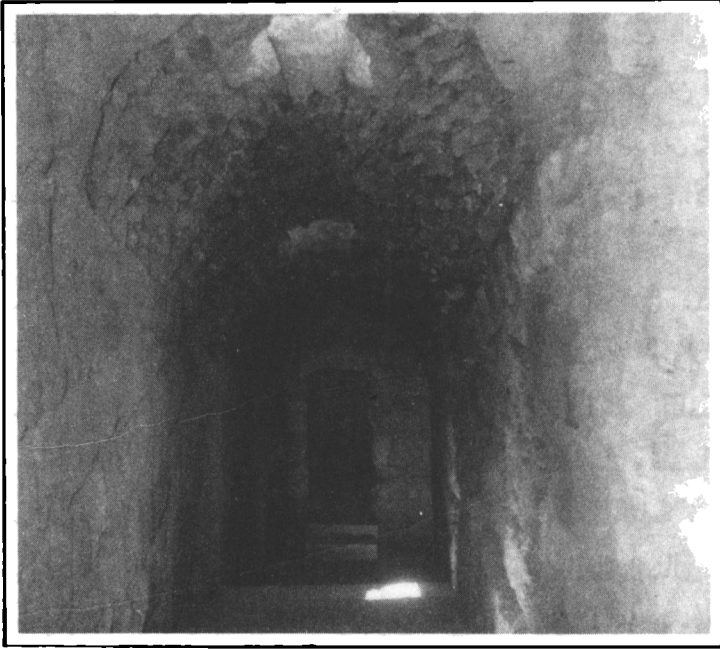
Muller, Castles of the Crusaders, P. 48.

(٩٦) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٧ ص ١٩٤.

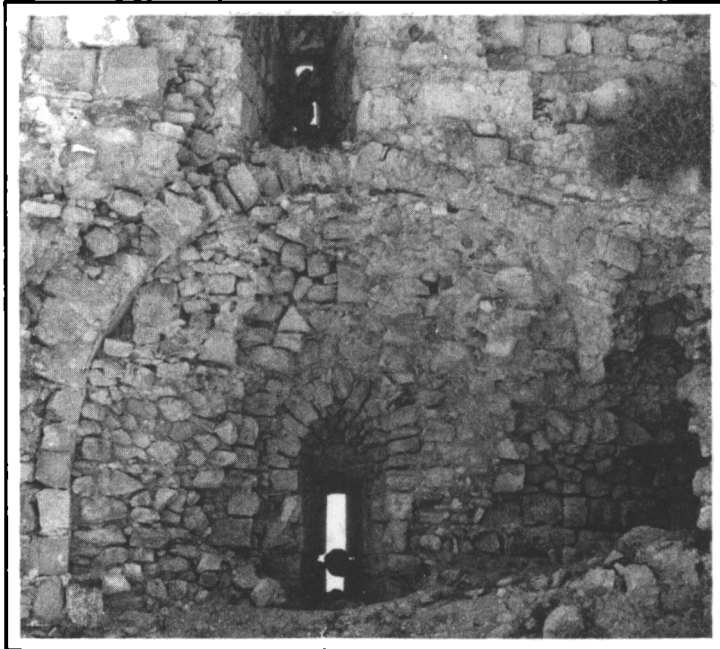
(٩٧) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٣ ص ٨٥ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٧ ص ١٦٤.

(٩٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٣٣٣ - ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٨ ص ١٥٤

- المقرئ: السلوك، ج ١ ص ٧٨٣ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ٨ ص ٣٦.



أحد دهاليز قلعة الكرك ويلاحظ فيه إحدى الطاقات للتهوية وادخال النور



منظر لحدى المزاغل من داخل قلعة الكرك

الديار المصرية وهدمت بعض المنشآت في الاسكندرية، واتصلت الى دمشق والكرك والشوبك^(٩٩)، فهدمت أجزاء من القلعة، فأمر الناصر محمد بن قلاوون بإعادة ما تهدم وحدث أثناء تعرض السلطان الملك الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون للحصار في الكرك أن تمكن المهاجمون من هدم أحد البرجين الأماميين للقلعة بعد أن نقبوه وأضرموا فيه النار. بالاضافة الى هدم أجزاء أخرى داخلها. فأرسل السلطان الصالح اسماعيل سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) عدداً من الصناع لاعادة ما انهدم من القلعة وإعادة البرج الى ما كان عليه^(١٠٠). ولم تتوقف الزلازل بعد ذلك عن إصابة القلعة في عصر دولة المماليك الثانية ففي سنة ٨٦٣ هـ (١٤٥٨ م) كانت الزلزلة المهولة في مدينة الكرك وقلعتها، تهدم بسببها غالب سور المدينة ودار النيابة، وعدد من الدور، أما القلعة فقد تهدم فيها العديد من الأبراج^(١٠١)، فبادر السلطان الأشرف سيف الدين اينال ببناء ما تهدم من أسوار المدينة وأبراج القلعة. وفي سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م) أرسل السلطان الأشرف قايتباي القاضي شرف الدين الانصاري لاصلاح مدينة الكرك وقلعتها^(١٠٢)، فعلى المدينة والقلعة، وأصلح ما يحتاج الى الاصلاح والبناء.

ونستدل من المصادر العربية عن وجود قاعة بقلعة الكرك يطلق عليها اسم (القاعة الناصرية) من إنشاء الملك الناصر داود^(١٠٣). ومن المعروف أن الناصر داود أنشأ (دار السلطنة) بالقلعة واتخذها مقر إقامته، وعرفت فيما بعد باسم (دار السعادة)، وأصبحت مركز إقامة والي القلعة^(١٠٤). وهناك (قاعة النحاس) الواقعة في الجهة الغربية من القلعة، ولها شبابيك تطل على القدس والحليل،

-
- (٩٩) ابن اياس: بدائع الزهور. ج ١ ص ١٤٦.
(١٠٠) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨ ص ٩٠ - المقرئ: السلوك، ج ٢ ص ٦٦٦ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٠ ص ٩٢، ٩٣.
(١٠١) أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١٦ ص ١٢٧، وحوادث الدهور، ج ١ ص ٣١٩.
(١٠٢) ابن الصيرفي: أنباء مصر، ص ٤١٧.
(١٠٣) ابن واصل، تاريخ الواصلين لوحة ٤١٩ «مخطوط»
(١٠٤) المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٦٥٧ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ٣٤٨ - ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ١ ص ٢٥٠.

وهي من بناء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقد سجن فيها الملك الظاهر برقوق سنة ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م)^(١٠٥). وتحدث المصادر عن جب مظلم كان موجوداً بالقلعة استخدم لسجن بعض الأمراء^(١٠٦)، ومثل هذا الجب كان موجوداً في قلعة الجبل بالقاهرة. وفي الجهة الجنوبية من القلعة بالقرب من باب النصر وجدت بركة كبيرة أطوالها ٥٥×١٢×٢٠ م، كانت تملأ بمياه الأمطار لتزويد القلعة بالمياه، بالإضافة إلى الآبار الأخرى العديدة الموجودة في القلعة. وقد تولى السلطان المنصور قلاوون تطهير هذه البركة من الطين عند قدومه إلى الكرك سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م)^(١٠٧)، «عمل فيها من كان في خدمة السلطان من المالك والحاشية مدة سبعة أيام فنظفت»^(١٠٨).

٣ - قلعة عجلون:

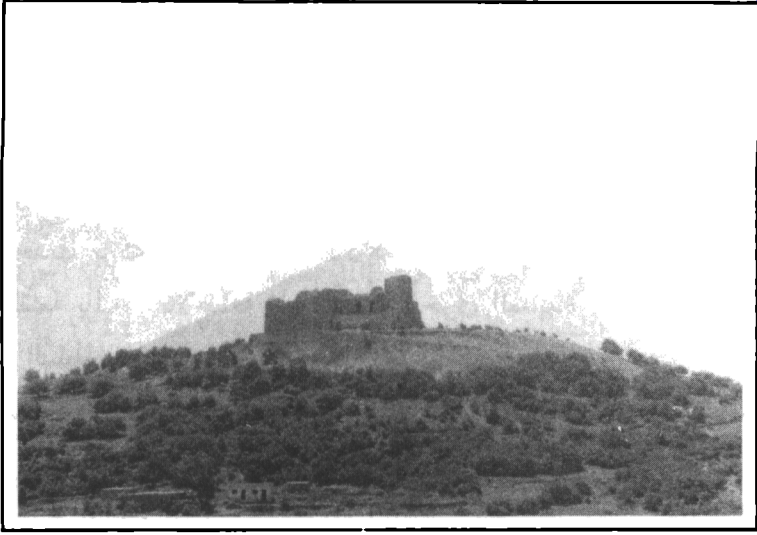
تربض قلعة عجلون في موقع استراتيجي حصين على ذروة جبل عوف على بعد ٤٢ كم إلى الشمال الغربي من عمان و٣ كم إلى الغرب من عجلون. وترتفع بحيث تشرف من هذا الارتفاع الشاهق على وادي الأردن، وتحيط بها أودية عميقة ولكنها لا تشكل اجرافاً شديدة الانحدار، على عكس ما نراه في قلعتي الشوبك والكرك، فموقع القلعة على هذا النحو سهل المنال، يمكن الوصول إليه عن طريق منحدر سهل من سائر الجهات^(١٠٩)، يؤدي إلى خندق دائري شق في الصخر الصلد. يتراوح عمقه ما بين ٥، ١٠ أمتار، وعرضه ما بين ١٥، ٢٠

- (١٠٥) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٩ ص ١٠٧، ١٣٨ - المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٦٣٢ - ابن حجر: أنباء الفهر، ج ١ ص ٣٦٩ - أبو الحسن: النجوم الزاهرة: ج ١١ ص ٣٢٨ - ابن الصيرفي: نزعة النفوس، ج ١ ص ٢٢٥.
- (١٠٦) المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ١٥٥.
- (١٠٧) ابن عبد الظاهر: تشریح الايام والمصور، ص ١٣٨ - النويري: نهاية الارب، ج ٢٩ لوحة ٣٧ «مخطوط».

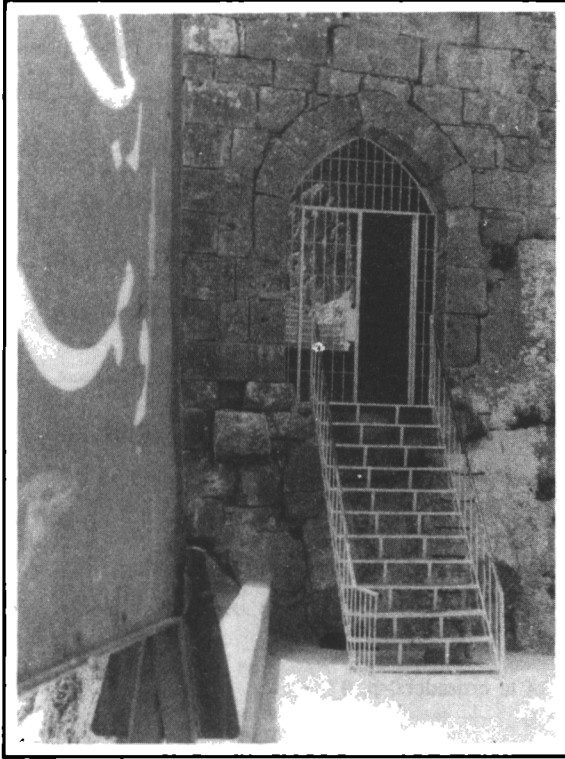
Muller, Castles of te crusaders, p. 97.

(١٠٨) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج ٨ ص ٣٨.

(١٠٩) Johns, Medieval Ajiun, The quarterly of the department of antiquities in Palestine, vol. 1, 1931, P. 25.



منظر عام لقلعة عجلون فوق قمة جبل عوف



المدخل الرئيسي لقلعة عجلون عبر الجسر المقلنطر

متراً، كان يملؤه بالمياه في أوقات الحصار ليعيق تقدم العدو. وباب القلعة الواقع في الجهة الشمالية الشرقية مزود بجسر خشبي تحركه سلاسل حديدية، ويقوم فوق قنطرتين يرفع ليلاً وفي أوقات الخطر.

هذا الموقع الرائع الذي اختير بذكاء لإنشاء القلعة لا يتحكم بشكل متواصل في جميع المنطقة الممتدة على طول نهر الأردن بين بحيرتي طبرية والبحر الميت فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى إحكام السيطرة على سلسلة المرتفعات الفلسطينية من القدس إلى الطور وكوكب الهوا وصفد^(١١٠). ثم إن القلعة بشموخها وسموتها تنتصب عملاقة لتراقب كل الدروب والمسالك المؤدية إلى دمشق، وهي على هذا النحو تعتبر درعاً لدمشق ومركزاً دفاعياً أمامياً لها في وجه الخطر الصليبي القادم من مملكة بيت المقدس اللاتينية عبر نهر الأردن والقسم الشمالي من منطقة شرقي الأردن.

قلعة عجلون قلعة إسلامية البنيان محدثة، لم تؤسس على أسس قديمة وإنما أنشئت في العصر الأيوبي - ففي رحلة نضال السلطان الناصر صلاح الدين يوسف ضد الفرنج تبين له أن بلاد الشام لكثرة ما أقامه بها الصليبيون من القلاع والحصون أصبحت تشبه ظهر القنفذ بأشواكه العديدة، وأدرك خطورة مثل هذه الحصون والقلاع بالنسبة لعمليات التحرير. وقد لمس بتجربته الشخصية مدى أهمية هذه القلاع، لذلك فقد بادر عند عودته من إحدى حملاته الموجهة إلى قلعة الكرك الصليبية ببناء قلعة عجلون. ففي سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) أشار إلى الأمير عز الدين أسامة أحد كبار قواده ببناء قلعة في هذا الموضع الاستراتيجي الهام الذي اختاره بالذات لتأمين طرق المواصلات وحمايتها من هجمات الفرنج واحباط أي توسع لهم في المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن الشمالي، سواء من جهة الكرك في الجنوب، أو من جانب مملكة بيت المقدس عبر نهر الأردن من الغرب، وهو بإنشاء هذه القلعة يضمن تحرك قوات المسلمين في يسر، كما يتخذ منها مستقبلاً نقطة انطلاق لحركة التحرير الشاملة.

ومدينة عجلون مدينة قديمة، مر بها الرحالة الأندلسي بنيامين التطيلي بين ٥٦٩ - ٥٦٨ هـ (١١٦٥ - ١١٧٣ م) وسمتها (بجلمد القديمة)^(١١١). وقد سميت القلعة باسم المدينة (قلعة عجلون) كما سميت بقلعة الربض^(١١٢) لقيامها في أحد أرباض المدينة.

وكانت قلعة عجلون اقطاعاً للأمير عز الدين أسامة بانيها، وبقيت كذلك حتى سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م)، عندما أمر السلطان الملك العادل الأيوبي ابنه المعظم عيسى أن يلحق بعز الدين أسامة بعد هروبه من مصر، فألقى القبض عليه في بيت المقدس وسجنه في قلعة الكرك حتى توفي. فانتقلت أملاكه الى المعظم عيسى ومن بينها قلعة كوكب الهوا التي أمر بهدمها، وأبقى على قلعة عجلون، وبلغ قيمة ما أخذه منه ألف دينار^(١١٣). وفي سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) عين الملك المعظم الأمير عز الدين آيبك المعظمي (ت ٦٤٥ هـ) استاداره على صرخد وأعمالها^(١١٤)، وأضاف قلعة عجلون الى أعماله، فزاد عز الدين آيبك في بناء

(١١١) بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين، ص ١٢٧.

أما الرواية التي تقول إن قلعة عجلون سميت باسم راهب يسمى عجلون كان يسكن في الدير الذي أقيمت القلعة مكانه وأخذت القلعة اسمه، فهي رواية ضميعة لا يسعني إلا استبعادها. وقد سبق أن ناقشت رواية أخرى تذهب الى أن الكرك قامت مكان دير لبعض الرهبان وأثبت بطلانها والواقع أن كلمة (عجلون) لفظ سامي آرامي قديم. وعجلون كان أحد ملوك مؤاب حارب الاسرائيليين وانتصر عليهم، فخصموا له مدة ١٨ سنة، وملك مدينة النخيل (أربحا): (أنظر:

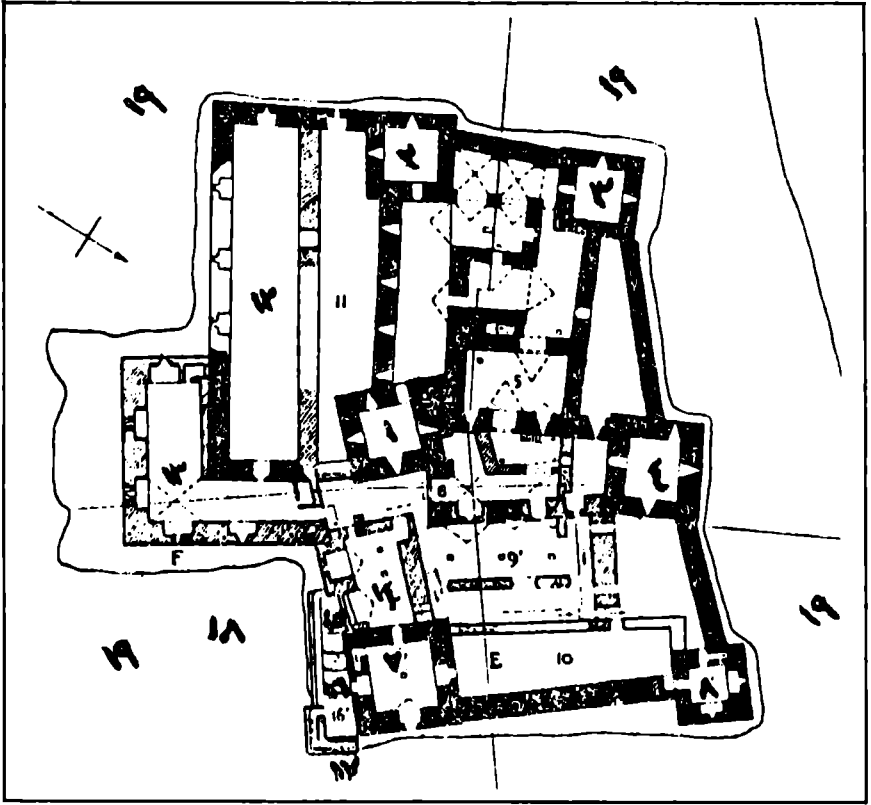
George, A. K. The Jewish Encyclopedia. vol. 5, P. 55.

(١١٢) الربض: بالتحريك وآخره معجم، قيل الربض (بضم الراء وتسكين الباء) أساس المدينة، والربض حولها من خارج. والارباض كثيرة جداً قل ما تخلو مدينة من ربض، منها ما صار كالعالم باضاقته مثل: ربض حنيفة أحد قواد المنصور وربض أبي عون، وربض رشيد ببغداد، وربض زياء بشيراز، وربض شقندة بقرطبة، وربض مرو. (أنظر: البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ١ ص ٤٥٩، ٤٦٠).

(١١٣) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٣٦٧ - النويري: نهاية الارب، ج ٢٧ لوحة ١٧ «مخطوط».

(١١٤) أبو شامة: تراجم رجال القرنين، ص ٨٧.

وبقي عز الدين آيبك والياً على صرخد حتى سنة ٦٤٤ هـ أخرجه الملك الصالح نجم الدين =



رسم تخطيطي لقلعة عجلون عن بحث جونز في حولية دائرة الآثار الفلسطينية عدد سنة
م ١٩٣١

١. ٤. ٣. ٢. ١ تمثل الأبراج المحيطة بالقلعة عند انشائها على يد الأمير عز الدين أسامة في عهد صلاح الدين الأيوبي.
٧. ١٣. ٨. ١ تمثل الأبراج التي أضافها عز الدين آيبك للقلعة الأولى.
٨ تمثل البرج الذي جده الملك صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب دمشق.

١١. ١٢. ١٤ أضافات لعز الدين آيبك.

١٥ البوابة الداخلية للقلعة.

١٦ الدرج الذي يربط البوابة الخارجية بالبوابة الداخلية.

١٧ البوابة الرئيسية للقلعة عبر الجسر المقنطر.

١٨ صهريج للماء خارج الأسوار.

١٩ الخندق المحيط بالقلعة.

القلعة بملحقات جديدة أضافها إليها من بينها البرج الجنوبي المربع الواقع على يسار الداخل الى القلعة، ونستدل على ذلك من نقش كتابي يعلو النافذة الشرقية المربعة نطالع فيه النص التالي:

« بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البرج المبارك عبد الله أستاذ الدار العامرة في شهر سنة احدى عشرة وستائة ».

وفي سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م)، دخلت قلعة عجلون ضمن أملاك إمارة الكرك الأيوبية التي أسسها الملك الناصر داود. إلا أن الملك الأشرف صاحب دمشق تمكن من انتزاعها منه، ولكن الناصر داود استعادها بعد موته سنة ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م)، فولى فيها الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري أحد قواده ولم يلبث هذا الأمير أن شق عصا الطاعة على الملك الناصر داود في سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) فقدم الى دمشق، ودخل في طاعة الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر، وسلم القلعة لنوابه بكل ما كانت تشتمل عليه من الذخائر والأموال^(١١٥). فرتب الملك الصالح الأمير علاء الدين ايدكين بن عبد الله البندقدار الصالحي والياً عليها (ت ٦٨٤ هـ)^(١١٦). وبعد موت الصالح نجم الدين أيوب وابنه تورانشاه، استولى الملك صلاح الدين يوسف بن محمد بن الظاهر بن أيوب صاحب حلب على دمشق وسلمت السلط وعجلون له^(١١٧)، فولى عليها أميراً من قبله جدد فيها البرج الشمالي الشرقي، وسجل أعماله الانشائية على لوحة حجرية مستطيلة الشكل مساحتها ٤٨ × ١٢٨ سم مثبتة في الجدار الجنوبي للبرج تقرأ فيها النص التالي:

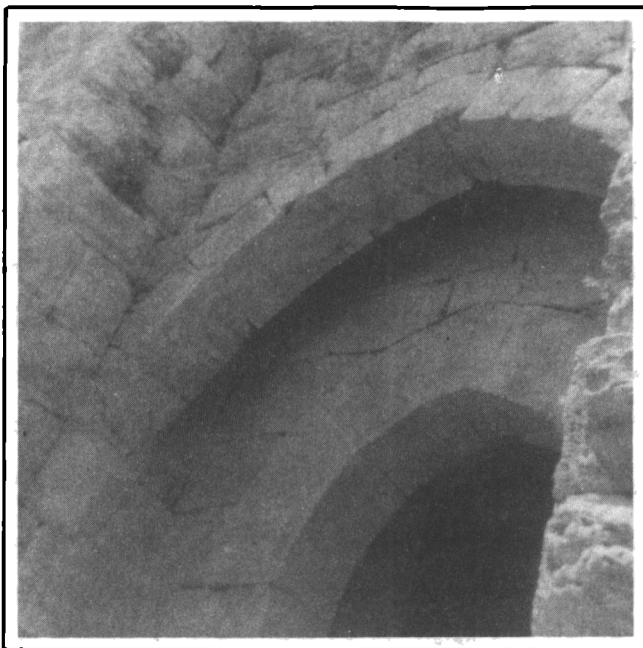
« جدد بأمر مولانا السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك

= أيوب منها (أبو شامة: تراجم رجال القرنين، ص ٨٧). ولعز الدين آيبك الكثير من المنشآت في صرخد وقلعة الأزرق الأردنية اذ نلاحظ ذلك في نقوش قلعة الأزرق الحالية.

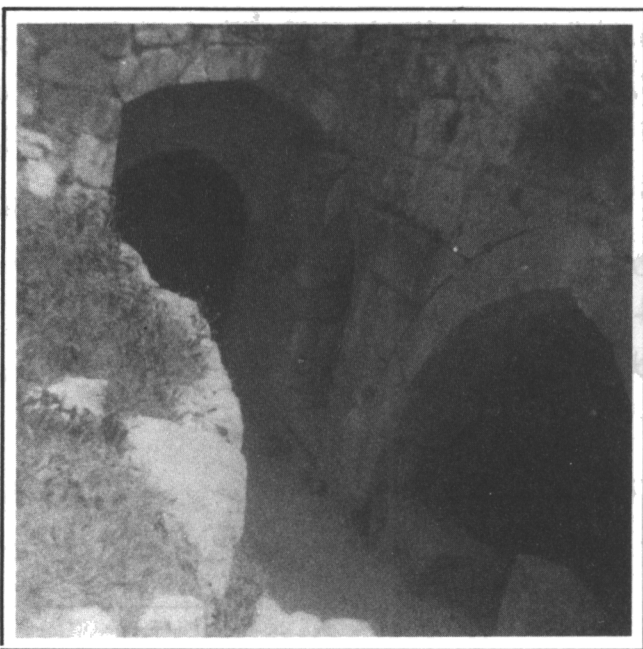
(١١٥) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨ ص ٤٩٩ - النويري: نهاية الارب، ج ٢٧ لوحة ٨١ «مخطوط».

(١١٦) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٤ ص ٢٦٢.

(١١٧) أبو شامة: تراجم رجال القرنين، ص ١٨٦.



البوابة الداخلية للقلعة



أحد الدهاليز داخل قلعة عجلون

العزیز محمد، خلد الله ملكه بنظر العبد الفقير محمد بن أبي بكر صاحب عينتاب «(۱۱۸)».

وعندما غزت قوات هولاکو التتاری بلاد الشام، اقتحمت الأردن ووصلت الى البلقاء وعمان ووزیاء والسلط فدمرت قلعتهما. ولكن قلعة عجلون استعصت عليهم فحاصروها حتى تمكنوا من القبض على الملك صلاح الدين يوسف صاحب دمشق في البلقاء، فأتوا به الى عجلون فأمر المدافعين بالنزول، وسلمها للتتار وعلى أثر ذلك هدموا أجزاء منها وخرّبوا شرفاتها. إلا أن القلعة سرعان ما دخلت تحت سيطرة المماليك بعد أن منى التتار بهزيمة ساحقة في عين جالوت، وأول ما اهتم بها من سلاطين المماليك السلطان الملك الظاهر بيبرس، الذي أعاد بنيان ما وهب من عمارتها وأصلحها وقواها وعين فيها الأمير عز الدين آيبك العلائی (ت ۶۸۸ هـ) والیاً. فقام بتجديد بعض أجزائها وسجل ذلك على لوحة حجرية شاهدها ملقاة في ساحة البرج الجنوبي للقلعة قرأت ما نصه:

«عمل في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس الصالحی أعز الله أنظاره بنظر العين الفقير الراجي عفو الله وغفرانه ملك الأمراء عز الدين آيبك العلائی بتاريخ العشرين من شعبان سنة تسعة وخسين وستائة.»

ولم تفقد قلعة عجلون أهميتها طيلة عصر دولة المماليك الأولى والثانية، فأصبحت إحدى القلاع الهامة في بلاد الشام. وكانت تشكل مع غيرها من القلاع الأردنية خط الدفاع الرئيسي عن الديار المصرية في مواجهة الخطر التتاري القادم من الشرق. كما لعبت دوراً هاماً في حركة الاتصال والمواصلات بين الشام ومصر.

وتاريخ بناء القلعة يرجع الى فترتين تاريخيتين متتابعتين، الأولى فترة الانشاء على يدي الأمير عز الدين أسامة ۵۸۰ - ۶۰۸ هـ (۱۱۸۴ - ۱۲۱۱ م)،

(۱۱۸) وانظر النص في:

Combe, Sauvaget, wiet, op. cit. vol. 12, P. 64.

والثانية فترة الزيادة في القلعة وتمت على يدي المعظم عيسى واستداره عز الدين آيبك صاحب صرخد بعد سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م). ومن المعروف أن أجزاء القلعة التي يرجع تاريخها الى الفترة الأولى تشكل مسطحاً مربع الشكل تقريبا، يحدده أبراج أربعة قائمة في الأركان ترتبط فيما بينها ببندونات السور. ومدخل هذا القسم الأقدم من القلعة يتوسط الجانب الشرقي، ويحميه البرجان القائمان على جانبيه من الشمال والجنوب وقد زود هذا القسم بعدد من صهاريج المياه داخل نطاق السور الذي يمكن أن نميزه عن بقية البناء بأسلوبه المعماري الفج نسبياً، وبنوافذه المغطاة بمقود منكسرة وبنوافذه الضيقة للسهام^(١١٩).

أما أجزاء القلعة الأخرى التي يرجع تاريخها الى الفترة الثانية، وأقصد الى عهد الأمير عز الدين آيبك، فتتكون من البرج الجنوبي الشرقي الواقع على يسار الداخل الى القلعة، وكذلك البوابة الخارجية، والمدخل بالاضافة الى البرجين الواقعين في الجدار الأمامي الشرقي للقلعة الحالية. وقد جدد الملك صلاح الدين يوسف صاحب دمشق أحدهما، وهو البرج الشمالي الشرقي، وأثبت ذلك على نقش في جداره الخارجي، وطراز هذه المنشآت التي تنسب الى عز الدين آيبك تختلف عن الأولى، فهي أكثر تطوراً. فمنافذ السهام تحيط بها من الداخل عقود نصف دائرية تشغل جزءاً كبيراً من سمك السور، وهي تشبه نظائرها التي أقيمت في عهد السلطان العادل أبي بكر في قلعة الجبل بالقاهرة^(١٢٠).

ويعلو أسوار القلعة وأبراجها شرفات ودروات وكانت هذه الشرفات قد تعرضت للهدم على أيدي التتار ولكن السلطان الملك الظاهر بيبرس أعاد بناءها. ومدخل القلعة الرئيسي يتبع أسلوب المداخل الملتوية على شكل مرفق قائم الزاوية، فالداخل الى القلعة قادماً من الجسر في درج ممر ضيق بين جدارين

Johns (C. N.)

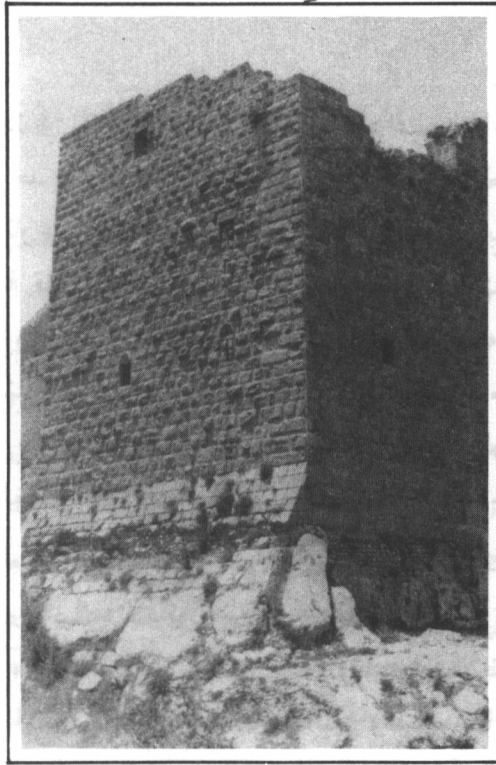
(١١٩)

Medieval Ajlun, p. 26.

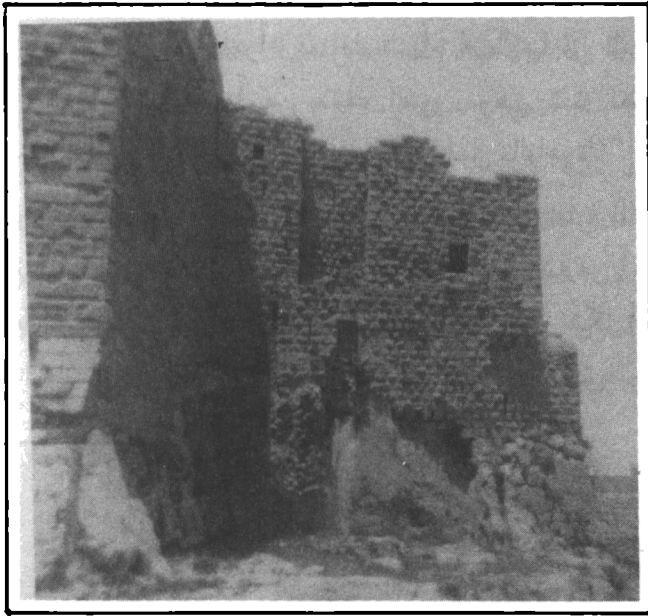
(١٢٠) كريزويل: وصف قلعة الجبل، ترجمة جمال محرز، القاهرة ١٩٧٤م، ص ٩٣، ١٠٠.

Johns (C. N.),

Medieval Ajlun, p. 26.



برج عز الدين أيبك



منظر خارجي لأسوار قلعة عجلون فوق الصخور

غليظين، ثم ينمطف يميناً الى بوابة أخرى ضخمة معقودة بعقدين مدبيين قد نقش على جانبيها الأيمن والأيسر صورة صقر لعله رنك احد الأمراء، أو الولاة الذين تولوا القلعة. ويعلو البوابة من الخارج شرفة بارزة مفتحة من أدنى بفتحات تسع، منها أربعة تحمك السيطرة تماماً على طول المر الذي يربط البوابتين الخارجية والداخلية. وقد استخدم في بناء هذا القسم من القلعة نوع من الحجارة البيض غير المهذبة أو المسنمة طبقت أيضاً في أبراج وأسوار قلعة الجبل بالقاهرة التي ترجع الى العصر الأيوبي. وقد لوحظ أن هذه الطريقة طبقت أيضاً في جميع المنشآت التي يرجع تاريخها الى عصر صلاح الدين والمادل أبي بكر، سواء في الأبراج القائمة الزوايا بالقاهرة أو السور الذي كان يحيط بالفسطاط أو في الأجزاء المنسوبة الى الملك المعظم عيسى في قلعة القدس، أو في بعض أجزاء من قلعة الكرك^(١٢١). وأسقف القاعات الداخلية في الأبراج وبالممرات قبوات معظمها نصف اسطواني، استخدم في بنائها قطع الحجارة المصقولة المثبتة فيما بينها بملاط من الحصى.

ان قلعة عجلون قلعة اسلامية خالصة لذلك فإن التقاليد المحلية الأردنية تظهر في كل أنماط البناء والمواد المستعملة فيها.

Johns, (C. N.)

Medieval Ajlun. p. 28.

(١٢١)

الملاحق

- (١) نص الكتاب المرسل من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠ هـ الى الأمير قراسنقر نائب دمشق يوصيه فيه ببلاد حوران .
- (٢) نسخة كتاب المحضر المرسل من مدينة عجلون الى دمشق يتضمن الاشارة الى السيل الذي دهم المدينة وخرّبها سنة ٧٢٨ هـ .
- (٣) نص وقف البستان والحمام بوادي الكرك للسلطان الأشرف شعبان في ٣ جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ .



ملحق رقم (١)

نص الكتاب المرسل من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠ هـ الى الأمير قراسنقر نائب دمشق يوصيه فيه ببلاد حوران بعد أن ظلم عماله أهلها، (من كتاب عقد الجمان للميني، جزء ٢٢ قسم ١، لوحة ٢١٥ - ٢١٦ مخطوط «):

إن الله تعالى مكننا في البلاد والعباد، وأمرنا بالعدل والاحسان، والنظر في حال الرعية. وقد بلغنا أن بلاد حوران قد خربت من كثرة الجبايات، وأنت تعلم أن بلاد حوران هي قوام دمشق، وقوام جندها. وقد تقدم لك مرسوم منا بمساحة أهل حوران من الجبايات. ومن كان فيها رأس فتنة أو بادي شر، فقد أمرناك بقتله. ثم اتصل بنا أن أجناد دمشق قد هلكوا من عدم تحصلهم منها، ولا سيما أرباب النفذ، فهذا الذي جرى فيها سبب للخراب وزوال الدولة والأجناد هم عمد الملك، ولا يتم الملك إلا بهم، فإذا كانوا على هذه الحالة فكيف يقيمون البيكرات؟ وقد بلغنا أنكم قد جبيت حقوق البلاد، فلا الأجناد أعطيتهم، ولا إلينا حملتم، فمقصودنا نعلم أن هذه الأموال وصلت الى من؟. فتجعل بالك وتكشف أحوال الجند، وتوصل إليهم حقوقهم وتزيل ضروراتهم، وتقطع مادة الشكوى. وإياك وأخذ أموال الناس بغير حق، فهذا لا يخفى علينا، لأن من الشام من يطالنا بذلك، وبكل ما تعملونه. وقد بلغنا أنه جاء إليك جماعة من شياطين حلب، ووليتهم أكثر أعمال دمشق. وكذا وليت مماليكك وظايف دمشق وبلادها وأعمالها. فالشاد الذي متولي من جهتنا ما يعمل، إذا كان مماليكك يستغلون الجهات؟ فساعة وقوفك على هذا الكتاب، تعزل مماليكك من الأعمال وكذا تعزل الحلبيين، وتحضر بأناس من أعيان الحلقة ومشايخها الذين

يخافون على أعراضهم وتوليهم الجهات والأعمال. وتكتب عليهم حججاً بأن يوصلوا الى الأجناد حقوقهم. ولا تول أحداً من شياطين الحلقة، لأجل حمل الأموال إليك، أو تولي أحداً بالبرطيل فيفسد الدنيا. فان لم تعملوا ما قلناه لكم، كشفنا بنظر العين عند وصولنا الى الشام. ومع هذا أنت ما تحتاج إلى وصية مع علمك بالأشياء، فإن كان هؤلاء يعملون هذه المفاسد وأنت لا تعلم ولا يعلمك أحد فقد أعلمناك، وإن كنت تعلم ذلك فأزله، فإن الشام لا يحملها هذا.



ملحق رقم (٢)

نسخة كتاب المضر المرسل من مدينة عجلون الى دمشق يتضمن الاشارة الى السيل الذي دهم المدينة وأخرب وهدم الكثير فيها سنة ٧٢٨ هـ (من كتاب نهاية الأرب للنويري، جزء ٣١ لوحة ٩٠ - ٩٢ «مخطوط»):

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي يرسل آياته تخويفاً للعباد، ويرهبهم باهرات قدرته ليسلكوا سبل الرشاد، ويظهر لهم جبروته في ملكوته، ليحسنوا لأنفسهم الارتياح، وليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله لا يخلف الميعاد، ثم يدركهم برأفته ورحمته ويكشف ما نزل بهم من المعضلات السداد. ولما كان في يوم الأربعاء ثاني عشرين ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، أرسل الله تعالى بقدرته ومشيئته بمدينة عجلون ريحاً عاصفاً، فأثارت سحاباً ثقالا هطلت بهم بدوي وريح زعزع فلم تنزل الأمطار متواترة المطل، والبروق تلمع، وأصداء الجبال والأودية بأصوات الرعود للقلوب تصدع، حتى ظن أهلها أنها قد أزفت الآزفة حق. فارتفعت الأصوات بأن ليس من دون الله كاشفة، ولفت الروس، ووجلت القلوب، وذرفت العيون، وطاشت الألباب، وخضعت الرقاب، ومدت الأيدي بالدعاء الى من بيده أمر الأرض والسماء. وعانوا في ذلك اليوم هولاً عظيماً، وأشفقوا أن يكون الله أرسل عليهم عذاباً أليماً، فبينما الناس على ذلك الحال ذاهلين، يقولون: ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، إذ دهمهم سيل عظيم ماؤه طام عبابه، هام سحابه، له دوي شديد قد اجتمع من عيون الجبال وبطون الأودية، وقرار الوهاد. فالتقى الماء على أودية بأمر قد قدر، إن في ذلك لآية فهل من مذكر. فارتفع العويل، وسكبت العبرات، واشتد الخوف، وتضاعفت الحسرات، وفر كل من الناس يطلب

النجاة لنفسه، واحتسب عند الله جميع ماله وعقاره وغرسه. فأخذ هذا السيل العظيم ما كان في نمره من الدور والقياسير والأسواق، ودخل الطواحين والبساتين، وأخذ جانباً من حارة المشاركة المجاورة للوادي. وأخذ المرصعة، وسوق الآدميين، وسوق القطانين، وبعض دور (الطعم)، وسوق الاقباعين، وسوق الخليج، وقيسارية التجار المعروفة بإنشاء الأمير سيف الدين بكتمر، والقيسارية القديمة، وأخذ من قيسارية ملك الأمراء الموقوفة على البيارستان بصفد عشرين حانوتاً، وضعض بقية الجدر، وهدم الأبواب، وهدم سوق الصاغة، وهدم سوق الفامية الذي بقرب العين، وهدم وقف الجامع، وسوق السقطيين، وحوانيت الحجازين فإنه أخذه. وأخذ السوق المعروف بإنشاء الأمير سيف الدين النايب بقلعة عجلون. والحوانيت المعروفة بوقف القاضي فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية الموقوفة على مدرسته بنابلس. وأخذ المدرسة القينية وهدم رواق الجامع القبلي، وباب الجامع الشرقي، وهدم جانباً من الحمام الصالحى المعروف بأمر موسى، وبعض الحمام السلطاني، وأخذ طهارة الجامع والمربعة، والمسلىح المعروف بابن معبد. وأخذ ما كان في مجراه من الجسور والقناطر والاقباء، التي كان يجوز الناس عليها عندما تمد الأودية. وعدم من عجلون تقدير عشرة أبقار، وهذه قدرة الملك الجبار، فاعتبروا يا أولي الأبصار. وكان من بواتر الأمطار والسيل من أول ساعة من النهار المذكور الى وقت العصر، وفي ذيل المشروح خط جماعة من الشهود.

هذا ما أورده الشيخ شمس الدين الجزري في تاريخه، ونقل الشيخ علم الدين بن البرزالي في تاريخه، نسخة الكتاب الوارد من عجلون فقال:

الحمد لله الحمود في السراء والضراء، المشكور على الشدة والرخاء، الذي يخوف عباده بما شاء من معضلات اللواء، ويريمهم باهرات قدرته في ملكوت الأرض والسماء ثم يعود عليهم برحمته ويجللهم بسوايخ النماء. أحده حمداً يزيد على الاحصاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العظمة

والكبرياء ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء ومبلغ الأنبياء صلى الله عليه وعلى آله الأئمة وأصحابه الأتقياء ، صلوة دائمة بلا نفاذ ولا انقضاء وبعد :

فإنه لما كان بتاريخ نهار بكرة الأربعاء ثاني عشرين ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، أرسل الله تعالى بقدرته ريحاً عاصفة ، فأثارت سحباً والفة في خلالها بروق خاطفة ، ليس لما جاءت به من دون الله كاشفة ، فطبقت الوهاد ، وجلت الآكام ، وأطبقت على مدينة عجلون ، وما قاربها من أرض الشام ، ثم أرخت عزاليها كأفواه القرب ، حتى خيل لمن رآها ان الوعد الحق قد اقترب . فلم يكن إلا كحلب شاة من الضان ، أو ما قارب ذلك من الزمان . حتى صارت مدينة عجلون كما قال الله تعالى في كتابه المكنون : ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر . فوجلت القلوب لهول ذلك ، وتصدعت وكادت الحوامل أن تضع حملها . وقد ذهل كل مرضعة عما أرضعت . واندesh أهل البلد عند معاينة هذا الهول الكبير ، واختلفت همومهم ، فكل الى ما اشتمل عليه قلبه يشين . فمن باكٍ على ما في يده من متاع الدنيا الحقيق ، ومن مشفق خايف على ولده الصغير ، ومن غريق عدم نفسه النفسية ، ما له من ملجأ يومئذ وما له من نكير ومن ناج يقول : أشهد أن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير . ومن ضارع الى من ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير . ومن قائل ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ولسان الحال يتلو قوله تعالى : وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . ولم تزل الأمطار متوافرة والسيول من كل فج متواترة ، حتى تحير من حضر ذلك من الانس والجان ، وشفلوا بما عاينوه عن الأموال والأولاد والاخوان ، وظنوا أنهم أحيط بهم ، وجاءهم الموج من كل مكان . فتلاقى على البلد واديان أحدهما من شمالها يسمى الجود ، والآخر من شرقها يسمى جنان فأخرب وادي الجود بهذه الآية الحارقة جانباً من حارة المشاركة . ودمر وادي جنان ما كان على جانبه من البنيان ، ثم اختلطا ، فرأى الناس منها ما لا يطاق . وأخربا ما مرا عليه من : رباع ، وقياسير وأسواق ، فأخربا العرصة والمصبغة ، والفرايين والعلافين ، وحوانيت الدق ، وسوق الآدميين ، وسوق البز العتيق ،

والاقباعية، والقطانين، وحوانيت البضاعة وما يليها من البساتين. وردم أمام دار الطعم بعد اخراب بعضها احجاراً وصخوراً، وكل ذلك ليعظم أهل المكس وما يزيدهم إلا نفوراً. وذهب هذا السيل العظيم الطامي بجميع سوق الخليج لبكتمر الحسامي، وأخرب من قيسارية ملك الأمراء للتجارة نحو عشرين خانوتاً، وذهب بكل ما فيها من التجار. ثم ردم باقيها على ما فيه بالأخشاب والأحجار والطين، حتى رجعت قيمة ما سلم منه من المائة الى العشرين وأخرب ما جاوز بحيز المدينة من سوق أم معبد، واللحامين، ومن الوقف السقطين والحصريين، وحوانيت العجز، وسوق الأمير ركن الدين. ثم دمر باقي وقف الجامع على ما فيه من الأمتعة والبضائع. ثم ردم العين بالأحجار والخشب والصخور حتى خشي عليها أهل البلد أن تغور. ثم أخرب حوانيت الطباخين، وجانباً من حمام الأمير موسى، وكان ذلك على من لم يرض بقضاء الله يوماً منحوساً. ثم أخرب الدباغة وجانباً من حمام السلطان، وما يلي ذلك من المطهرة، ومسلخ المعز والضان. وأعظم من ذلك اخراجه المدرسة اليقينية، والرواق القبلي من المسجد الجامع. وفي ذلك ما يحرق قلب كل مثبت وخالع. وردم داخل الجامع بقايا السيل والطين والأخشاب. فاعتبروا يا أولي الأبواب. وبلغ الماء في داخل الجامع الى القناديل المعلقة، وذلك بتقدير من يعلم ما في البر والبحر، وما يسقط من ورقه. ولم يخرب شيئاً من غالب ما ذكر إلا على ما فيه من الأمتعة والبضائع والأموال، حتى أتيح لكثير من أرباب ذلك أن يمد يده للسؤال. وكانت مدة استدامته من بكرة النهار الى وقت العصر. وقيل يا أرض ابلمي ماءك ويا سماء أقلمي، وغيض الماء، وقضي الهم. وكان تخرض السيل قدر رمية بحجر، وارتفاعه عن بسيط الأرض قدر قامتين أو أكثر. وقدر ما ذهب فيه من الأمتعة والبضائع والأموال، وقيمة الأملاك هذا القضاء المبرم، فكان ذلك يزيد على خمس مائة ألف درهم. وذلك خارج عن الفلات والمواشي والبساتين والطواحين ظاهر مدينة عجلون. إنا لله وإنا إليه راجعون. ومن جملة لطف الله تعالى بحبيته بالنهار فحذر الناس منه، فلم يعرف في البلد غريق إلا سبعة أنفار، ولو كان والعياذ بالله ليلاً ل زادوا على الإحصاء في المقدار. إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، وليس الخبر في جميع ما ذكرناه كالعيان، ونموذ بالله من الزيادة والنقصان.

ملحق رقم (٣)

نص وقف البستان والحمام بوادي الكرك للسلطان الأشرف شعبان في ٣ جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ (من وثيقة حجة وقف السلطان الأشرف شعبان رقم ٤٩ بدار الوثائق القومية بالقاهرة « مخطوط »).

ومن الموقوف جميع البستان وأراضيه، وجميع الحمام الآتي ذكر ذلك وتحديده فيه. وهذا البستان المذكور والحمام بوادي الكرك المحروس من الخاص الشريف المشتمل البستان المذكور أشجار ثابتة بأراضيه هي: الحور، والرمان، والمشمش، والتفاح، والورد، والتين، والعنب، والاترنج، والهلج، وغير ذلك. وما به من الدور المعدة لسكنى مستأجره وهي ثلاث دور: الأولى، تشتمل على سفلى وعلو، فالسفل يشتمل على قبوين واويان معقود ذلك جميعه بالطين والحجر، وعلى بيت مسقف بالخشب والقصب، والعلو يشتمل على قبو معقود بالطين والحجر، يصعد إليه من سلم حجر من داخل الدار، ولها باب يفتح من جهة القبلة. والدار الثانية تشتمل على قبوين واويان معقود ذلك جميعه بالطين والحجر، ولها باب مفتوح من جهة الشرق، وطابق هذه الدار المذكورة قبو معقود بالطين والحجر يفتح بابه متمسلاً. والدار الثالثة في جهة الشمال من البستان المذكور، تشتمل على قبو واحد معقود بالطين والحجر، وطاقة باب يفتح من جهة القبلة المذكورة. والبركة المعدة لجمع الماء من العين المختصة بالبستان المذكور المعروفة بمحيص، هذه العين المذكورة بالبستان المذكور وأمام الحمام الآتي ذكرها فيه، فإن مساحتها بذراع العمل أربعة عشر ذراعاً طولاً وعرضاً، كذلك، وعمقها أربعة أذرع، وهي مبنية بالشييد والطين والحجر، والقاعة التي على حافة البركة المذكورة من

جهة القبلة، وبنى قاعة مستهدمة في داخلها قائم الجدران الأربعة، وهي
 شمسات، ويفتح باب القاعة المذكورة من جهة الغرب، والقبو الذي هو تحت
 البركة المذكورة من جهة الغرب معقود بالطين والحجر، يعرف بالطاحونة قديماً،
 وهي الآن عاطلة. يشتمل الحمام المذكور على مسلح بأربعة قناطر حجارة مجنب،
 سراويل مجنب اتعشري، وعليه قبة معقودة بالطوب الآجر، وبه ايوانان شرقي
 وغربي، معقود ذلك بالطين والحجر، وبها مقصورتان معقودتان بالحجر والطين،
 وفي وسطه فنية يرسم الماء البارد، وبالمسلح المذكور باب يتطرق منه الى بيت
 السخن في دهليز، وعن يمين الدهليز بيت البارد، يشتمل على قبة وحوض كبير.
 ويتطرق من الدهليز المذكور الى بيت وسطاني، يشتمل على قبة وحوض وخلوة
 فيه من جهة القبلة يشتمل على قبة وحوضين، ويتطرق منه الى صدر مثن
 يشتمل على قبة كبيرة مضلعة ستة عشرية، وأربعة أحواض، وبه مقصورتان
 قبلية وشالية تشتمل كل واحدة منها على قبة وحوضين. وفي حايطه من جهة
 الشرق خزانة يرسم الماء السخن موضوع بها قدرتان نحاسا يرسم تسخين الماء
 احديهما كبيرة والأخرى صغيرة، وبدهليز الحمام المذكور ميضأة تشتمل على قبة.
 وجميع الحمام المذكورة مبلطة بحجر ما وغيره. ويتطرق الى الحمام المذكورة والى
 الأماكن المذكورة فيه من باب يفتح متشاملا، وللحمام المذكور مستوقد، وهو قبة
 معقودة بالطين والحجر وعليها قبو معقود بالطين والحجر. وعلى سطح باب الحمام
 المذكورة بركة معدة لجمع الماء طولها ثمانية أذرع بذراع العمل، وهي مبنية
 بالشيد والطين والحجر ومساحة الحمام المذكورة ومستوقدها وبركتها المذكورة
 بقصبة القياس التي طولها سبعة أذرع ونصف بذراع الحديد المعامل به يوم يذن
 بالكرك الجروس ست وأربعون قصبة، ومساحة خطة الحمام المذكورة بالقصبة
 اثنان وثلاثون قصبة. ويحيط بالحمام المذكورة حدود أربعة من القبلة البستان
 المذكور، ومن الشمال الوادي وفيه يفتح بابها، ومن الشرق البستان المذكور، ومن
 الغرب الوادي. ويحيط بالبستان المذكور وما هو في حقوقه حدود أربعة، الحد
 القبلي ابتداءه من جهة الغرب الوادي الكبير، ويستمر مصعداً على عقبة طريق
 يعرف بعقبة الحبيس، وهي درب سالك الى أن ينتهي الى الكوم المعروف بأولاد

اسحق بن يومصان ، وشركتهم الفاصل بين البستان المذكور وبين الكوم المذكور
حجارة حمر ثابتا وهو انتهاء الحد القبلي. والحد الثاني هو الشرقي ابتداءه
الحجارة الحمر..... الكرم العنب المعروف « بقية الوقفية مفقودة » .



مصادر ومراجع البحث

- أولاً : الوثائق .
- ثانياً : المخطوطات .
- ثالثاً : المصادر العربية المطبوعة .
- رابعاً : المراجع العربية الحديثة .
- خامساً : المراجع الأوروبية المعربة .
- سادساً : المراجع باللغات الأوروبية .

أولاً: الوثائق

- ١ - وثيقة حجة وقف السلطان الملك الأشرف شعبان . محفظة ٨ ، رقم ٤٩ .
بدار الوثائق القومية بالقاهرة .
- ٢ - وثيقة الأمير صرغتمش رقم ٣١٩٥ بالأرشيف التاريخي بوزارة
الأوقاف بالقاهرة (درسها الدكتور عبد اللطيف ابراهيم - مجلة آداب
جامعة القاهرة ، مايو ١٩٦٥ م وعدد مايو ١٩٦٦ م).
- ٣ - وثيقة وقف غنيم بن سالم بن الياس الملكي الشوبكي . من وثائق دير
سانت كاترين رقم ٢٨٥ (درسها الدكتور عبد اللطيف ابراهيم - مجلة
كلية آداب جامعة القاهرة ، مايو ١٩٦٣ م).
- ٤ - مرسوم بعض الملوك الصلاحية في إلزام أهل الذمة بالشروط الشرعية
التي حددها أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، سنة
٧٥٥هـ - «مخطوط» مصور بدار الكتب المصرية رقم ٤٣١٤
تاريخ ...

ثانياً: المخطوطات

- ٥ - ابن أياس (محمد بن أحمد الحنفي):
« نسق الأزهار في عجيب الأقطار » مخطوط بدار الكتب المصرية
رقم ٤٣٩ جغرافياً.
- ٦ - ابن الإمام (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد):
« تحفة الأنام في فضائل الشام » مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
١٦٤٣ تاريخ.
- ٧ - ابن آيبك (سيف الدين أبو بكر بن آيبك الدواداري):
« درر التيجان و غرر تواريخ الأزمان »، مخطوط بمكتبة بلدية
الإسكندرية رقم ٨٣٢٨ ج.
- ٨ - ابن بهادر (محمد بن محمد بن محمد بن بهادر المؤمني):
« فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر »، مخطوط بدار الكتب المصرية
رقم ٤٩٧٧ تاريخ.
- ٩ - ابن حبيب (الإمام الحسن عمر بن الحسن بن عمر):
« درة الأسلاك في دولة الأتراك » ٣ مجلدات، مخطوط بدار الكتب
المصرية رقم ٦١٧٠ ج.
- ١٠ - ابن دقباق (صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدير):
« الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين »، مخطوط بدار الكتب
المصرية رقم ١٥٢٢ تاريخ.
- ١١ - ابن دقباق « قطعة يمتد أنها من كتاب نزهة الأنام في تاريخ الإسلام

من سنة ٧٧٨-٨٠٤هـ - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٧٤٠ تاريخ .

ابن سباهي (محمد بن سباهي):

«أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك»، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١ م جغرافيا .

ابن شاکر الکتبي (محمد بن أحمد بن شاکر):

«عيون التواريخ»، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٤٩ تاريخ .

ابن الشحنة (مجد الدين محمد الحنفي):

«عهد السلطان المؤيد أبو الفتح بن الملك الأشرف أبو النصر اينال»، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٩ مجاميع .

ابن الشماخ (عمر بن أحمد بن علي الحلبي):

«عيون الأخبار فيما وقع لجامعه من الإقامة والأسفار» ٣ أجزاء في مجلدين . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٧٠٥ تاريخ .

ابن قاضي شهبة (تقي الدين أبو بكر بن أحمد):

«الأعلام بتاريخ أهل الإسلام» ٧ أجزاء، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٠٢ تاريخ تيمور . ونسخة أخرى من جزئين رقم ٣٩٢ تاريخ .

ابن النابلسي (عبد الغني بن اسماعيل بن عبد الغني):

«الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز»، مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٣٥٩ ب .

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم):

«مفرج الكروب في أخبار بني أيوب»، (تاريخ الواصلين)، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩ تاريخ، ونسخة مكتبة مصطفى فاضل رقم ٢٣١ تاريخ .

أبو الحسن (جمال الدين يوسف بن تغري بردي):

« المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » ٣ أجزاء ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٥ تاريخ .

٢٠ - بيبس الدوادار (ركن الدين بيبس المنصوري الدوادار):
« زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » ، الجزء التاسع ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٤٨ .

٢١ - باخرمة (أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد):
« قلادة النحو في وفيات أعيان الدهر » ، ٣ أجزاء في ستة مجلدات ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ .

٢٢ - الباعوني (محمد بن يوسف بن أحمد):
« الإشارة الوفية إلى الخصوصيات الأشرفية » أرجوزة تاريخية جملها ذيلاً لأرجوزة عمه أبي الفضل محمد الباعوني - مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٣٧٦٠ ج .

٢٣ - البلوي المغربي (خالد بن عيسى بن أحمد):
« تاج الفرق في تحلية علماء المشرق » وهي المعروفة برحلة البلوي ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٠٠ جغرافيا .

٢٤ - الجرزي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مجد الدين ابراهيم):
« كتاب تاريخ جليل دمشق والشام والعراق ومصر والحبشة » ٣ أجزاء مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٥ تاريخ .

٢٥ - الخالدي (بهاء الدين محمد بن لطف الدين عبد الله العمري):
« كتاب المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء » ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٤٥ تاريخ .

٢٦ - الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان):
« تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام من الهجرة إلى سنة ٧٠٠ هـ » ، أو « تاريخ الذهبي » ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ ونسخة أخرى رقم ٣٩٦ تاريخ .

- ٢٧ - الذهبي « سير أعلام النبلاء » ١٣ جزءاً، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢١٩٥ ح.
- ٢٨ - السلامي (شهاب الدين أحمد):
« مختصر التواريخ »، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٠٥١ ح.
- ٢٩ - السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر):
« تحفة الأحاب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات وما يتبع ذلك ». مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٤٨٦ ب.
- ٣٠ - الصفي (صلاح الدين خليل بن آيبك):
« أعيان العصر وأعوان النصر »، الأجزاء الموجودة ٣، ٦، ٧، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ تاريخ.
- ٣١ - طيبغا الأشرفي الميالكشي اليوناني:
« بغية الرامي - شرح المنظومة »، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٢ فروسية.
- ٣٢ - طيبغا الميالكشي اليوناني « معرفة الرمي بالنشاب وأصوله وفروعه وطريقة الرمي به »، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٩٣ فروسية.
- ٣٣ - طيبغا اليوناني.
« غنية الطلاب في معرفة الرمي بالنشاب »، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٣٦.
- ٣٤ - العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله):
« مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » ٢٠ جزءاً في ٤٢ مجلداً، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة - ونسخة أخرى رقم ٢٥٦٨ تاريخ.

- ٣٥ - العيني (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى):
« عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » ٢٥ جزء آ في ٦٩ مجلدآ، مخطوط
بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ.
- ٣٦ - الغازاني (أبو الخير فضل الله الهمذاني الملقب بالرشيد):
« تاريخ الغازاني » ٤ أجزاء، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
٥٤٢٦ تاريخ.
- ٣٧ - المرادي (أبو الفضل محمد خليل بن علي بن محمد):
« عرف الشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام »، مخطوط مصور بدار
الكتب المصرية رقم ٣٣٥٥ تاريخ.
- ٣٨ - النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد):
« نهاية الارب في فنون الأدب »، الأجزاء من ٢٧-٣١، مخطوط بدار
الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة.
- ٣٩ - النويري السكندري (محمد بن قاسم بن محمد):
« الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة
الإسكندرية » مخطوط مصور بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم
٤٢٢٧ ب، ونسخة مكتبة كلية آداب جامعة الإسكندرية رقم ٧٣٨ م.
- ٤٠ - النعيمي (عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد):
« العنوان في ضبط مواليد ووفيات أهل الزمان »، مخطوط بدار
الكتب المصرية رقم ٢١٩٣ تاريخ تيمور.
- ٤١ - ولي الدين العراقي (عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن):
« ذيل على ذيل كتاب العبر »، وفيات من سنة ٧٦٢هـ-٧٨٦هـ.
مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٩٩٩ د.

ثالثاً: المصادر العربية المطبوعة

- ٤٢ - الأزدي (أبو اسماعيل محمد بن عبد الله):
« كتاب فتوح الشام » صححه وليم ناسوليس، كلكتة، الهند، ١٨٥٤ م.
- ٤٣ - الأيوبي (محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه):
« مضار الحقائق وسر الخلائق »، تحقيق حسن حبشي، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- ٤٤ - ابن الأثير (علي بن أبي الكرم):
« الكامل في التاريخ » ١٢ جزءاً، دار صادر بيروت، ١٩٦٦ م.
- ٤٥ - ابن أياس (محمد بن أحمد):
« بدائع الزهور في وقائع الدهور » ٣ أجزاء، مطبعة بولاق، القاهرة ١٨٩٤ م.
- ٤٦ - ابن أياس.
« صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور » من سنة ٨٥٧-٨٧٢ هـ. تحقيق محمد مصطفى: دار المعارف، القاهرة ١٩٥١ م.
- ٤٧ - ابن أجا (شمس الدين محمد بن محمود بن خليل):
« تاريخ الأمير يشك الظاهري »، تحقيق عبد القادر أحمد طليبات، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ٤٨ - ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل):
« صورة الأرض أو المسالك والممالك والمفاوز والممالك »، دار الحياة، بيروت.

- ٤٩- ابن آيبك (أبو بكر بن عبد الله بن آيبك الدواداري):
«كنز الدرر وجامع الفرر» الأجزاء ٦، ٧، ٨، ٩، القاهرة
١٩٦٠-١٩٧٢ م.
- ٥٠- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أحمد بن القاسم):
«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ٢ جزء، المطبعة الوهبية، القاهرة
١٨٨٢ م.
- ٥١- ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد):
«معالم القرية في أحكام الحسبة» تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد
عيسى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦ م.
- ٥٢- ابن بسام (محمد بن أحمد بن بسام):
«نهاية الرتبة في طلب الحسبة»، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨ م.
- ٥٣- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله):
«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروفة برحلة
ابن بطوطة»، ٢ جزء، المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٥٨ م.
- ٥٤- ابن الجزري (شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد):
«غاية النهاية في طبقات القراء»، نشر برجستراسر، مطبعة السعادة،
القاهرة، ١٩٣٢ م.
- ٥٥- ابن حجر السقلاني (أحمد بن علي بن محمد):
«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» ٥ أجزاء، تحقيق محمد سعيد
جاد الحق، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ٥٦- ابن حجر السقلاني.
«أنباء الفمر بأبناء العمر» ٣ أجزاء، تحقيق حسن حبشي، دار
التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ٥٧- ابن حجر السقلاني.
«رفع الأصر عن قضاة مصر» ٢ جزء، تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد

المهدي أبو ستة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧-١٩٦١ م.

- ٥٨ - ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون):
« العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » ٧ أجزاء، مطبعة دار الطباعة
العامرية، القاهرة، ١٢٨٤ هـ.
- ٥٩ - ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله):
« المسالك والممالك » طبع ليدن، ١٣٠٩ هـ.
- ٦٠ - ابن دقاق (صارم الدين ابراهيم بن محمد):
« الانتصار لواسطة عقد الجمان »، الجزء ٤، ٥، بولاق ١٨٩٣ م.
- ٦١ - ابن الديبشي (أبو عبد الله محمد بن سعيد):
« المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله الديبشي »
٣ أجزاء، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥١ م.
- ٦٢ - ابن زنبيل الرمال (أحمد بن أبي الحسن علي):
« آخرة الممالك »، القاهرة، ١٢٧٨ هـ.
- ٦٣ - ابن سلام (أبو عبيد القاسم بن سلام):
« كتاب الأموال » صححه محمد حامد الفقي، مطبعة حجازي، القاهرة،
١٣٥٣ هـ.
- ٦٤ - ابن شاکر الکتبی (محمد بن شاکر بن أحمد).
« فوات الوفيات » ٢ جزء، تحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد مطبعة
السعادة، القاهرة، ١٩٥١ م.
- ٦٥ - ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري):
« زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك » صححه بولس راويس
باريس ١٨٩٤ م.
- ٦٦ - ابن شداد (عز الدين بن علي بن ابراهيم):

- «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» ٣ أجزاء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٣-١٩٦٣ م.
- ٦٧ - ابن الصيرفي (علي بن داود):
«أنباء المصرب بأبناء المصرب» تحقيق حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- ٦٨ - ابن الصيرفي.
«نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان» ٣ أجزاء، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠-١٩٧٤ م.
- ٦٩ - ابن طولون الصالحى (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد):
«رسائل تاريخية»، مطبعة الترقى، دمشق، ١٣٤٨ هـ.
- ٧٠ - ابن طولون الصالحى.
«أعلام الورى بن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى» تحقيق عبد العظيم حامد، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ٧١ - ابن طولون الصالحى.
«مفاكحة الخلان في حوادث الزمان - تاريخ مصر والشام» ٢ جزء تحقيق محمد مصطفى، المؤسسة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٢ م.
- ٧٢ - ابن طولون الصالحى.
«قضاء دمشق - الثغر البسام في ذكرى من ولي قضاء الشام -» تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الترقى، دمشق ١٩٥٦ م.
- ٧٣ - ابن ظهيرة (أبو اسحق برهان الدين بن علي بن محمد):
«الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة»، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ٧٤ - ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن اهرن):

- « تاريخ مختصر الدول » تحقيق الأب انطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، طبعة ثانية، بيروت، ١٩٥٨ م.
- ٧٥ - ابن عبد الظاهر (محيي الدين عبد الله بن رشيد الدين):
« تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور » تحقيق مراد كامل الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦١ م.
- ٧٦ - ابن عبد الظاهر.
« الألفاظ الحفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية »، تحقيق موبرج، ليدن ١٩٠٢ م.
- ٧٧ - ابن عساكر وابن عبد الهادي.
« حمامات دمشق »، نصوص قديمة نشرها صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٤٧ م.
- ٧٨ - ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم):
« تاريخ ابن الفرات » الأجزاء ٧، ٨، ٩، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٣٩-١٩٤٢ م.
- ٧٩ - ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد):
« ذيل وفيات الأعيان » المسمى «درة الحجال في أسماء الرجال»، الجزء الأول تحقيق محمد الأحدي، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠ م.
- ٨٠ - ابن قطلوبغا (زين الدين قاسم بن قطلوبغا):
« تاج التراجم في طبقات الحنفية »، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢ م.
- ٨١ - ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن أسد):
« ذيل تاج دمشق » مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨ م.
- ٨٢ - ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر):
« البداية والنهاية » ١٤ جزءاً، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٨ هـ.
- ٨٣ - ابن ممتي (شرف الدين أبو المكارم الأسعد بن ملج):

- «كتاب قوانين الدواوين» تحقيق عزيز سوريال، مطبعة مصر، ١٩٤٣ م.
- ٨٤ - ابن هلال الصايء (أبو الحسن هلال بن الحسن بن أبي اسحق):
«رسوم دار الخلافة» تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤ م.
- ٨٥ - ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم):
«مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» الجزء الرابع، تحقيق حسين ربيع وسعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢ م.
- ٨٦ - ابن الوردي (سراج الدين عمر بن مظفر بن محمد):
«تتمة المختصر» ٢ جزء، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
- ٨٧ - ابن يوسف (يعقوب بن ابراهيم):
«كتاب الخراج»، المطبعة الأميرية، بولاق ١٣٠٢ هـ.
- ٨٨ - أبو البقاء (عبد الله بن محمد البدري):
«نزهة الأنام في محاسن الشام»، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١ هـ.
- ٨٩ - أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل):
«تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، نشره السيد عزت المطار، القاهرة، ١٩٤٧ م.
- ٩٠ - أبو الفداء (الملك المؤيد اسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين):
«المختصر في تاريخ البشر»، ٤ أجزاء، المطبعة الشاهانية، القسطنطينية، ١٢٨٦ هـ.
- ٩١ - أبو الفداء «تقويم البلدان»، مطبعة المثني، بغداد، ١٨٥٠ م.
- ٩٢ - أبو الفلاح (عبد الحمي بن العماد الحنبلي):
«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ٨ أجزاء، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠-١٣٥١ هـ.

- ٩٣ - أبو الحسن (يوسف بن تغري بردى):
«حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» ٣ أجزاء، تحقيق وليم بوير، كلفورنيا، ١٩٣١ م.
- ٩٤ - أبو الحسن.
«المنهل الصافي والمستوفى بمد الوافي» الجزء الأول، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- ٩٥ - أبو الحسن.
«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» ١٦ جزءاً، القاهرة، ١٩٣٢-١٩٧٢ م.
- ٩٦ - البديري (أحمد البديري الحلاق):
«حوادث دمشق اليومية»، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- ٩٧ - البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى):
«كتاب فتح البلدان» نشره دي جويه، بريل، ١٨٦٦ م.
- ٩٨ - بنيامين بن بونه الأندلسي.
«رحلة بنيامين» ٥٦١هـ-٥٦٩هـ (١١٦٥-١١٧٣م)، ترجمها عن الأصل العبري، عزاز حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٩٤٥ م.
- ٩٩ - البغدادي (عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله):
«مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» ٣ أجزاء، نشره جوينبول ليدن ١٨٦٤ م.
- ١٠٠ - البغدادي السويدي (أبو الفوز محمد أمين بن علي بن محمد):
«سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب» المكتبة التجارية، القاهرة.
- ١٠١ - البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز).
«معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواقع» ٤ أجزاء، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٤٥-١٩٥١ م.

- ١٠٢ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر).
«التبصر بالتجارة»، نشره حسن حني عبد الوهاب، المطبعة
الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٥ م.
- ١٠٣ - الجهشباوي (محمد بن عبدوس):
«كتاب الوزراء والكتاب»، تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الأياري
وعبد الحفيظ شلي، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٨.
- ١٠٤ - الحنبلي (القاضي مجير الدين):
«الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، ٢ جزء، المطبعة الوهيبية،
القاهرة، ١٢٨٣ هـ.
- ١٠٥ - الدمشقي (شمس الدين محمد بن أبي طالب):
«نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»، بطرسبرج، ١٨٦٦ م.
- ١٠٦ - الدياربكري (حسين بن محمد بن حسن).
«تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس»، ٢ جزء، المطبعة الوهيبية،
القاهرة، ١٢٨٣ هـ.
- ١٠٧ - الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان):
«دول الإسلام» ٢ جزء، تحقيق، فهم شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم،
الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤ م.
- ١٠٨ - السبكي (عبد الوهاب بن تقي الدين):
«معيد النعم ومبيد النقم»، لندن ١٩٠٨ م.
- ١٠٩ - السبكي «طبقات الشافعية الكبرى» ٦ أجزاء، المطبعة الحسينية،
القاهرة، ١٣٢٤ هـ.
- ١١٠ - سبط بن الجوزي (أبو المظفر يوسف بن غزا أوغلي).
«مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» الجزء الثامن، نسخة مصورة
بشيكاغو أمريكا.
- ١١١ - السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد):

- «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، ١٢ جزءاً، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٣-١٣٥٥ هـ.
- ١١٢ - السخاوي «الذيل على رفع الأصر»، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح، الجمعية التعاونية للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- ١١٣ - السخاوي «التبر المسبوك في ذيل السلوك»، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.
- ١١٤ - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):
«نظم العقيان في أعيان الأعيان»، تحقيق فيليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، ١٩٢٧ م.
- ١١٥ - السيوطي «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، ٢ جزء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٧.
- ١١٦ - الشوكاني (محمد بن علي):
«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع» ٢ جزء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.
- ١١٧ - الشيزري (عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله بن محمد).
«نهاية الرتبة في طلب الحسبة»، تحقيق السيد الباز العريفي مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٦ م.
- ١١٨ - صالح بن يحيى (صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين):
«تاريخ بيروت» تحقيق الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٧ م.
- ١١٩ - الإصطخري (إبراهيم بن محمد الفارسي).
«مسالك الممالك»، طبع ليدن، ١٩٢٧ م.
- ١٢٠ - الصفدي (صلاح الدين بن آييك):
«الوافي بالوفيات» ٨ أجزاء، تحقيق هلموت ريتز، دار صادر، بيروت، ١٩٦٢-١٩٧١ م.

- ١٢١ - العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله):
«وصف إفريقية والمغرب والأندلس»، جزء من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. نشره حسن حني عبد الوهاب، مطبعة النهضة، تونس.
- ١٢٢ - العمري «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، الجزء الأول، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٤ م.
- ١٢٣ - العمري «التعريف بالمصطلح الشريف»، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٣١٢ هـ.
- ١٢٤ - العيني (محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد):
«الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر»، تحقيق هانس ارنسقي، دار إحياء الكتب المصرية العربية، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- ١٢٥ - العيني «السيف المهند في سيرة الملك المؤيد»، تحقيق فهم محمد شلتوت، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ١٢٦ - الغزي (نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد):
«الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» ٢ جزء، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، المطبعة الأميركية، بيروت ١٩٤٥ م.
- ١٢٧ - القاسمي (محمد سعيد بن قاسم):
«قاموس الصناعات الشامية» ٢ جزء، تحقيق ظافر القاسمي، لاهاي، ١٩٦٠ م.
- ١٢٨ - القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد):
«صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، ١٤ جزءاً، مطابع كوستي توماس، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- ١٢٩ - القلقشندي «مآثر الانافة في معالم الخلافة» ٣ أجزاء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ١٩٦٤ م.

- ١٣٠ - القلشندي «نهاية الارب في معرفة أنساب العرب»، مطبعة الرياض، بغداد.
- ١٣١ - القزويني (زكريا بن محمد بن محمود): «آثار البلاد وأخبار العباد»، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.
- ١٣٢ - القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف): «أخبار العلماء بأخبار الحكماء»، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٣٦ هـ.
- ١٣٣ - محمد حميد الله الحيدر آبادي. «مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة»، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤١ م.
- ١٣٤ - المحي (محمد بن فضل الله بن محمد): «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»، ٤ أجزاء، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٤ هـ.
- ١٣٥ - مجهول. «تاريخ سلاطين المماليك»، من ٦٩٠-٧٤١ هـ، تحقيق زيترشتين طبع ليدن، ١٩١٩ م.
- ١٣٦ - مجهول. «كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار»، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨ م.
- ١٣٧ - الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب): «كتاب الأحكام السلطانية»، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٩ م.
- ١٣٨ - المرادي (خليل بن علي بن محمد بن مراد): «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»، ٤ أجزاء، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٢٩١-١٣٠١ هـ.
- ١٣٩ - مفضل بن أبي الفضائل:

« النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد »، ٢ جزء، باريس، ١٩٢٠ م.

١٤٠ - المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد):

« أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم »، ٢ جزء، طبعة ثانية، ليدن، ١٩٠٩ م.

١٤١ - المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي):

« السلوك لمعرفة دول الملوك »، ٤ أجزاء، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٤-١٩٧٣ م.

١٤٢ - المقرئزي « شذور العقود في ذكر النقود »، تحقيق محمد صادق آل بحر، المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، ١٣٥٦ هـ.

١٤٣ - المقرئزي.

« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية »، ٤ أجزاء، مطبعة النيل، القاهرة، ١٣٢٤-١٣٢٦ هـ.

١٤٤ - المقرئزي « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء »، ٣ أجزاء. تحقيق محمد حلمي محمد، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٣ م.

١٤٥ - المقرئزي « البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب »، تحقيق عبد الحميد عابدين، مطبعة أحمد مخيمر، القاهرة، ١٩٦١ م.

١٤٦ - المقرئزي « النقود الإسلامية »، مطبعة الجوانب، القسطنطينية، ١٢٩٨ هـ.

١٤٧ - المقرئزي « إغاثة الأمة بكشف الغمة »، تحقيق محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال، طبعة ثانية، ١٩٥٧ م.

١٤٨ - المقرئزي (أحمد بن محمد التلمساني):

« نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب »، ٨ أجزاء، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٦٨ م.

- ١٤٩ - النعمي (عبد القادر محمد بن عمر):
«الدارس في تاريخ المدارس» ٢ جزء، تحقيق جمفر الحسيني، مطبعة
الترقي، دمشق، ١٩٤٨ م.
- ١٥٠ - النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب):
«نهاية الارب في فنون الأدب»، ٢١ جزء، القاهرة، ١٩٢٣-١٩٧٦ م.
- ١٥١ - الهمذاني (رشيد الدين فضل الله):
«جامع التواريخ» ٢ جزء، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد
عبد المطي الصياد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- ١٥٢ - ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله):
«معجم البلدان» ١٠ أجزاء، مطبعة دار السعادة، القاهرة،
١٩٠٧ م.
- ١٥٣ - ياقوت الحموي.
«المشترك وضما والمفترق صقما»، طبع جوتنجن، المانيا، ١٨٤٦ م.
- ١٥٤ - ياقوت الحموي.
«معجم الأدياء» الجزء الأول، القاهرة، ١٩٣٦ م.
- ١٥٥ - اليونيني (قطب الدين موسى بن محمد بن أحمد).
«ذيل مرآة الزمان»، ٤ أجزاء، مطبعة دار المعارف العثمانية
حيدرآباد، الهند، ١٩٥٤-١٩٦١ م.

رابعاً: المراجع العربية الحديثة

- ١٥٦ - ابراهيم (عبد اللطيف):
«سلسلة الدراسات الوثائقية» العصر المملوكي، دار الطباعة الحديثة،
القاهرة، ١٩٦١ م.
- ١٥٧ - ابراهيم «المكتبة المملوكية» مطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- ١٥٨ - أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى.
تأليف نخبة من الأساتذة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ١٥٩ - اسكندر (توفيق):
«نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط»، بحث في
المجلة التاريخية المصرية، المجلد السادس، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- ١٦٠ - بدوي (أحمد أحمد):
«مأمون بنى أيوب - المعظم عيسى -»، مطبعة لجنة البيان العربي،
القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ١٦١ - الجميل (مكي):
«البداءة والبدو في البلاد العربية»، مطبعة النصر، القاهرة،
١٩٦٢ م.
- ١٦٢ - حمزة (عبد اللطيف):
«الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول»، دار
الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧ م.

- ١٦٣ - الحموي (محمد ياسين):
«دمشق في العصر الأيوبي»، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٦ م.
- ١٦٤ - حسن (علي ابراهيم):
«مصر في العصور الوسطى»، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٤٧ م.
- ١٦٥ - حسن (علي ابراهيم):
«تاريخ الممالك البحرية»، مطبعة الشبكيشي، القاهرة، ١٩٤٨ م.
- ١٦٦ - حسن (زكي محمد):
«التصوير في الإسلام - عند الفرس -»، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٣٦ م.
- ١٦٧ - حسن (زكي محمد):
«كنوز الفاطميين»، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٧، ١٩٣٧ م.
- ١٦٨ - حسن (زكي محمد):
«الفنون الإيرانية - في العصر الإسلامي -»، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٠ م.
- ١٦٩ - حسن (زكي محمد):
«في مصر الإسلامية»، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، ١٩٣٧ م.
- ١٧٠ - حسن (زكي محمد):
«فنون الإسلام»، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٨ م.
- ١٧١ - الخربوطلي (علي حسني):
«البحر المتوسط بحيرة إسلامية» سلسلة اقرأ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣ م.
- ١٧٢ - الحضري (محمد):
«تاريخ الأمم الإسلامية» ٢ جزء، مطبعة الإستقامة، القاهرة، ١٩٥٣ م.

- ١٧٣ - الدباغ (مصطفى مراد):
« بلادنا فلسطين »، الجزء الأول، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٥ م.
- ١٧٤ - دراسات عن المقريري:
« مجموعة أبحاث لنخبة من الأساتذة »، الهيئة العامة للتأليف والنشر،
القاهرة، ١٩٧١ م.
- ١٧٥ - رفعت (محمد):
« تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية »، دار المعارف،
القاهرة، ١٩٥٩ م.
- ١٧٦ - زكي (عبد الرحمن):
« ملابس الجيش المصري »، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٤٩ م.
- ١٧٧ - زكي (عبد الرحمن):
« صناعة السيوف الإسلامية في العصور الوسطى »، بحث في المجلة
التاريخية المصرية، المجلد الخامس، القاهرة، ١٩٥٦ م.
- ١٧٨ - زكي (عبد الرحمن):
« الجيش المصري في العصر الإسلامي » ٢ جزء، مطبعة الكيلاني،
القاهرة، ١٩٧٠ م.
- ١٧٠ - زكي (عبد الرحمن):
« العارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين » فصلة
من المجلة التاريخية المصرية، العدد السابع، ١٩٥٨ م.
- ١٨٠ - زيادة (محمد مصطفى):
« المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي »، مطبعة لجنة
التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٩ م.
- ١٨١ - سالم (السيد عبد العزيز):
« دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي »، دار الأحد،
بيروت، ١٩٧٠ م.

- ١٨٢ - سالم (السيد عبد العزيز):
« الآثار الإسلامية في دير سانت كاترين بطور سيناء »، بحث في مجلة العلوم، دار العلم للملايين، بيروت، عدد يناير، ١٩٦٥ م.
- ١٨٣ - سالم (السيد عبد العزيز):
« القيم الجمالية في فن العمارة الإسلامية »، منشورات جامعة بيروت العربية، مطابع المصري، بيروت، ١٩٦٣ م.
- ١٨٤ - سالم (السيد عبد العزيز):
« طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي »، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٧ م.
- ١٨٥ - سالم (السيد عبد العزيز):
« المغرب الكبير - المغرب الإسلامي - »، الجزء الثاني، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٦ م.
- ١٨٦ - سالم (السيد عبد العزيز):
« تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي »، الإسكندرية، ١٩٦٩ م.
- ١٨٧ - سالم (السيد عبد العزيز):
« التاريخ والمؤرخون العرب »، اسكندرية، ١٩٦٧ م.
- ١٨٨ - سالم (السيد عبد العزيز):
« تاريخ الدولة العربية »، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١ م.
- ١٨٩ - سامح (كمال الدين):
« العمارة الإسلامية في مصر »، مطبعة مصر، القاهرة.
- ١٩٠ - سرور (محمد جمال الدين):
« دولة بني قلاوون في مصر »، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٤٧ م.
- ١٩١ - سرور (محمد جمال الدين):
« دولة الظاهر بيبرس في مصر »، القاهرة، ١٩٦٠ م.

- ١٩٢ - سداوي (نظير حسان):
« صور ومظالم من عصر المماليك »، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة،
١٩٦٦ م.
- ١٩٣ - سداوي (نظير حسان):
« نظام البريد في الدولة الإسلامية »، دار مصر للطباعة، القاهرة،
١٩٥٣ م.
- ١٩٤ - الشكعة (مصطفى):
« معالم الحضارة الإسلامية »، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ١٩٥ - شقير (نعوم):
« تاريخ سيناء »، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٦ م.
- ١٩٦ - الشاوي (ابراهيم دسوقي):
« الحسبة في الإسلام »، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- ١٩٧ - الشيال (جمال الدين):
« تاريخ مصر الإسلامية »، ٢ جزء، الإسكندرية، ١٩٦٧ م.
- ١٩٨ - الصدي (رزق الله منقريوس):
« تاريخ دول الإسلام »، ٣ أجزاء، مطبعة الهلال، القاهرة،
١٩٠٧ - ١٩٠٨ م.
- ١٩٩ - طرخان (ابراهيم علي):
« مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة »، مطبعة لجنة التأليف
والنشر، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ٢٠٠ - طرخان (ابراهيم علي):
« الإقطاع الإسلامي - أصوله وتطوره - » بحث في المجلة التاريخية
المصرية، المجلد السادس، ١٩٥٧ م.
- ٢٠١ - طرخان (ابراهيم علي):

« النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى »، دار
الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨ م.

٢٠٢ - عاشور (فايد حماد):

« العلاقات السياسية بين المماليك والمغول »، دار المعارف، القاهرة،
١٩٧٦ م.

٢٠٣ - عاشور (سعيد عبد الفتاح):

« العصر المماليكي في مصر والشام »، دار النهضة العربية، القاهرة،
١٩٦٥ م.

٢٠٤ - عاشور (سعيد عبد الفتاح):

« المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك » مطبعة لجنة البيان العربي،
القاهرة، ١٩٦٢ م.

٢٠٥ - عاشور (سعيد عبد الفتاح):

« مصر في عصر دولة المماليك البحرية »، مطبعة لجنة البيان العربي،
القاهرة، ١٩٥٩ م.

٢٠٦ - عاشور (سعيد عبد الفتاح):

« الظاهر بيبرس » سلسلة أعلام العرب، مطبعة مصر، القاهرة،
١٩٦٣ م.

٢٠٧ - العارف (عارف):

« تاريخ القدس »، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١ م.

٢٠٨ - العارف (عارف):

« الأماكن المقدسة الإسلامية »، مقالة بمجلة الأردن الحديث، عدد
١٩٦٢، عمان - الأردن.

٢٠٩ - العبادي (أحمد مختار):

« قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام » دار النهضة العربية
للنشر، بيروت، ١٩٦٩ م.

- ٢١٠ - العبادي وسالم (أحمد مختار والسيد عبد العزيز):
«تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام»، دار الأحد، بيروت،
١٩٧٢ م.
- ٢١١ - عبد السيد (حكيم أمين):
«قيام دولة المماليك الثانية»، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- ٢١٢ - عبد الكريم (أحمد عزت):
«التقسيم الإداري لسورية»، مجلة كلية آداب جامعة القاهرة، عدد مايو
١٩٥١ م.
- ٢١٣ - عبد الجواد (توفيق أحمد):
«تاريخ العمارة - العصور الوسطى والأوروبية والإسلامية - الجزء
الثاني، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ٢١٤ - عبد الوهاب (حسن):
«بيوت الله مساجد ومعاهد» ٢ جزء، مطابع الشعب، القاهرة،
١٩٦٠ م.
- ٢١٥ - المدوي (ابراهيم أحمد):
«الحمام الزاجل في العصور الوسطى»، بحث في المجلة التاريخية
المصرية، المجلد الثاني، العدد الأول، مايو ١٩٤٩ م.
- ٢١٦ - المدوي (ابراهيم أحمد):
«الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية»، مطبعة لجنة البيان
العربي، القاهرة، ١٩٥١ م.
- ٢١٧ - العريفي (السيد الباز):
«الحسبة والمحتسبون في مصر» بحث في المجلة التاريخية المصرية، المجلد
الثالث، العدد الثاني، أكتوبر ١٩٥٠ م.
- ٢١٨ - العريفي (السيد الباز):

« الفارس المملوكي » ، بحث في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ،
١٩٥٦ م .

٢١٩ - العريفي (السيد الباز):

« الممالك » ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

٢٢٠ - علي (محمد كرد):

« خطط الشام » ٦ أجزاء ، المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٢٥ م .

٢٢١ - علي (محمد كرد):

« الإسلام والحضارة العربية » ٢ جزء ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ،
القاهرة ، ١٩٥٠-١٩٥١ م .

٢٢٢ - عنان (محمد عبد الله):

« مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية » ، مطبعة دار الكتب ،
القاهرة ، ١٩٣١ م .

٢٢٣ - غوانمة (يوسف درويش):

إمارة الكرك الأيوبية ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨٠ م .

٢٢٤ - غوانمة (يوسف درويش):

« مدينة عمان الأردنية في التاريخ الإسلامي الوسيط » ، بحث في ندوة
الحضارة الإسلامية بجامعة الإسكندرية ، ١٦-٢٠ أكتوبر ١٩٧٦ م .

٢٢٥ - غوانمة (يوسف درويش):

عمان حضارتها وتاريخها ، دار اللواء ، عمان ، ١٩٧٩ م .

٢٢٦ - غوانمة (يوسف درويش):

غلاة الشيعة الباطنية في بلاد الشام ، جمعية عمال المطابع التعاونية ،
عمان ، ١٩٨١ م .

٢٢٧ - فكري (أحمد):

« مساجد القاهرة ومدارسها - المدخل ، والجزء الأول والثاني - » دار
المعارف بمصر ، ١٩٦١-١٩٦٩ م .

- ٢٣٧ - المؤرخ ابن تغري بردى:
« مجموعة أبحاث » لنخبة من الأساتذة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة، ١٩٧٤ م.
- ٢٣٨ - النقشبندی (ناصر السيد محمد):
« الدينار الإسلامي في المتحف العراقي » - الدينار الأموي والعباسي -
الجزء الأول، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٣ م.
- ٢٣٩ - ولفسون (اسرائيل):
« تاريخ اليهود في بلاد العرب »، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٧ م.
- ٢٤٠ - يوسف ومصطفى (أحمد أحمد، ومحمد عزت):
« تاريخ الطرز الزخرفية والفنون الجميلة »، مطبعة مصر، القاهرة،
طبعة ثانية، ١٩٤٨ م.
- ٢٤١ - حوليات دائرة الآثار العامة الأردنية - عمان - الأردن.

١٩٧٠ م	المجلد الخامس عشر
١٩٧١ م	المجلد السادس عشر
١٩٧٢ م	المجلد السابع عشر
١٩٧٣ م	المجلد الثامن عشر
١٩٧٤ م	المجلد التاسع عشر
١٩٧٥ م	المجلد العشرون

- ٢٢٨ - فهمي (نعم زكي):
« طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب »، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ٢٢٩ - لبيب (صبحي):
« التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى »، بحث في المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٤ عدد ٢، القاهرة، ١٩٥٢ م.
- ٢٣٠ - مبارك (علي):
« الخطط التوفيقية »، الجزء ٢٠، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ١٣٠٦ هـ.
- ٢٣١ - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب:
« التاريخ والآثار »، الحلقة الدراسية الأولى، ٤-٩ فبراير ١٩٦١ م، القاهرة، ١٩٦٢ م.
- ٢٣٢ - ماجد (عبد المنعم):
« نظم دولة سلاطين المالك ورسومهم في مصر »، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٤ م.
- ٢٣٣ - ماجد (عبد المنعم):
« تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى »، مطابع سجل العرب، طبعة ثالثة، القاهرة، ١٩٧٣ م.
- ٢٣٤ - مرزوق (محمد عبد العزيز):
« الإسلام والفنون الجميلة »، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٤ م.
- ٢٣٥ - مرزوق (محمد عبد العزيز):
« بين الآثار الإسلامية في العالم »، الإسكندرية، ١٩٥٣ م.
- ٢٣٦ - مرزوق (محمد عبد العزيز):
« الفن الإسلامي، تاريخه وخصائصه »، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٥ م.

خامساً: المراجع الأوروبية المعربة

- ٢٤٢ - بيركهارت:
«رحلات بيركهارت» - سوريا الجنوبية - الجزء الثاني، ترجمة أنور عارف، المطبعة الأردنية، عمان، ١٩٦٩ م.
- ٢٤٣ - ترتون:
«أهل الذمة في الإسلام» ترجمة حسن حبشي، مطبعة الاعتقاد، القاهرة، ١٩٤٩ م.
- ٢٤٤ - جب وبوون (هاملتون وهارولد):
«المجتمع الإسلامي والغرب» ٢ جزء، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١ م.
- ٢٤٥ - جب (هاملتون):
«دراسات في حضارة الإسلام»، ترجمة إحسان عياش ومحمد نجم ومحمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤ م.
- ٢٤٦ - جاردنر:
«علم الآثار» ترجمة محمود حمزة وزكي محمد حسن، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٣٦ م.
- ٢٤٧ - حقي (فيليب):
«تاريخ العرب» - مطول - ٢ جزء، ترجمة ادورد جرجي وجبرائيل جبور، مطابع الكشاف، بيروت، ١٩٥٢ م.

- ٢٤٨ - حسيني (مولوي):
«الإدارة العربية» ترجمة ابراهيم المدوي، المطبعة النموذجية،
القاهرة.
- ٢٤٩ - ديل (شارل):
«البنديقية جمهورية ارستقراطية»، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم،
وتوفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة ١٩٤٧ م.
- ٢٥٠ - دياند:
«الفنون الإسلامية»، ترجمة أحمد محمد عيسى، دار المعارف، القاهرة،
١٩٥٣ م.
- ٢٥١ - ديسو (رينه):
«العرب في سوريا»، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، الدار القومية
للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٢٥٢ - ديورانت (ول):
«قصة الحضارة» الجزء الثاني، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف
والنشر، القاهرة، ١٩٥٠ م.
- ٢٥٣ - ريسلر (جاك):
«الحضارة العربية»، ترجمة غنيم عبدون، دار الطباعة الحديثة،
القاهرة.
- ٢٥٤ - سوفاجيه (جان):
«دمشق الشام» ترجمة فؤاد افرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية،
بيروت، ١٩٣٦ م.
- ٢٥٥ - علي (سيد أمير):
«مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي»، ترجمة رياض رأفت،
مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٨ م.

- ٢٥٦ - فامبري (أرمينيوس):
« تاريخ بخاري »، ترجمة أحمد محمود السادقي، مطابع شركة الإعلانات
الشرقية، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- ٢٥٧ - فلهوزن (يوليوس):
« تاريخ الدولة العربية »، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، وحسين
مؤنس، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- ٢٥٨ - فولني:
« ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام »، الجزء الأول، ترجمة ادوار
البستاني، دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٩ م.
- ٢٥٩ - فييت (جاستون):
« المواصلات في مصر في العصور الوسطى » ترجمة محمد وهي،
القاهرة، ١٩٣٩ م.
- ٢٦٠ - كاهن (كلود):
« تاريخ العرب والشعوب الإسلامية »، الجزء الأول، ترجمة بدر الدين
القاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢ م.
- ١٦١ - كولستون:
« عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة »، ترجمة جوزيف نسيم
يوسف، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٧ م.
- ٢٦٢ - كويلرينج:
« الشرق الأدنى، مجتمعه وثقافته »، ترجمة عبد الرحمن أيوب، مطبعة
الرسالة، القاهرة.
- ٢٦٣ - كونل (أرنست):
« الفن الإسلامي » ترجمة أحمد موسى، مطبعة أطلس، القاهرة،
١٩٦١ م.

- ٢٦٤ - لينبول (ستانلي):
«سيرة القاهرة»، ترجمة حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن
وادوارد حليم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥١ م.
- ٢٦٥ - مارسيه (جورج):
«الفن الإسلامي»، ترجمة عفيف بهنسي وعدنان البني، مطابع
الجيش، دمشق، ١٩٦٨ م.
- ٢٦٦ - ماير:
«الملابس الملوكية»، ترجمة صالح الشيني، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢ م.
- ٢٦٧ - منز (آدم):
«الحضارة الإسلامية» ٢ جزء، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، لجنة
التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- ٢٦٨ - موير (وليم):
«تاريخ دولة المماليك في مصر»، ترجمة محمود عابدين، وسليم حسن،
مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٢٤ م.
- ٢٧٠ - يانج (جورج):
«تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم اسماعيل»، ترجمة علي
شكري، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٤ م.
- ٢٧١ - يعقوب (جورج):
«أثر الشرق في الغرب - خاصة في العصور الوسطى -»، ترجمة فؤاد
حسين علي، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٦ م.

سادساً: المصادر والمراجع باللغات الأوروبية

272. **Guillaume de Tyr:**
Recueil des historiens de Croisades H. occ. vol. 1.
273. **Marco Polo:**
The travels of Marco polo, New. York.
274. **ABEL, (M.):**
Histoire de La Palestine, 2 vols. Paris, 1952.
275. **Ann (Dearden):**
Jordan, London, 1958.
276. **Andrews University:**
Seminary studies. vol. XI, U.S.A. 1973.
277. **Arthur (Lane):**
Later Islamic pottery, Persia, Syria, Egypt, Turkey, London, 1957.
278. **Arthur (P.S.):**
Sinai and Palestine, London, 1889.
279. **Bertold (Spuler):**
The Muslim world, the age of the Caliphs, Leiden, 1960.
280. **Bouchier (E.S.):**
Syria as a Roman province, Oxford, 1915.
281. **Brunnow. (Rudolf E.):**
Dei provincia Arabia, 2 vols, strassburg, 1904-1905.
282. **Conder (CR.):**
The Survey of eastern Palestine, London, 1889.
283. **Combe, Sauvaget, Wiet:**
Repertoire chronologique d'epigraphie Arabe 16 vols, Le Ciare, 1931-1944.

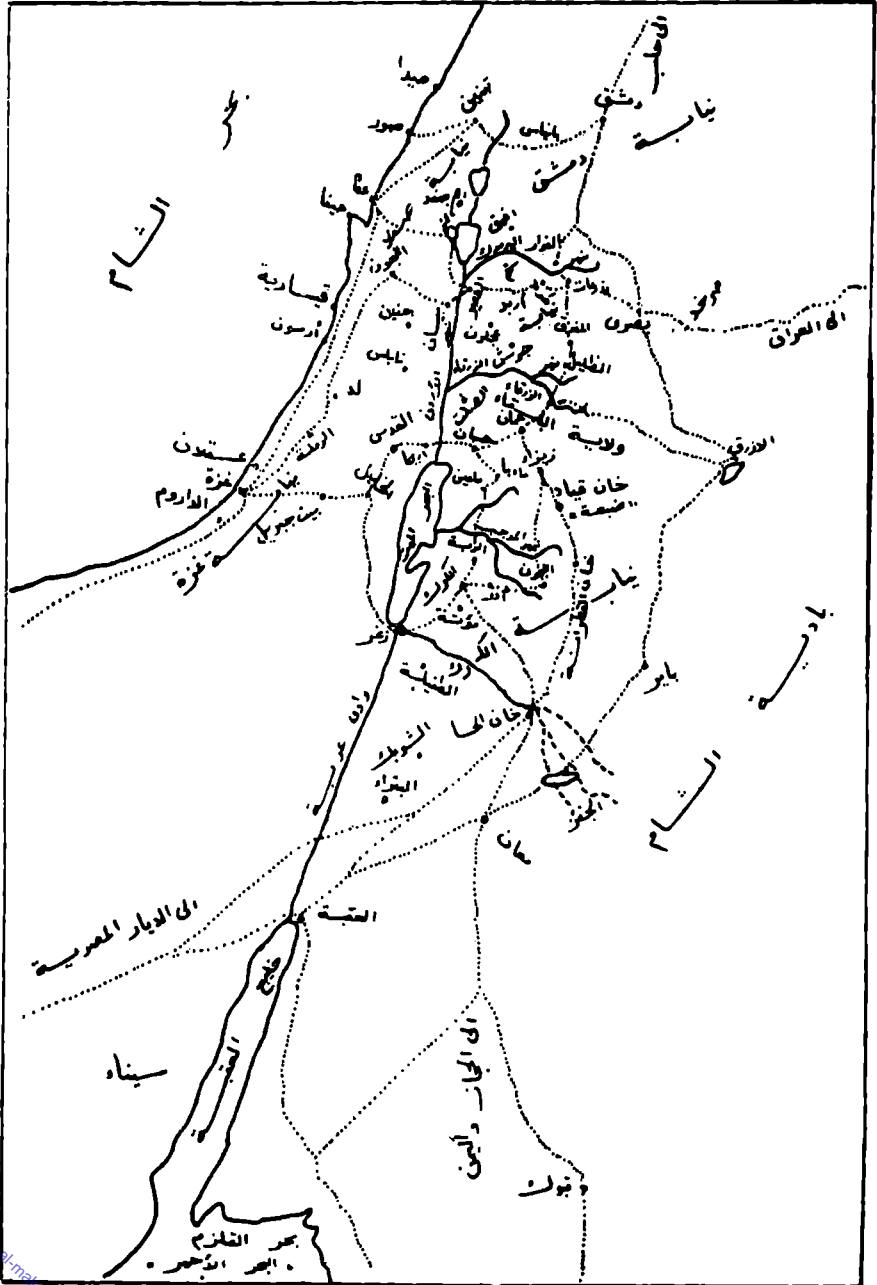
284. **Dussaud et Macler:**
Mission archeologique dane les regions desertiques de la Syrie moyenne, Paris 1903.
285. **Dussaud et Deschamps:**
La Syrie antique et medievale illustree Paris, 1931.
286. **Dussaud (René):**
Mission dans les régions desertiques de la Syrie moyenne, Paris, 1902.
287. **Dussaud (René):**
Topographie historique de la Syrie antique et medievale, Paris, 1927.
288. **Dussaud (René):**
Les monuments Palestiniens et Judaiques, Paris 1921.
289. **Fahmy (Aly M.):**
Muslim Sea-power in the eastern Mediterranean, London, 1950.
290. **Fister Isabel & John:**
Jordan, the Holy, Land. Beirut.
291. **Grant (C.P.):**
The Syrian desert, New York, 1938.
292. **Gubser, (Peter):**
Politics and change in Al-karak, Jordan. London, 1973.
293. **Harold (W.G.):**
The Mamluk origin of the fortified khan at Al-Aqaba, Jordan
Archaeologia orientalia in memoriam ernest, Herz Feld, New York, 1952.
294. **Heyd (W.):**
Histoire du Commerce du Levant au moyen âge, 2 vols, Lipzig, 1886.
295. **Horn (S.H.):**
The 1973 of excavations at Tell Hesben.
Annual of the department of Antiquities, Jordan, 1974.
296. **Howard (C.B.):**
Ancient architecture in Syria, Leyden, 1907.
297. **Jacob de Haas:**
History of Palestine, New York, 1934.

298. **Johns (C.N.):**
Medieval Ajlun, the Castle (qul'at ar-Rabad).
The quarterly of the department of antiquities in Palestine vol.1,
1931.
299. **James (A.S.):**
Heshbon pottery 1971.
Andrews University Press, Michigan, 1973.
300. **Jaussen & Savignac:**
Mission archeologique en Arabie, 2 vols, Paris, 1909.
301. **Kammerer (A.):**
La Mer Rouge, 2 vols, Le Caire, 1953.
302. **Kammerer, (A.):**
Petra et la Nabatene, Paris, 1929.
303. **Lane Poole:**
A history of Egypt in the middle ages, LONDON, 1936.
304. **Lane Poole:**
Catalouge of the Collection of Arabic Coins, LONDON, 1897.
305. **Le Strange (Gey):**
Palestine under the Moslems, Beirut, 1965.
306. **Lopez & Raymond:**
Medieval trade in the Mediterranean World, New York, 1955.
307. **Lugenbeal & James:**
Pottery from Heshbon.
Andrews University Siminary studies (vol, X. 1962).
308. **Mann (Jacob):**
The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, 2 vols.
Oxford, 1920.
309. **Marmorosch (A.):**
Old and new places in Places in Palestine and South Syria,
Jerusalem, 1934.
310. **Michael (A.):**
The middle east, a hand book, LONDON, 1971.
311. **Michaud:**
Histoire des Croisades. 5 vols. Paris, 1817.

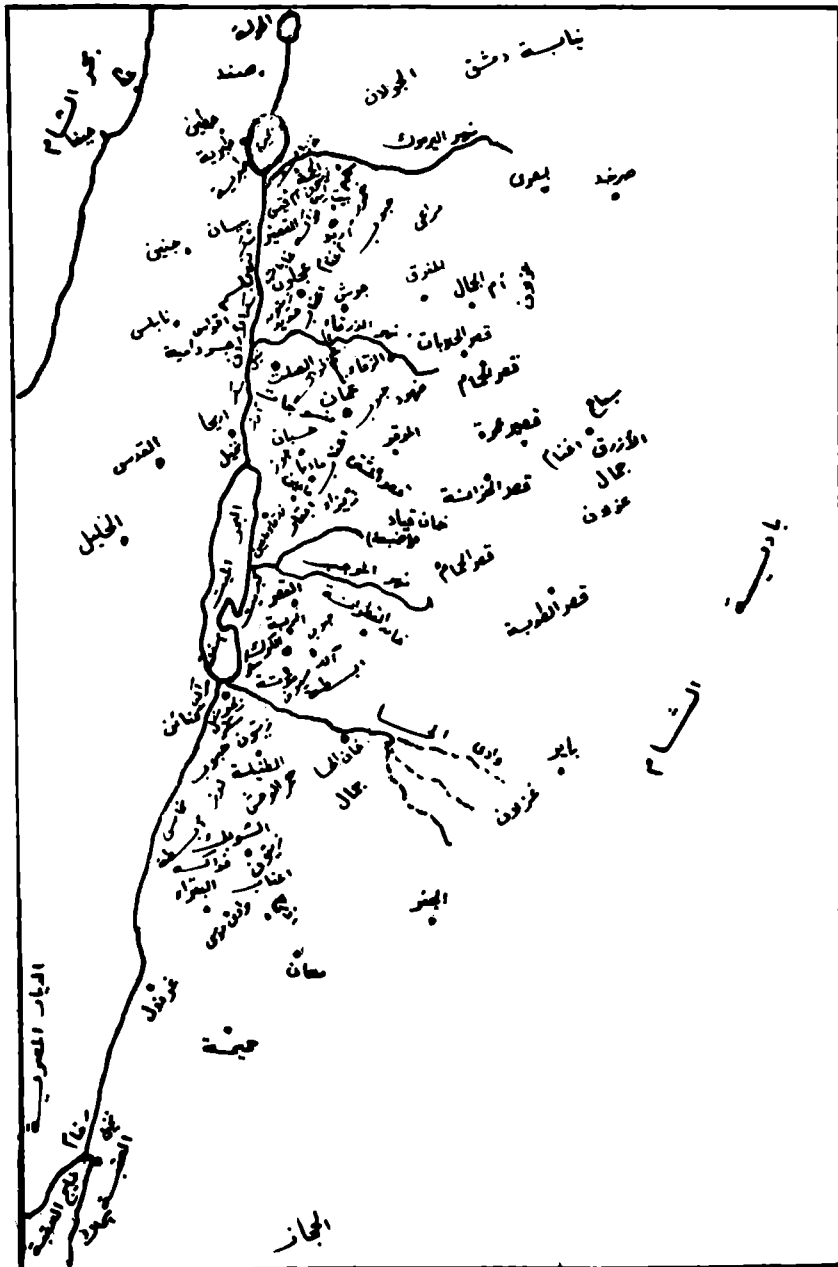
312. **Moritz (B.):**
Arabic palaeography, Cairo, 1905.
313. **Musil (Alois):**
The northern Hegaz, New York, 1926.
314. **Musil (Alois):**
Arabia Petraea. Moab, Edom, 2 vols, Holand, 1907-1908.
315. **Muir (W.):**
The Mameluke or salve dynasty of Egypt. LONDON, 1896.
316. **Muir (W.):**
The Caliphate, its rise, decline and fall. London. 1924.
316. **Muir (W.):**
The Caliphate, its rise, decline and fall. LONDON. 1924.
317. **Muller (W.):**
Castles of the crusaders, LONDON, 1966.
318. **Mury:**
Hand book for travellers in Syria and Palestine. LONDON, 1868.
319. **Nelson (Glueck):**
The other side of the Jordan. Combridge. 1970.
320. **Nelson (Bryon):**
Azraq desert Oasis. LONDON, 1973.
321. **Newton (A.P.):**
Trade and travellers of the middle ages. LONDON, 1930.
322. **Oman (Charles):**
History of the art of war in the middle ages, 2 vols. LONDON, 1924.
323. **Pirenne (Henri):**
Economic and Social history of the middle Europe, LONDON, 1936.
324. **Poliak (A.N.):**
Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon, 1250-1900. LONDON, 1939.
325. **Quatremere:**
Histoire des Sultans Mamlouks, 2 vols. Paris 1837.

326. **Roberts (David):**
The Holy Land, Syria, Idumeu, Arabia, Egypt. 6 vols. LONDON, 1855-1856.
327. **Sauvaget, (Jean):**
Poteries Syro-Mesopotamiennes du xive siecle, Paris, 1932.
328. **Schumacher (G.):**
Abila, Pella, Northern Ajlun withen the Decapolis. LONDON, 1890.
329. **Setton (K.):**
A Hitsory of the Crusades. 2 vols. LONDON. 1962.
330. **Smail (R.C.):**
Crusading warfare (1097-1293), New York, 1967.
331. **Smith (G.A.):**
The historical geography of the Holy Land, LONDON, 1896.
332. **Smne (George):**
La Syrie. Paris, 1920.
333. **Tristram:**
The Land of Isreal, Journal of travels in Palestine, New York, 1876.
334. **Thompson (J.W.):**
History of the middle ages. LONDON, 1931.
335. **Van de velde:**
Narrative of a jounry throug Syria and Palestine, 2 vols. LONDON, 1859.
336. **Ziadeh (N.):**
Urban Life in Syria, Beirut, 1953.
337. **The archaeological heritage of Jordan, the archaeological periods and sites (East Bank). Part I, department of antiquites, Amman, Jordan, 1973.**
338. **Encyclopaedia of Islam.**
339. **Encyclopaedia Britannica.**
340. **The Jewish Encyclopedia.**

شبكة المواصلات وطرق التجارة في منطقة شرقي الأردن في العصر المملوكي



المواقع الأثرية ومواطن الثروات الزراعية والصناعية في منطقة شرقي الأردن في العصر المملوكي



كشف بأسماء الأماكن

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ،

١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،

١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢١٣ ،

٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ،

٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ،

٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ،

٢٧٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٣٣ ،

٣٣٤ .

أريحا: ٥١ ، ٥٨ ، ٩١ ، ١١٤ ، ٢٧٤ .

الأزرق: ١١٣ ، ١٤٩ .

أزمير: ٩٩ .

الاستب: ١٨٠ .

الاسكندرية: ١٢ ، ٣٣ ، ٦٦ ، ٧٠ ،

٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١١٤ ،

١٤٣ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٨٦ ،

٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ ،

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،

- أ -

أتيكا: ٩٩ .

أخيم: ٢١٠ .

آدر: ١٢ ، ١١٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

أذرعات: ١٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٩ ، ٨٥ .

اريد: ٥٠ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٦ ،

٧٩ ، ٨٦ ، ١٣٤ ، ١٧٤ ،

١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٩١ ،

١٩٥ .

الأردن: ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦ ،

٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ،

٤٧ ، ٥٣ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ،

٧٣ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ،

٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،

١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ،

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ،

١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٣ ،

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ،

بالس : ١١٩ .
البتراء : ٧ ، ١٤٧ ، ٢٥٠ .
البحر الأحمر : ٨٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٨ ،
١١٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ،
٢٥١ ، ٢٦٣ .
بجر القلزم : ٢٣٤ .
البحر المتوسط : ٩٣ ، ٣١٦ .
البحر الميت : ٥١ ، ٨٠ ، ٩١ ، ١١٢ ،
١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ٢٥٩ ،
٢٧٣ .
البحرين : ٢٦٤ ، ٢٦٨ .
بحيرة طبرية : ٨٠ .
بخارى : ٨٦ .
بدر : ١٩٥ .
البرج الأبيض (مرج الحمام) : ٦٤ ، ٦٩ .
برج رأس النهر : ٢٣٢ .
برج السباع : ٢٣٢ .
برج السراي : ٢٣٢ .
برج العقبة : ٢٣٤ .
برج الكرك (برج الظاهر) : ٢٣٤ ، ٢٦٤ .
برج الطليعة : ٢٦٤ .
برزة : ٧٢ .
البيستان : ١٢ ، ١٣٢ .
بصرى : ٩١ ، ١٣٨ .
بعلبك : ٦٦ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٥٨ ،
١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ .
بغداد : ٦٥ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٤٥ ،

٣٠٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،
٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ .
آسيا : ١٣٩ .
اشيلية : ١٩٣ .
أعناك : ١١٣ .
الأغوار : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٧٣ ،
٨١ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٢ ، ١٢٢ ، ١٣٢ .
أفريقيا : ٩٠ ، ٩١ ، ٣١٠ .
ألمانيا : ٣١٣ .
آمد : ٤٣ ، ٨٦ .
أميركا : ٣٠٨ .
الأندلس : ١٠ ، ٢٠ ، ١٩٣ ، ٢٢٢ ،
٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٦٥ ، ٣١٠ .
انطاكية : ٢٠ ، ٩٠ ، ٢٦٠ .
أوروبا : ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٢١ .
ايدون : ١٧٤ .
ايران : ١١٨ .

- ب -

باب الجابية : ٨٥ .
بئر غزي : ٦٣ .
بئر القاضي : ٦٣ .
باريس : ٣٠٣ ، ٣١٢ .
باعونة : ١١٣ ، ١٥٨ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ،
١٩٧ .
الباقورة : ٥١ .

البيرة: ٦٤، ٦٩، ٧٢.

بيروت: ١٩، ٦٩، ٧٥، ٩٠، ١٩٣،

٢٢٤، ٢٢٧، ٣٠١، ٣٠٤،

٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١،

٣١٢، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩،

٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٥،

٣٢٦.

بيسان: ٥١، ٦٣، ٦٤، ٦٩،

٧٢، ٧٦.

- ت -

تبوك: ٨٥.

تل ياسين تبه: ١٠٣.

تونس: ٨٧، ٢٤٣، ٣٠٥، ٣١٠.

- ث -

الثنية: ٤٥، ٨٥.

ثنية العقاب: ٧٢.

- ج -

الجامع: ٦٤، ٢١٥.

جبال البلقاء: ١٠٥.

جبال الشراة: ٤٦، ٨٠، ١٠٥،

١١٤، ١١٥، ٢٥٠، ٢٦٣.

جبال عجلون: ٧٩، ٨٠، ١٠٥، ١٧٨،

١٥٣، ١٠٥، ٨٠، ٧٩،

جبل عرفات: ٨٥.

جبل عوف: ١٣٨، ٢٧١، ٢٧٢.

١٩٣، ٢٦٥، ٢٧٤، ٣٠٢،

٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧،

٣١١، ٣٢٢، ٣٢٣.

البلقاء: ١٧٢.

بقنس: ٦٤.

بلاد الأرمن: ٨٦.

بلاد جلفاد: ١١٨.

بلاد الرافدين: ٨٤، ٢٥١.

بليس: ٦٦، ٦٩، ٧٦، ١٧٦.

البلقاء: ٧، ٢٩، ٤٨، ٤٩، ٥٠،

٥٣، ٦٤، ٦٩، ٧٩، ٨١،

٩٤، ١٠٥، ١١٠، ١٣٧،

١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٧،

١٤٩، ١٧٦، ٢٥٠، ٢٧٨.

البندقية: ٨٩، ٩٢، ٩٣، ٣٢٥.

بولاق: ٧٥، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١١، ٣٢٢.

بويب: ٧٢.

بويب العقبة: ٨٩، ٢٣٨.

بيت جبريل: ٦٣.

بيت رأس: ٧، ١٠٥، ١٠٦، ١٤٧،

بيت عذراء: ١٨٠.

بيت هيا: ١٧٣.

بيت المقدس: ٤٤، ٧١، ٩٣، ١٠٧،

١٤٢، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦،

١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٥،

١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٦٣،

٢٧٣، ٢٧٤.

الحسا: ٨٥، ٨٦، ٨٩، ١٤٧، ٢٣٨.

حسان: ٩، ٤٨، ٤٩، ٦٤، ٦٩.

٨٠، ١٠٤، ١١٢، ١١٦.

١٢١، ١٣٢، ١٤٨، ١٥٣.

١٥٤، ١٥٨، ١٦٤، ١٨٣.

١٨٦، ١٩٤، ٢٢٨، ٢٢٩.

حصن الفراخ: ٢٦٠.

حطين: ٧٣، ٢٦٣.

خفير أسد الدين: ٧٢.

حلب: ١٠، ٢٠، ٢٢، ٦٠، ٦٦.

٦٩، ٧٦، ٨٥، ٩٠، ٩٣.

٩٤، ١١٨، ١١٩، ١٣٩.

١٥٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٤.

١٨٨، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥.

٢٧٦، ٢٨٤.

الهمام: ١٢، ٦٧، ١٣٢.

حام وادي الكرك: ١٠.

حماه: ١٠، ٤٥، ٩٢، ١١٩، ١٥٩.

١٩٨.

حصص: ٥٢، ٩٩، ١٥٨، ١٨٠.

١٩٨، ١٩٩.

حوران: ٧١، ٨٥، ١٣١، ١٣٨.

٢٨٣، ٢٨٤.

حيدرآباد: ٢٠٨.

الحير: ٧٢.

- خ -

خان البلقاء: ٢٤٨.

حبل الكرم: ٧١.

الجبل المصاقب لمجدل يابا: ٧٢.

جينا: ٦٣.

جدرا: ٧.

جده: ٨٩.

جرش: ٧، ١١٧، ١١٩، ١٤٧.

الجزائر: ٨٧.

جزيرة جري (فرعون): ٢٣٤.

الجزيرة العربية: ٨٤، ٨٩، ٩٨.

٢٣١، ٢٥١، ٢٦٣.

جسر الحسا: ٨٩، ٢٣٨.

جلعد: ١٤٤، ٢٧٤.

جليجل: ٧٢.

جمعى: ١٩٥.

الجولان: ١٣٨، ١٣٩.

الجيتين: ٦٣.

جنين: ٦٣، ٦٩، ٧٢، ٧٦.

- ح -

حبراص: ١٢٨، ١٤١، ١٨١.

١٨٢، ١٨٥.

الحبشة: ١١٠، ٢٩٨.

حبك: ١٨٣.

حبوة: ٦٣.

الحجاز: ٢٣، ٤٥، ٥٣، ٧٤، ٨٧.

٨٩، ٩١، ١١٤، ١٢٣.

١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ٢٣١.

٢٣٨، ٢٤٦، ٢٩٧.

، ١١٣ ، ١١٢ ، ١٠٩ ، ١٠٨
، ١٢٢ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٦
، ١٣٩ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢٩
، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٢ ، ١٤٦
، ١٦٩ ، ١٦٧ ، ١٦٥ ، ١٦٠
، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠
، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤
، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨
، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢
، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦
، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠
، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤
، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٨
، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣
، ٢١٣ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧
، ٢٣٨ ، ٢٢٧ ، ٢١٩ ، ٢١٥
، ٢٦٨ ، ٢٦٣ ، ٢٥٤ ، ٢٤٥
، ٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٠
، ٢٨٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٧٩
، ٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٠ ، ٢٩٨
، ٣٢١ ، ٣١٥ ، ٣١٣ ، ٣٠٧
، ٣٢٧ ، ٣٢٥

دمهور: ١٧٦ .

دمياط: ١٨٦ ، ١٥٨ ، ٧٥ ، ٦٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

ديار بكر: ١٣٩ ، ١١٩ ، ٨٥ .

دير سانت كاترين: ٩٣ .

خان الحما: ٩٤ ، ٢١١ ، ٢٣٧ ،
، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
خان العقبة: ١٨ ، ٩٤ ، ٢١١ ،
، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،
، ٢٤٦ .

خان عمان: ٢٤٩ .

خان القطرانة: ٢٣ ، ٩٤ ، ٢١١ ،
، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
، ٢٤٨ .

خان قياد (ضبعة): ٢٣ ، ٩٤ ، ٢١١ ،
، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

الخروبة: ٦١ ، ٦٣ .

الخطارة: ٦٣ .

الخليل: ٣١ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ١٠٩ ،
، ١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ،
، ٢٠٤ ، ٢٧٠ .

- ٥ -

الداروم: ٦٣ .

دمشق: ١٠ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
، ٢٤ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤١ ،
، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،
، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،
، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ،
، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٢ ،
، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ،
، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٤ .

- ذ -

ذبيان: ٦٤، ١٢١.

- ر -

رأس الرجاء الصالح: ٩٠.

الربة: ٦٤، ١٧٤.

الرحبة: ٦٤، ٧٢.

الرصافة: ١١٩.

رفح: ٦٣.

الركة: ١١٩.

الرمثا: ٧٩، ٨٥، ١٨١.

الرملة: ٥٠، ١٥٩، ١٧٢، ١٩٩، ٢٦٠.

الرها: ٩٩.

- ز -

زحر: ٦٤.

زرعين: ٦٣.

الزرقاء: ٦٩، ٨٥، ٨٦، ١٣٧.

الزعقة: ٦٢، ٦٣.

زغر: ٢٩، ٣٧، ٩١، ١٠٩، ١١٤.

. ١١٦

زيزاء: ١٥، ٨٥، ٨٦، ٢٧٨.

الزوير: ٦٣.

- س -

السحنة: ٧٢.

السعيدية: ٦١، ٦٣.

السلعة: ٦٣.

السليمانية: ٧٨.

سمرقند: ٨٦.

سنباط: ١٥٦، ١٨٦.

سنجار: ١١٩.

السوادة: ٦٣.

السودان: ٨٧.

سوريا: ٨٤، ١٠٩، ١١٣، ١١٩.

. ١٢١، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٥.

سوف: ٧.

السويد: ٩٣.

سيناء: ٨١، ٢٣٩، ٣١٨.

- ش -

الشام: ٧، ١٠، ١٢، ١٤، ١٦.

١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤.

٢٩، ٣٠، ٣٢، ٤٤، ٤٥.

٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥٢، ٥٧.

٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣.

٦٤، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥.

٧٩، ٨١، ٨٤، ٨٧، ٩٠.

٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠٥، ١٠٧.

١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٥.

١١٧، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣.

١٢٧، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٥.

١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠.

١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٢.

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٦.

١٩٠، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٦.

٢٠٩، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٢.

صقلية: ١٠٧، ١٤٢.

الصلت (السلط): ٧، ٩، ٤٨، ٤٩،

٥٠، ١٣٧، ١٥٣، ١٦٥،

١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٩،

٢٧٦، ٢٧٨.

الصنمين: ٦٤، ٦٩، ٧٦.

صور: ٩٠.

صيدا: ٥٠، ٦٩، ٧٥، ٩٠، ٣١٦.

الصين: ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٨،

١١٦، ٢٣٥، ٢٣٨.

- ض -

- ط -

طبرية: ٨١، ٢٦٠، ٢٧٣.

طرابلس: ١٣، ٦٩، ٨٧، ٩٠،

٩٢، ٢٠٠، ٢٣٢، ٣١٧.

الطرة: ٧٢.

طفس: ٦٤، ٦٩، ٧٦.

الطور: ٩٢، ١٤٣، ٢٧٣، ٣١٧.

طيبة اسم: ٦٤، ٧٢.

الطيرة: ٦٣.

- ظ -

الظليل: ١٣٧.

- ع -

عجلون: ٧، ٩، ١٠، ١٣، ١٤،

١٦، ٢٨، ٢٩، ٥١، ٥٢،

٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٧،

٢٣٨، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥١،

٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٨،

٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٥،

٢٨٨، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨،

٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٦،

٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٥،

٣٢٦.

الشراة: ٤٦، ٨٠، ١١٠.

شهر زور: ١٠٣.

الشويك: ٧، ١٠، ٣٧، ٤١، ٦٤،

٧٩، ٩٣، ١٠٦، ١٠٨،

١١٢، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٨، ١٧١، ١٧٢، ١٨٢،

٢٠٥، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣،

٢٥٤، ٢٧٠، ٢٧١.

شيراز: ٨٦، ٢٧٤.

شيكاجو: ٣٠٨.

- ص -

الصافية: (غور صافي): ٦٣، ٦٩.

الصالحية: ٦٣، ٦٩، ٧٦.

صبيخة: ٦٣.

صرخد: ١٣٨، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٩.

صفد: ٤٥، ٨٣، ٩٢، ١٥٩، ١٦٥،

١٦٧، ١٨٠، ١٩٧، ٢٠٩،

٢١٥، ٢٧٣، ٢٨٧.

، ٢٣٢ ، ١٤٧ ، ١٤٤ ، ١١٤
، ٢٤٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤

عقبة الصوان: ٨٥ .

عكا: ٤٤ ، ٧١ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٣٤ .

العلا: ٨٥ ، ٨٧ .

عمان: ٧ ، ١٦ ، ١٨ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

٦٩ ، ٨١ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،

١٠٨ ، ١١٢ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٨ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،

١٧٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ،

٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ،

٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

عمتا: ١١٧ .

العوجا: ٦٣ .

عيزاب: ٩٣ .

عينتاب: ٢٠ ، ٢٧٨ .

عين البردية: ٦٤ .

عين بيت دارس: ٦٣ .

عين جالوت: ٤٤ ، ٦٣ ، ٢٧٨ .

عين الحثمان: ٢٥٨ .

عين العاصي: ٢٥٨ .

عين العنصر: ٢٥٨ .

عين مفاس: ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

عين الرغاية: ٢٥٨ .

٥٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ،

٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١١٠ ، ١١٢ ،

١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣١ ،

١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،

١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ،

١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ،

٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،

٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٧١ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ،

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

عدن: ٨٩ .

العراق: ٨ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

١٠٣ ، ١٧١ ، ٢٦٣ ، ٢٩٨ ،

٣١٢ .

عرجان: ١٩٤ .

المريش: ٦٣ ، ٧٦ .

المطنة: ٧٢ .

العقبة: ١٥ ، ١٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٧ ،

٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ،

، ١٠٤ ، ٩٩ ، ٩٧ ، ٩٢ ، ٩١
، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٥
، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٤
، ١٤٣ ، ١٣٢ ، ١٣٠ ، ١٢٩
، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٤٩ ، ١٤٨
، ١٧٠ ، ١٦٥ ، ١٦٣ ، ١٦٢
، ١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥
، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٣ ، ١٨٢
، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧
، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩١
، ٢٠١ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٩٦
، ٢١٦ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٤
، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٩
، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٠ ، ٢٢٧
، ٢٧٩ ، ٢٧١ ، ٢٦٨ ، ٢٤٦
، ٢٩٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٠ ، ٢٨١
، ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠١ ، ٢٩٩
، ٣٠٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤
، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨
، ٣١٥ ، ٣١٤ ، ٣١٣ ، ٣١٢
، ٣١٩ ، ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٣١٦
، ٣٢٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٠
، ٣٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤

قباقب: ٧٢.

قبر الوايلي: ٦٣.

القدس: ٢٣ ، ٤٩ ، ٩١ ، ٩٩ ،
١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢

- غ -

غباغب: ٦٤.

غزة: ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ ،
٧٦ ، ١١٠ ، ١٣٧ ، ١٥٩ ،
١٦٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٠ .

غور أبي عبيدة: ١١٧ .

غور الأردن: ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٣ ، ١٣٨ .

غور الصافي: ١٠٦ ، ١٠٩ .

غور ناعمة: ١٠٧ .

الغراي: ٦٣ .

- ف -

فحمة: ٦٣ ، ٧٢ .

الفرات: ٦٩ ، ٧٢ ، ١٣٩ ، ١٤٢ .

فلادلفيا: ٩٨ .

فلسطين: ٨٤ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٢ ،
٢٦٠ ، ٣١٦ .

فلورنسا: ٩٢ ، ١٠٨ .

- ق -

قاسيون: ١٧٥ ، ١٩٢ .

قاقون: ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٦ .

القاهرة: ١٢ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،

٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ،

٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ،

٥٥ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ،

٧٦ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ .

١٤٠ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٣ ،
٢١٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ .

قلعة عمان: ٢٦٠ .

قلعة الكرك: ١٧ ، ١٩ ، ٣٣ ، ١٦٤ ،
٢١١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ،
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٨١ .

قلعة القدس: ٢٨١ .

القلعة: ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ .

قنيس: ٦٤ .

قنسرين: ٩٩ .

قياد (ضبعة): ٢٣ ، ٩٤ ، ١٤٧ .

القيروان: ٢٤٣ .

- ك -

الكتيبة: ٦٤ .

الكرك: ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ،
١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،
٦٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ،
٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦ .

١٥٩ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ،
١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢٥١ ، ٢٧٠ ،
٢٧٣ ، ٣١٩ .

قرطبة: ٢٧٤ .

قرية جعبر: ١١٩ ، ١٤٠ .

قرية القناعة: ١٣٤ .

قرية ناعمة: ١٠٧ .

القربتين: ٧٢ .

القسطنطينية: ٣٠٦ ، ٣١٢ .

القصر: ٦٤ .

القصور: ٥١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٩٣ ،
١٠٨ .

قصير عمره: ٢٢٦ .

القطرانة: ٩٤ ، ١٤٧ .

قطري: ٦٣ .

قطيا: ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٦ .

قلعة الأزرق: ٢٧٦ .

قلعة البلقاء: ٥٢ ، ٢٤٨ .

قلعة الجبل: ٦٧ ، ٧٢ ، ١١٤ ، ٢٧١ ،
٢٧٩ ، ٢٨١ .

قلعة الحسا: ٢٤٨ .

قلعة دمشق: ٥٢ .

قلعة الشوبك: ٢١١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ،
٢٥٧ ، ٢٦٣ .

قلعة عجلون: ١٦ ، ٥٢ ، ٧٢ ، ١٢٢ ،

كواثل: ٧٢ .
الكورة: ١٨٦ .
كوكب الهوا: ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
الكويت: ٢٢٢ ، ٣١٠ .
- ل -
لاهاي: ٣١٠ .
اللجون: ٨٥ .
اللد: ٦٣ ، ٦٩ .
- م -
مئذنة المروس: ٧٢ .
مأدبا: ٧ ، ١١٧ ، ١٤٧ .
المانع: ٧٢ .
الجامع: ٦٣ ، ٦٤ .
مجدل يابا: ٧٢ .
الهلة: ١٧٧ ، ١٥٨ ، ٢٠٦ .
المحيط الهندي: ٢٣٥ .
المدينة المنورة: ٨٥ ، ١١٤ ، ١٣٧ ،
١٨٣ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
مراكش: ٨٧ .
مرعش: ٦٦ .
المزار الشمالي: ١١٧ ، ١١٨ .
مزريب: ٨٥ .
مسجد أبي عبيدة: ١٣٢ .
مسجد حسان: ١٣٢ .
مصر: ٨ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ،
١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٤ .

٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٧ ،
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢١ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ،
١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،
١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ،
١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،
٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ،
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ،
٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ،
٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ،
٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٩١ ، ٣٢١ .
كرك نوح: ١٧٢ .
الكسوة: ٦٤ .
الكفارات: ٧٩ ، ١٥٣ .
كفر الما: ١٨٥ .
كفير: ١٨٠ .
كلفورنيا: ٣٠٧ .
كلكته: ٣٠١ .

المُقير: ١٩٦ .
مكة المكرمة: ٢٣، ٧٣، ٧٤، ٨٥،
٨٦، ٨٧، ٨٩، ١٧٤، ١٧٥،
١٧٨، ١٨١، ١٨٥، ١٨٦،
١٨٧، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥ .

ملاقس: ٦٣ .

ملكا: ١٣٤ .

منبج: ٩٩ .

منظرة أرك: ٧٢ .

منظرة البيضاء: ٧٢ .

منظرة تدمر: ٧٢ .

منوف: ١٧٧ .

مؤاب: ٤٦، ٨٠، ١٠٥، ١١٥ .

مؤته: ١١٦، ١٣٢ .

الموجب: ٦٤ .

الموصل: ١١٨، ١١٩، ١٩٣ .

مونتريال: ٢٥١ .

- ن -

نابلس: ٦٦، ٧١، ٧٢، ١١٠،
١٤٦، ١٥٩، ١٨٠، ١٩٩،
٢٠٠، ٢٠١، ٢١٥، ٢٨٧ .

الناصره: ١٥٨، ١٩٧ .

النجف: ٣١٢ .

نحلة معن: ٦٣ .

نهر الأردن: ٢٧٣ .

نهر دجلة: ٤٣ .

٤٥، ٤٧، ٥٧، ٥٩، ٦٠،

٦٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨،

٧١، ٧٥، ٧٩، ٨٣، ٨٤،

٨٧، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ١٠٤،

١٠٥، ١٠٩، ١١٧، ١١٩،

١٢٢، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٤،

١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١،

١٤٢، ١٤٣، ١٥٠، ١٥٢،

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٥،

١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٣،

١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦،

١٩٧، ١٩٨، ٢١٠، ٢١٣،

٢١٥، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٤،

٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥١،

٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨،

٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٢،

٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،

٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦،

٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠،

٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٦،

٣٢٧ .

المطيلب: ٦٣، ٧٦ .

معان: ٢٩، ٣٧، ٨٦ .

معرة النعمان: ١٨١ .

المغرب: ١٠، ٢١، ٨٧، ٢٢٢،

٢٣١، ٢٤٣، ٢٦٥، ٣١٠،

٣١٧ .

وادي الجمود: ٢٨٨ .
 وادي الزرقا: ١٦ .
 وادي عربة: ١٢٣ .
 وادي الكرك: ٨٠ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ،
 ٢٢٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ .
 وادي موسى: ٧٩ ، ٢٥٠ .
 وادي اليرموك: ١٢٢ .
 الوردادة: ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٦ .

- ي -

ياسور: ٧٢ .
 اليمن: ٩٠ ، ٢٣٥ .
 اليونان: ٩٨ ، ٩٩ .

نهر اليرموك: ٧٩ .
 النوبة: ١٤٢ .
 النيل: ٧٥ .
 نيويورك: ٣٠٩ .

- ه -

الهند: ١٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ،
 ٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢٣٨ ، ٣٠١ ،
 ٣١٣ .

- و -

وادي الأردن: ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ،
 ٢٧١ .
 وادي جنان: ٢٨٨ .



فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة

٥	المقدمة
١٠- ٧	١ - أهمية البحث ومنهج الدراسة
٢٥- ١١	٢ - عرض وتحليل لأهم مصادر البحث

الفصل الأول

٥٣- ٢٧
٣٠- ٢٩
٣٦- ٣٠

النظام الإداري

١ - نيابة الكرك

أولاً: وظائف أرباب السيوف:

١ - نيابة السلطنة

٢ - نائب القلعة

٣ - والي المدينة

٤ - الحاجب

٥ - نقيب الجيش

٦ - المهندارية

٧ - مقدمة البريد

٤١- ٣٧

ثانياً: الوظائف الدينية:

١ - القضاة

٢ - المحتسب

٣ - ناظر البيارستان

٤ - الخطابة

٥ - التداريس

٤١ - ٤٣

ثالثاً: الوظائف الديوانية:

١ - ناظر الكرك

٢ - كاتب السر

٣ - ناظر الجيش

٤ - ناظر بيت المال

٤٣ - ٤٧

رابعاً: الجيش

٤٨ - ٤٩

٢ - ولاية البلقاء

٥٠ - ٥٣

٣ - نيابة عجلون

الفصل الثاني

٥٥ - ٧٦

شبكة المواصلات والاتصالات

٥٧ - ٦٤

١ - نظام البريد البري ومراكزه بالمنطقة

أ - البريد في خدمة سلاطين الممالك

ب - مراكز البريد البري ومعطاته

٦٥ - ٦٩

٢ - البريد الطائر ومراكزه

أ - تطور استخدام الحمام الزاجل في العصر الاسلامي

ب - مراكز الحمام الطائر

٧٠ - ٧٢

٣ - نظام المناور والمراكز الموجودة في المنطقة

٧٣ - ٧٦

٤ - مراكز نقل الثلج الى القاهرة عبر عجلون والاغوار

الفصل الثالث

٧٧ - ١٢٣

الحياة الاقتصادية

٧٩ - ٨١

١- الزراعة

٨٢ - ٩٤

٢- التجارة الداخلية والخارجية

أ - التجارة الداخلية
ب - التجارة الخارجية

- ١ - التجارة البرية العابرة (الترانزيت) والاسواق الموسمية.
- ٢ - التجارة البحرية (العقبة بندر الاردن)
- ٣ - العلاقات التجارية الخارجية

- ٣ - الأوزان ٩٥-٩٧
- ٤ - السكة ٩٨-١٠٤
- ٥ - الصناعات ١٠٥-١٢٣

- أولاً: الصناعات القائمة على الانتاج النباتي والحيواني ١٠٥-١١٥
- صناعة الخمور - السكر - النيل - الصابون - البلسم -
الحصر - الدقيق - الفحم - المنسوجات - الابسة - المراكب

- ثانياً: صناعة الاسلحة ١١٧-١١٥
- النفط - السيوف - الاقواس والكنائن - النبال أو السهام

- ثالثاً: الصناعات الفنية ١١٧-١٢٢
- فن الحفر على الخشب - الصياغة والتكفيت -
فن صناعة التحف الخزفية

- رابعاً: التعدين ١٢٢-١٢٣
- الحديد - الكبريت - الحمر - النحاس - الرخام

الفصل الرابع

- الحياة الاجتماعية ١٢٥-١٥٤
- ١ - طبقات السكان ١٢٧-١٤٠
- أولاً: طبقة المالك
ثانياً: طبقة المممين
ثالثاً: عامة الشعب
أ - سكان المدن

- ب - سكان القرى
ج - البدو
- ١٤٦-١٤١ ٢ - الطوائف الدينية
أ - المسلمون
ب - النصارى
ج - اليهود
- ١٥٤-١٤٧ ٣ - بعض مظاهر الترف الاجتماعي في الاردن
١٥٠-١٤٨ أ - وسائل التسلية
١ - الغناء
٢ - الصيد
٣ - لعبة الكرة (البولو)
- ١٥٤-١٥٠ ب - الاحتفالات
١ - الولائم
٢ - المواكب
٣ - الأزياء
٤ - الاطعمة

الفصل الخامس

- ٢١٠-١٥٥ الحياة العلمية
- ١٦٠-١٥٧ ١ - نشاط الحركة العلمية في الاردن في عصر دولة المماليك الاولى
١٦٨-١٦١ ٢ - المؤسسات العلمية
أ - المدارس
ب - البيمارستانات
- ٢٠٠-١٦٩ ٣ - ازدهار العلوم اللغوية والدينية
أ - في مجال الحديث
ب - في علم القراءات
ج - في مجال الفقه

د - في التصوف

هـ - في القضاء

٤ - الحركة الادبية

٥ - العلوم العقلية

٢٠٥-٢٠١

٢١٠-٢٠٦

الفصل السادس

الآثار الباقية في المنطقة

٢٨١-٢١١

١ - الآثار الدينية

٢٢٥-٢١٣

المسجد الجامع بمجلون

٢٤٩-٢٢٦

٢ - الآثار المدنية

أ - الهجمات

ب - الخانات

١ - خان العقبة (قلعة العقبة)

٢ - خان الحسا

٣ - خان القطرانة

٤ - خان قياد (ضبعة)

٢٨١-٢٥٠

٣ - الآثار الحربية

١ - قلعة الشوبك

٢ - قلعة الكرك

٣ - قلعة عجلون

٢٩٢-٢٨٣

ملاحق البحث

٣٣٢-٢٩٣

المصادر والمراجع

٣٣٤-٣٣٣

الخرائط

- ٣٣٥

كشف باسماء الاماكن